



حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عُنيَ بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شينجو اليسوعي

الجزء الثاني



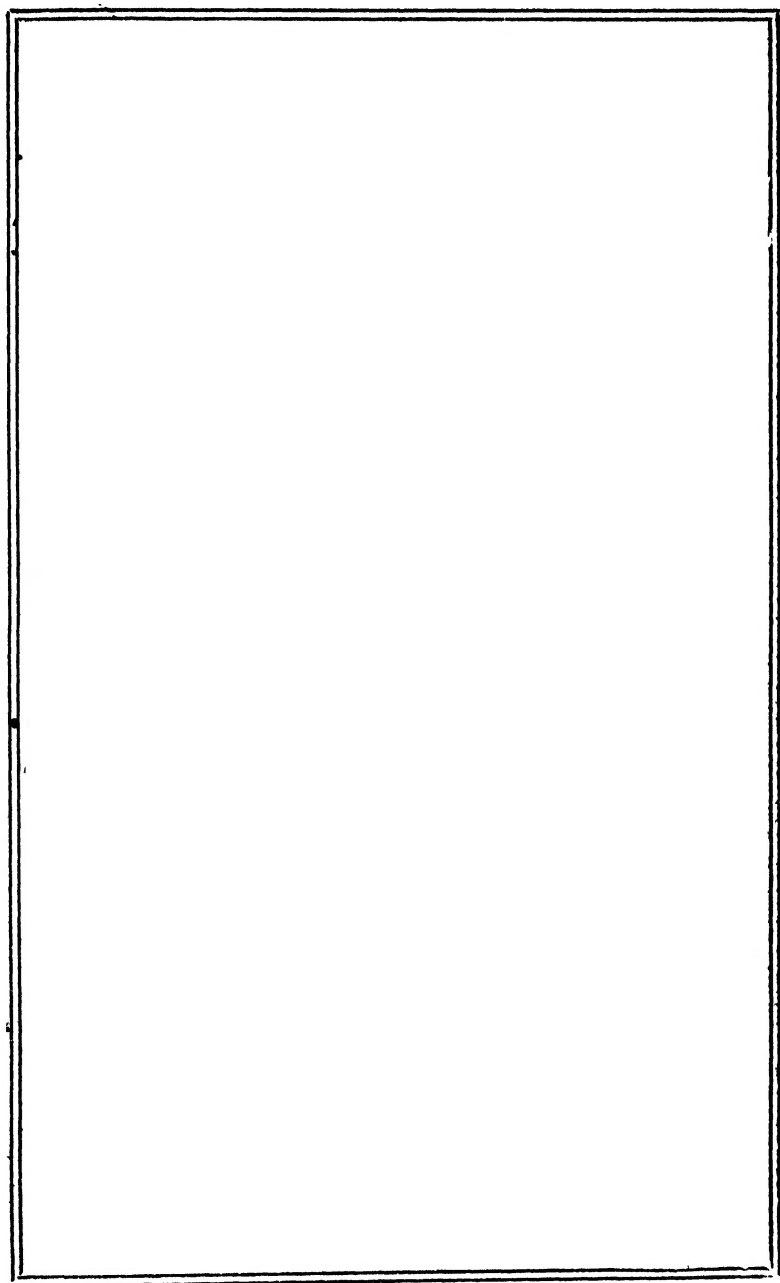
مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة



١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَلَا آخِرَ لَا بَدْيَتِهِ . قِيَوْمٌ لَا
 يُفْنِيهِ الْآبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ الْأَمَدُ . بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
 وَالْبَاطِنُ . مُنَزَّهُ عَنِ الْجَسَمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ .
 فَوْقِيَّتُهُ لَا تَرِيدُهُ بَعْدًا عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبِيدِ مِنْ حَبْلِ
 الْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابِهُ
 قُرْبَهُ قُرْبُ الْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابِهُ ذَاتُهُ ذَوَاتُ الْأَجْرَامِ . مُنَزَّهُ عَنْ
 أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . تَرَاهُ أَبْصَارُ الْأَبْرَارِ .
 فِي دَارِ الْقَرَارِ . عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ
 قَاهِرٌ . لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ الْمُلْكُ
 وَالْمَلَكُوتُ . وَالْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ . خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ .
 لَا تُحْصَى مَقْدُورَاتُهُ . وَلَا تَنْتَاهَى مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ . لَا
 يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَاتِ . يَعْلَمُ السِّرَّ
 وَالْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّامِرِ . وَخَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ . مُرِيدٌ
 لِلْكَائِنَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . جَلِيلٌ
 وَلَا حَقِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ



فِي مَكَانٍ وَلَا عَلَى مَكَانٍ . فَإِنَّ الْمَكَانَ لَا يَحْصُرُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ
 فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ
 كَانَ مُنْزَهَاً عَنِ الْمَكَانِ . وَلَيْسَ الْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلْ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ
 يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ . وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ قَبْلَ
 خَلْقِهِ الْعَالَمِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي صَكَانَ عَلَيْهَا فِي
 الْأَزَلِ . وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغْيِيرِ وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ . وَهُوَ سُجَّانُهُ
 مُتَقَدِّسٌ عَنْ صِفَاتِ الْخُلُوقِينَ مُنْزَهُ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مَرْنِي كَمَا نَعْلَمُهُ
 فِي الدُّنْيَا بِالْأَمْثَلِ وَلَا شَبِيهِ . كَذَلِكَ زَاهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْأَمْثَلِ وَلَا شَبِيهِ .
 لِأَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا لَا تَشَابُهُ رُؤْيَا الدُّنْيَا . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخالق

٣ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كَيْفِيَّةُ أَمْرٍ لَيْسَ أَمْرٌ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الْجَبَّارِ بِالْقَدَمِ
 هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ مُبْتَدِئًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ السَّمِ
 قَالَ آخِرُ :

تَبَارَكَ اللَّهُ فِي عَالِيَاءِ عِزَّتِهِ فَصَكَّ كُلَّ لِسَانٍ عَنْ تَعَالِيهِ
 لَا يَكُونُ يَحْصُرُهُ لَا عَيْنَ تَنْظُرُهُ لَا كَشْفَ يُظْهِرُهُ لَا جَهْرَ يُبْدِيهِ
 حَارَتْ جَمِيعُ الْوَرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
 سُجَّانُهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ وَجَلَّ عِزًّا وَأُطْفَأَ فِي تَسَامِيهِ

يَشَاءُ لَمْ يَكُنْ . فَهُوَ الْمُبْدِئُ الْمَعِيدُ . الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ .
وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ .
وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمُجِبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ . سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ
لَا يُشَبِّهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُجْدَانُهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ
بِقُدْرَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَالِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَلِيدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدٌ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِهِمْ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءٍ
فَالَّذِي أُنْذِعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُجْدَانٌ مُبْدِعُ الْأَشْيَاءِ

(مستطف الابشيحي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَالِبٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا
يَنْزِلُ وَلَا يَحِلُّ فِي قَالِبٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنْزَهُ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ . وَعَمَّنْ
لَمَّا ذَاوَلَمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ . وَكَلَّمَا يَخْطُرُ فِي أَلْوَاهِمِ وَالْحَيَالِ
وَالْفِكْرِ مِنَ التَّكْوِينِ وَالْتِمَثُلِ . فَإِنَّهُ مُنْزَهُ عَنِ ذَلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ
صِفَاتِ الْخُلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

حجة الخالق

٦ كُلُّ فَعْلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٍّ . وَلَا يَخْضَلُ التَّقَرُّبُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ يَمُنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُبَّ عَنْ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَشْرَكَ بِشَرِّكَ خَفِيًّا لَتَعْلُقَ مَحَبَّتُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ سُجَّانَهُ (للقاشاني)
دَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ النُّسَاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتُحِبُّ اللَّهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوَ أَحْبَبْتَهُ لَمَّا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أُنْشَدَ
يَقُولُ :

تَعْصِي الْأَمْرَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعْمَرِي فِي الْفَعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ
(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ الدِّينِ الْمُقَدِّسِيُّ فِي الْهِيَامِ بِحُجَّةِ تَعَالَى وَحَدَهُ :

فَيُحِبُّ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِمَنْ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ

أَيَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي

سِوَاهُ وَمَا فِي الْكُونِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوَ

فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحُسْنِ وَاحِدًا

فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتُ دَلَالَتُ .
 وَشَوَاهِدُ قَانِنَاتُ . كُلُّ يُوَدِّي عَنْهُ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ
 آخَرُ : سَلِ الْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ . وَشَقَّ أَنْهَارَكَ . وَجَنَى
 يَمَارَكَ . فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخْبَارًا . أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 لَقَدْ جِئْتُ أَبْنِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجِئْتُ الْجِبَالَ وَجِئْتُ الْبُحُورَا
 فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرُ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هَذَا
 أَتَشْكُو مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربّه)
 آيَاتُ عَنْ قَمِ الرَّحْمَانِ :

فَكَمْ لَيْتَ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ الْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي
 أَنَا الْمُرْخِي السُّتُورِ عَلَى الْمَعَاصِي عَلَى الْعَبْدِ الْجُسُورِ إِذَا عَصَانِي
 وَأَصْفَحَ لِلْأَثِيمِ إِذَا أَتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
 وَإِنْ نَادَانِي الْخَاطِي بِصَدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَوَى كُلَّ الْمَعَانِي
 فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنَالُ عِزًّا وَيَخْطِي بِالْأَسْرَةِ وَالْأَمَانِي
 (فِي الْخَبَرِ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوَاطٍ يَسُوقُ
 بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ . (وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ
 الْخَلْقَ لِيَرْجُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبَحَ عَلَيْهِمْ
 (الكشكول لبهاء الدين العاملي)

وَمَا أوردَهُ الْأَصْبَهَانِي عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ التَّيْمِيِّ قَوْلُهُ :
 لَا تَجْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالْذِّنِ
 وَارْتَبْ إِلَى اللَّهِ يَمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
 أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ مِنَ الْخَلَائِقِ مُسْكِينِ ابْنِ مُسْكِينِ
 (الافغاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لَمَّا حَضَرَ بِشَرَ بْنِ الْمَنصُورِ الْمَوْتُ فَرِحَ فَقِيلَ لَهُ : أَتَفْرَحُ بِالْمَوْتِ
 فَقَالَ : أَتَجْمَلُونَ قُدُومِي عَلَى خَالِقِ أَرْجُوهُ كَمَا مَيَّ مَعَ مَخْلُوقٍ أَخَافُهُ
 قَالَ الشَّيْخُ شِهَابٌ :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَمَا خَابَ حَقًّا مِنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا
 وَكُنْ وَائِقًا بِاللَّهِ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِهِ تَفَرُّ بِالَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلًا
 وَلِلَّهِ الشَّافِعِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي تَجَوَّ عَفْوِكَ سَلَامًا
 تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
 قِيلَ لِأَعْرَابِي وَقَدْ مَرَضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مِتُّ فَإِلَى
 أَيْنَ يَذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى اللَّهِ . قَالَ : فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ يَذْهَبَ بِي
 إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

الدعاء الى الله

١٠ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي

٧ مِنْ كَلَامِ ابْنِ زُهْرَةَ الْأَنْدَلِسِيِّ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ
 حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَعَاطَانِيَةً . فَيَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ
 لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُبِّلَ مَا عَلامَةُ الْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ الْفُتُورِ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَعَدَمُ الْمَالَالِ مِنْ حَقِّهِ وَعَدَمُ الْأَنْسِ بغيرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ أَلْعَجَبُ
 مِنْ جِييِكَ لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلَكِنْ أَلْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ
 مَلِكٌ قَدِيرٌ
 (لبهاء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ لَا قَدْرَ وَسِعَ الْعَبْدُ ذِي التَّنَاهِي
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلًا
 أَزِيدُكَ تَقْصِيرًا تَزِيدُنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَ
 وَلَهُ أَيْضًا :

أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
 فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُدْرِي إِقْرَارِي بَأَن لَيْسَ لِي عُذْرٌ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنْ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ إِلَاهَهُ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَبْدُ إِلَاهُهُ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
 فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَافِهِمْ لَهْجًا تُضَعِّضُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

١٤. الْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ فُرُوعُ الْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ الْحَرَامِ وَأَدَاءُ
الْقَرَائِصِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ الصَّوْمِ
وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعَقَّةِ عَنِ الْحَرَامِ . وَالْآخَرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ وَهِيَ الْعَدْلُ فِي الرِّعْيَةِ وَالْكَفُّ عَنِ الظُّلْمِ . وَالْأَصْلُ فِي
ذَلِكَ أَنَّ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةٍ أَمْرِهِ
وَالْإِزْدِجَارِ بِزَجَرِهِ مَا تَخْتَارُ أَنْ يَتَّعِمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مِنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ
غَيْرَكَ السُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رِعْيَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمِظَالِمِ
الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ
عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَلَكَ عَمِلَ بِالْعَدْلِ
فِي رِعْيَتِهِ (للفرغالي)
قَالَ الْمَعَرِّي :

لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْ لَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

١٥. كَانَ يَدُ الرَّقَاشِيِّ يَقُولُ : يَا بَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي
لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبُّكَ إِذَا مَتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

اَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَزَادَكَ اَلْعَمَلُ الصَّالِحَ فَإِنْ مَجَّوَتْ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ
هَلَكَتَ فَبِدُنُوْبِكَ (لَا بِنَ عِبْدَرِيْهِ)

أَرَى رَجَالًا بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا

وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْأَدْنَى

فَاسْتَفَنَ بِالْأَدْنَى عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا م

أُسْتَفَنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنْ الدِّينِ

مِنَ الدِّيَّانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

أَبْنَى إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيْمَةً فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ
قَاطِنٍ لِكُلِّ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرْ
قَالَ الرَّافِعِيُّ :

أَقِيمَا عَلَى بَابِ الرَّحِيمِ أَقِيمَا

وَلَا تَنْدَا فِي ذِكْرِهِ قَتَرِيْمَا

هُوَ الْبَابُ مَنْ يَفْرَعُ عَلَى الصِّدِّيقِ بَابَهُ

يَجِدُهُ رَوُّوْقًا بِالْعِبَادِ رَحِيْمَا

(إِبْهَاءُ الدِّينِ)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

حَتَّى مَتَى ذُو النَّبِيِّ فِي تَبِيْهِهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ

يَتَّبِعُهُ أَهْلُ النَّبِيِّ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَأْهَوَا

مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْوَاهُ

قَالَ الْحَسَنُ : بَادِرُوا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ . فَإِنَّ لَكُمْ مَا أَمْضَيْتُمْ لَا مَا أَبْقَيْتُمْ

الحجاج والاعرابي

١٧ خَرَجَ الْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَصْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤُهُ . فَقَالَ : أَطْلُبُوا
مَنْ يَتَغَدَّى مَعَنَا . فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي سَمَلَةٍ فَأَتَوْهُ بِهِ .
قَالَ لَهُ : هَلُمَّ . قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ :
وَمَنْ هُوَ . قَالَ : اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ .
قَالَ : صَوْمٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ . قَالَ : ضُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ
أَحْرُ مِنْهُ . قَالَ : فَأَفْطِرُ الْيَوْمَ وَتَصُومُ غَدًا . قَالَ : أَوْ يَضْمَنُ لِي الْآمِيزُ
أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي
عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا
طَيِّبُهُ خَبَارُكَ وَلَا طَبَاخُكَ وَلَكِنْ طَيِّبَتُهُ الْعَافِيَةُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : تَاللَّهِ مَا
رَأَيْتُ كَأَيِّ يَوْمٍ . (لابن عبدربه)

الصلوة

١٨ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَعِصَامُ الْيَقِينِ وَرَأْسُ الْقُرْبَاتِ وَغُرَّةُ
الطَّاعَاتِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعُ وَتَأَوُّهُ
وَتَنَادُّمٌ . وَرَوَى عَنْ اللَّهِ سُجْدَانَهُ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ
كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ . إِنَّمَا أَقْبَلُ صَلَاةَ مَنْ تَوَاضَعَ لِعَظْمَتِي وَلَمْ
يَتَكَبَّرْ عَلَى عِبَادِي وَأَطْعَمَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ لَوَجْهِي (احياء علوم الدين للغزالي)

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزِرْ وَابْنَ رَبِّكَ فَتَكُنْ أَصْصًا
نَدِمْتَ عَلَى التَّوْبِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ
مِمَّا يُنْسَبُ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا طَلَعُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْآخِرَةَ
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنًا
جَعَلُوهَا لِحَيٍّ وَأَتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفُنًا

مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَكْبَارِ: لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ الْجَدِيدُ. إِنَّمَا
الْعِيدُ لِمَنْ آمَنَ الْوَعِيدُ. سُئِلَ بَعْضُ الرُّهْبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ
لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ ذَلِكْ عِيدُنَا. لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ
الْأَلَايسَ الْآخِرَةَ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ آمَنَ عَذَابَ الْآخِرَةِ. لَيْسَ الْعِيدُ
لِمَنْ لَيْسَ الرِّقِيقُ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ (لبهاء الدين)

١٦ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا. إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ
وَقَالَ الْآخَرُ:

إِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِحْزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ وَلَا تُسِيْءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ
وَأَضْعِفْ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمَكِّنُ

الطَّابِ الْجَاهِ وَالْمَالِ . وَاتَّهَى بِوُضُوئِهِ إِلَى ذَلِكَ

لذَاتِ الْجَنَّةِ

٢٠ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْحَمَى هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجَنَّاتِ الْخُلُودِ
أَفِيضُوا عَيْنًا مِنَ الْمَاءِ فَيَضَا فَتَحْنُ عَطَاشَ وَأَنْتُمْ وَرُودُ

الْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

حدِّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ . قَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْعِيتُ الْمَلَمَّةِ وَلَا

قَشْفَ الْهَيْمَةِ . وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَقِيلَ لِأَخْرَ : مَا

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَتَيَّبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ .

وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ : مَنْ أَرْهَدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي

بِبَيْدٍ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَرْهَدُ النَّاسُ فِي

الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمَقْشُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ

(لابن عبد البر)

تَقَعَّدَ هِشَامُ بَعْضَ وَلَدِهِ لَمْ يَحْضُرِ الْجُمُعَةَ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ مِنَ
الصَّلَاةِ . قَالَ : نَفَقَةُ دَائِي . قَالَ : أَفَجَزْتَ عَنِ الشَّيْءِ . فَمَنَعَهُ الدَّابَّةَ
سَنَةً (لَمَّا الْفَرَجِ)

خَسِرَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ وَخَابَا وَأَبَى مَعَادًا صَالِحًا وَمَاتَا
إِنْ كَانَ مُجْهِدَهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَضْحَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مُرْتَابًا
أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِزَوْجٍ تَكَاسَلٍ غَطَى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابًا
١٩ (بَيَانُ اخْتِلَافِ الْخَلْقِ فِي لَذَائِهِمْ) . أَنْظِرْ إِلَى الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ
حَرَكَتِهِ وَتَمَيِّزِهِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ غَرِزَةٌ بِهَا يَسْتَلِذُّ اللَّعِبَ حَتَّى يَكُونَ
ذَلِكَ عِنْدَهُ الَّذِي مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْتَلْزَاذُ
اللَّهِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ الْمُلَوَّنَةِ وَرُكُوبِ الدَّوَابِّ الْفَارِهِةِ فَيَسْتَحِفُّ مَعَهُ
اللَّبَّ بَلْ يَسْتَهْجِنُهُ . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الزَّيْنَةِ وَالْمَنْزِلِ
وَالْخِدْمِ فَيَحْتَقِرُ مَا سِوَاهَا لَهَا . ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَذَّةُ الْجَاهِ
وَالرِّئَاسَةِ وَالتَّكَاثُرِ مِنَ الْمَالِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَعْوَانِ وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَوْلَادِ
وَهَذَا آخِرُ لَذَاتِ الدُّنْيَا . وَإِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ أَشَارَ الْقَائِلُ : إِنَّمَا حَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ تَظْهَرُ لَذَّةُ الْعِلْمِ
بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْقُرْبِ مِنْهُ وَالْحُبِّ لَهُ وَالْقِيَامِ بِوُضَائِفِ عِبَادَاتِهِ وَتَرْوِيجِ
الرُّوحِ بِمُنَاجَاتِهِ فَيَسْتَهْجِرُ مَعَهَا جَمِيعَ اللَّذَاتِ السَّابِقَةِ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ
الْمُنْهَمِكِينَ فِيهَا . وَكَمَا أَنَّ طَالِبَ الْجَاهِ وَالْمَالِ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ الصَّبِيِّ
بِاللَّعِبِ بِالْجُوزِ مَثَلًا كَذَلِكَ صَاحِبُ الْمَعْرِفَةِ وَالْحُبِّ يَضْحَكُ مِنْ لَذَّةِ

وَيَزْهَرُ الرَّبِيعُ يَنْضُرُ ثُمَّ يَصْفَرُ فَتَرَاهُ هَشِيًّا . وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ يَرَى
السُّرُودَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحُسْرَةُ . وَبِالْعَسَلِ
الْمَشُوبِ بِالسَّمِّ الرُّعَافُ يَغْرُ وَيَقْتُلُ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِذَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَةِ
لَيْتَ لِمَسْهَا وَيَقْتُلُ سُمُّهَا . فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ
مِنْهَا . وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ أَسْرَمًا تَكُونُ فِيهَا
أَحْذَرًا مَا تَكْرَهُ مِنْهَا . فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَ
مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

هِيَ الدَّارُ هَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى وَدَارُ الْغُرُورِ وَدَارُ الْغَيْرِ
فَلَوْ نَلَيْتَهَا بِحَذَائِيرِهَا لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطْرُ
أَيَا مَنْ يُؤْمَلُ طُولَ الْحَيَاةِ وَطُولُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرُ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ
مِنَ الدِّيَوَانِ الْمَشُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

حَالَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمِّ
فَكُنْ مُوسِرًا شَيْتَ أَوْ مُعْسِرًا فَمَا تَقْطَعُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ
٢٥ قَالَ حَكِيمُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : تُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ الدُّنْيَا . فَقَالَ : نَعَمْ .
فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَزْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْأَدَمِيِّينَ
مُلَاقَةً . وَبَقَايَا عِظَامِ نَحْرَةٍ وَخَرَقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّتْ بِنَجَاسَاتٍ . فَقَالَ :

٢٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا أَزْدَادَ صَاحِبُهُ شَرِبَا أَزْدَادَ عَطْشًا . وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ أُلْسَمٌ فَلِذَا تَقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ أَلَوْتُ الدُّعَافُ . وَكَالْحَلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ . وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِي قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشَيْكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي الظَّلَامِ مُقِيمًا . وَكَالدُّودَةِ الَّتِي لَا يَزْدَادُ إِلَّا يَرِيْسَمُ عَلَى نَفْسِهَا لَهَا إِلَّا أَزْدَادَتْ مِنْ الْخُرُوجِ بَعْدَ وَفِيهِ قِلَ :

كَدُودٌ كَدُودٍ الْقَرْ يُسْجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرَّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مُشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْفِكْرِ لَا يَفْتَرُ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَأَحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَارْتَبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ يَغُرُّ وَلَا يَزْوِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالْبَرْقِ الْخَلْبِ يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ يَمُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظِلِّ النِّعَامِ يَغُرُّ وَيَخْذُلُ .

لَيْلًا يَفُوتُ الْوَقْتُ وَلَا تَسْتَغْلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَارَ .
فَضُّوا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِي تَوَاجِيهَا فَأَلْعَلَّ مِنْهُمْ لَمْ يَسْكُتُوا
وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ . فَوَجَدُوا الْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَاسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِنِهِ
وَأَوْفَقِهَا . وَأَطْلَبَ مَوَاضِعَهُ وَأَرْقَقِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ
الْجَزِيرَةِ . وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثْمَارِهَا . وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا .
وَيَسْمَعُونَ رَنَمَ أَطْيَارِهَا . وَيَتَعْجَبُونَ مِنْ حَصْبَانِهَا الْمَلُونَةِ وَأَشْجَارِهَا . دَائِمًا
عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأَوْا مُسَاعًا . فَصَعِدُوا فِي
أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَفَّقُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
فَحَيَّرُوا . وَفِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ قِبَعْدُوعَهُ
وَأَنْقَطَعُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ تَخَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يَبْصُرُوا إِلَى الْأُنَادِيِّ وَلَمْ يَسْمَعُوا .
فِيهِمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ الضَّبَاعُ .
فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ . وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ
أَهْلُ الْكُفْرِ هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَمُوا كُاسِيَتِهِمْ إِلَى
الدُّنْيَا وَرَكَّزُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ
الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمْ الْعَصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُوا
يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا . فَهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِنِعْمَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ قَهْرِهِ
وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْرَادُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاحُهُمْ وَأَصَارُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

هَذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي رَأَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ
الْخُرُصِ وَالْإجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا. وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ
مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجِدُونَ.
فَالْيَوْمَ نَعْرِفُ عِظَامَهُمْ وَتَلَأَشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهَذِهِ الْخِرَقُ
كَانَتْ أَوَائِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَرَتَّبُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجَمُّلِ وَقْتَ الرُّعُوتِ
وَالْتَّجَمُّلِ وَالتَّرَتُّبِ. فَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا الرِّيحُ فِي النَّجَاسَاتِ. وَهَذِهِ
عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهَذِهِ
النَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا
يَقْرِبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا. فَهَذِهِ جَمَلَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تَشَاهِدُ وَتَرَى.
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكِ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ. (قَالَ) فَبَكَى
جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلِلَّهِ الْحَرِيرِيُّ حَيْثُ قَالَ :

يَا طَائِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارُ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ عِدًّا تَبَّأَ لَهَا مِنْ دَارِ
عَارِئِهَا لَا تَقْضِي وَأَسِيرِهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
فَقُطِعَ عِلَاقُ حُبِّهَا وَطَلَّابُهَا تَلَقَّ الْهُدَى وَرَفَاقَةُ الْأَسْرَارِ
٢٦ مِثْلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاشْتَغَلَتْهُمْ وَاهْتَمَّامُهُمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ
وَإِهْمَالِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ
قَضَاءِ الْحَاجَةِ. فَتَزَلُّوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَلَّاحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا الْمَكْثَ

ذَخَائِرِهِ فَإِنَّهُ رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةَ وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ . وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَيَصْغُبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَلَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلَبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ وَأَكْثَرُهَا مُنْقَصٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبَسْبِهَا تَفَوَتْ رَاحَةُ الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَّةُ وَالْمَلَكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا نِهَايَةٌ لَهُ . فَسَمِّلْ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلِ لِنَيْلِ رَاحَةِ دَائِمَةٍ بَلَا انْقِضَاءٍ . وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا نِسْبَةٌ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا يَدْرِكُ أَلْوْهَمُ طُولَهَا (الغزالي)

٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بَنِي ذِي الثَّنُونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ وَأَنْفَقَ فِي بَنَائِهِ بَيُوتَ أَمْوَالِهِ فَجَاءَ عَلَى اكْتِمَالِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ . وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةً مَاءٍ كَانَتْهَا بَحِيرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسْطِهَا قُبَّةً وَسِيقَ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْيِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوَالِيهَا مُحِيطًا بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتْ الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا يَفُتِرُ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرَوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءَ :

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا
جَمَعَ وَتَرَكَتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

أَيَّامَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى الْعُمُرِ فِي قِلٍ وَقَالَ
وَأَتَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَفِينِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارٍ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانُ قِيَهَا عَلَى
صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا
وَطْنُهُ وَقَرَارُهُ وَمُكْنَتُهُ وَاسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنْ عُمرِ
الْإِنْسَانِ كَأَلْمَرْحَلَةِ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ كَأَسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي
سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقَرْيَةٍ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَقَرْيَةٍ
يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفْسٍ فَكَخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفْسٍ يَنْقُضُهُ
يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ . وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاشْتَغَلَ
بِعِمَارَتِهَا فَنِي فِيهَا زَمَانَهُ . وَأَنْسَى الْمَنْزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ .
وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغَلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا
بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَمِمَّا جَمَعَهُ مِنْهَا
فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا . وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَرَائِيهِ وَسَائِرُ

بَقِيتَ لِلأَوَّلِ لَمْ تَنْتَقِلْ لِلآخِرِ . يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَابًا
وَفِضَّةً ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا وَأَفْلَازَ
كِبْدِهَا ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَبْنِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .
لَا فُخْرَ فِيمَا يَزُولُ وَلَا غِنَى فِيمَا يَفْنَى

٣٣ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : رَكِبَ مَلِكٌ يَوْمًا فِي زِيٍّ عَظِيمٍ فَتَشَرَّفَ
لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَفْعَلُ شَيْئًا مُكَبًّا عَلَيْهِ لَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ . فَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مُلِكًا مِثْلَكَ وَكَانَ
عَلَى هَذِهِ الْقَرِيَةِ فَمَاتَ هُوَ وَمُسْكِينٌ قَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا . ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا . ثُمَّ
نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَأَخْتَلَطَتِ عِظَاهُمَا فَلَمْ أَعْرِفِ
الْمَلِكَ مِنَ الْمُسْكِينِ . فَلِذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .
وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

وَحَقِّكَ لَوْ كَشَفْتَ التُّرْبَ عَنْهُمْ لَمَا عُرِفَ الْعَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلَا مَنْ كَانَ يَلْبَسُ ثَوْبَ شَعِيرٍ وَلَا الْبَدَنُ الْمُنْعَمُ بِالْحَرِيرِ
قَالَ التَّيَاهِي :

وَإِنَّا لَهِيَ الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ نَظْنُ وَوُقُوفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي
وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَخْذَعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبٍ دُنْيَا تَغْرُبُ بَوَصْلِهَا وَسَتَقْطَعُ

يُغُوبُ بْنُ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ . هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَمِلُوا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ
تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هَذِهِ :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَانَهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرِبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
فَقَدْ جَاءَ فِي الْمَوْتِ الْمَهُولِ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تُغْنِي مِنْهُ أُلُوفُ فَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هُدَيْتَ بِأَنْسِ
(للغزالي)

قَالَ ابْنُ سَادَةَ :

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظَمُوهَا فَجَلَّتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ
يَهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا مُهَارِشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعَمِيرَةِ
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا فَخَصَفُ الْعُمُرِ تَعَفُّهُ اللَّيَالِي
وَنَصَفُ النَّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَذَرِي لِعَقْلِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَنَثُ النَّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ وَشُغْلٌ بِالْمَكَايِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمُرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ وَهُمْ بِأَرْتِحَالٍ وَأَنْتِقَالِ
فَقُبِ الْأَرْءُ طَوْلُ الْعُمُرِ جَهْلٌ وَقِسْمُهُ عَلَى هَذَا الْإِقْبَالِ
٣٢ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُخْذَعَنَّ كَمَا خُذِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ الَّذِي أَصْبَحَتْ
فِيهِ مِنَ النِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ
يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيََتِ الدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجَدْتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمَعْرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ
 آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أُلْجَأَ خَوْفُ إِلَى بَيْرٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِفُضَيْنٍ
 نَائِتِينَ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْرِ . وَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ قَدَّهَا فَنَظَرَ فَإِذَا
 بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُجُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْرِ
 فَإِذَا شُعْبَانٌ قَاغِرٌ قَاهُ نَحْوُهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا
 فِي أَصْلِهِ جُرْدَانٌ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدُ يَفْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ .
 فَبَيْنَمَا هُوَ مَهْتَمٌّ بِنَفْسِهِ ابْتِغَاءَ الْحَيَاةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبٍ مِنْهُ
 جُحْرٌ مُخَلٌّ قَدْ وَضَعَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ .
 فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفَكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالتَّمَاسِ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ
 فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَاتٍ لَا يَذْرِي مَنْ تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي
 قَرْصِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهُمَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهْوَاتِ التَّيْنِ .
 وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ . قَالَ الْحَكِيمُ : فَشَبَّهْتُ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ
 آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافٍ بِالْبَيْرِ . وَشَبَّهْتُ الْحَيَاتِ الْأَرْبَعَ بِالْأَخْلَاطِ
 الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَرَّتَيْنِ وَالْبَلْغَمِ وَالْدَّمِ .
 وَشَبَّهْتُ الْغُصْنَ الَّذِي تَعَلَّقُ بِهِ بِالْحَيَاةِ . وَشَبَّهْتُ الْجُرْدَيْنِ الْأَبْيَضَ
 وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَفْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَدَوْرَانِهِمَا فِي إِفْنَاءِ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ . وَشَبَّهْتُ الشُّعْبَانَ الْقَاغِرَ قَاهُ
 بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ الْعُسْلَةَ الَّتِي تَطَاعِمُهَا بِالَّذِي يَرَى
 الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَلْبَسُ فَيُلْهِمُهُ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لابن عبد ربّه)

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُجْدَعُ
 ٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَيْسَ أَفْخَرُ نِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبَ طَيْبِهِ
 وَنَظَرَ فِي مِرَاةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ . وَخَرَجَ إِلَى
 الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَّتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنَ . فَقَالَتْ :

أَنْتَ نِعَمُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
 لَيْسَ فِيمَا بَدَأْنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ قَانَ
 فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمَنْبَرُ وَصَوْتُهُ يُسْمَعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ .
 ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ حَوْلِهِ .
 فَصَلَّى وَرَجَعَ فَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ
 أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

بِاللَّهِ رَبِّكَ كَمْ قَصُرَ مَرَدَتْ بِهِ قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِالذَّاتِ وَالطَّرَبِ
 طَارَتْ عَقَابُ الْمُنَايَا فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
 إِعْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعَايِ فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ
 وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْإِنْيَاءَ رُوِيَ دَا لَنْ تَذُودَ الْمُنُونِ عَنْكَ الْمُبَانِي
 إِنَّ هَذَا الْإِنْيَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوِّى . وَالْأَنْهَارَ
 تَفْنَى . وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تَبْلَى . وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكُضَانِ تَرَكَضَ
 الْبَرِيدُ . يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (الطُّرطُوشِي)

إِلَيْنَا خَرَجَهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلَهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ . حَتَّى صَاحَ بِنَا صَاحُ الدَّهْرِ
فَشَنَّتْ مَلَائِنَا . وَالْدَّهْرُ دُوْ نَوَابٍ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنَا فِي أَيَّامِنَا
لَأَزَعَدْتَ فَرَاخُصَكَ فَرَقَامِنَا . فَقَالَ لَهَا سَعْدُ : مَا أَنْعَمَ مَا تَتَعَمَّقُ بِهِ .
قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ الْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ
تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ
قَتْبًا لِلدُّنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ
ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَالْدَّهْرُ يُعْقِبُهُمْ
حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْقَرِيبَيْنِ . فَاتَّكَمَهَا سَعْدُ وَأَمَرَ بِرَدِّهَا
(للطرطوشي)

• قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَرِيهِهِ يَلْقَانِي
وَإِنْ رَمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ وَإِنْ يَصْفِي لِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي الثَّانِي
٣٩ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

يَا دَهْرُ وَنَحْكَ قَدْ اكْتَرَتْ فَجَعَانِي شَغَلَتْ أَيَّامَ دَهْرِي بِالْمَصِيبَاتِ
مَلَأَتْ أَلْحَاطَ عَيْنِي كُلَّهَا مِرْنًا فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَذَائِي
حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا أَقَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَلَذَائِي
قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلٍّ سَحَابَةٍ أَظْلَمْتَكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ أَضْحَكْتَ

٣٦ جَادَبَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَّرَ عَلَيْهِ الْكِنَانِيُّ
وَأَسْتَطَالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

دَغْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍ وَتَسْبِ يُعْلِيكَ سُورَ أَحْجَدٍ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جَنَانَ الْخُلْدِ
(للاصماني)

٣٧ قَالَ غَانِمُ الْوَرَّاقُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ يَوْمَ
فَقَالَ لِي : أَمَعَكَ الْوَأَحْكُ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ اكْتُبْ :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَارَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لِحْظَةٍ لِي إِلَّا نَقَصَانِي بِمِرْهَابِي خُزْوًا
ذَهَبَتْ حِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَجَاوَزْتُهُنَّ لَعِبًا وَلَهْوًا
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالْأَلْهَمُ صَفْحًا عَنَّا وَغَفْرًا وَعَفْوًا
(للشراشي)

نواب الدهر

٣٨ لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْحِيرَةَ قِيلَ لَهُ : هَهُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ
الْمُلُوكِ يُقَالُ لَهَا الْحَرْقَةُ بِنْتُ التُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ
عَقَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْعَتِهَا نَشَرَتْ عَلَيْهَا أَلْفَ
قُطَيْفَةٍ خَزٍّ وَدِيْبَاجٍ وَمَعَهَا أَلْفُ وَصِيفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَجَاءَتْ
كَأَنَّ الْبَلْبَى . فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْمِصْرِ قَبْلَكَ . يُجِبُنِي

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَضَى:

هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَعْطَاهَا اللَّهُمَّا
فَهُمْ فِيهَا يَعِيشُونَ وَيَلْحَقُونَ الْكَرَامَا

ذِكْرُ الْمَوْتِ

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ مِمَّا يَلِي أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ
بَلَغَ فِي التَّخَلِّي مِنَ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَاعْتَرَلَ الْخَاقَ وَلَزِمَ قُلُلَ الْجِبَالِ
وَالسِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى . فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ
هُودٍ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَرْضُ
عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَالْحُمْرَاءِ
وَأَحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَقَائِصِ الْأَعْلَاقِ وَالْجَوَارِي
وَالْحَشَمِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا
انْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلَكِنَّهُ
تُعَوِّزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ انْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ
تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ شِبْهُ لَاشِيءٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ اخْتَصَلَتْ . قَالَ :
تَعَمُّدُ فَتَضَعُ غِطَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدَرُ الْمَدِينَةِ . ثُمَّ
تُرَكِّبُهُ عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلَأَ الْمَوْتِ مَدْخَلَ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ يَمْدُرُ الْبَشَرَ عَلَى مِثْلِ هَذَا . فَقَالَ الْعُلَيجُ : يَا هَذَا أَفْتَخِرُ
بِأَمْرِ تَتَرَكُّهُ غَدًا . وَمِثَالُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ فِي
النُّومِ .

(سراج الملوك للطرطوشي)

فَلَا تَكُ فَرَحَانَا بِهَا حِينَ أَقْبَلْتَ وَلَا تَكُ حَزَنَانَا بِهَا حِينَ وَلَّيْتَ
وَقَالَ آخَرُ :

عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنًا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
وَنَحْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا الْحَبُّ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
وَأَنْشَدَ آخَرُ :

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتُ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا
يُعْظَمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَبَّتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَتُبُوا
٤٠ قَالَ ذُو الْكَلَّاحِ الْحَمِيرِيُّ فِي الدُّنْيَا :

إِنْ صَفَا عَيْشُ أَمْرِي فِي صُبْحِهَا جَرَّعَتْهُ مُمَسِيًّا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِلَ مِنْ أَنْعَمِ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا
قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ :

يَقْصِدُ أَهْلُ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَابِ الدُّنْيَا وَأَفَانَهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُجْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرَبُ أَصْوَاهَا
كَبَّ النَّجُورِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقِلًا فِي السِّجْنِ :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحِبَ إِلَى مَنْزِلٍ ضَنْكٍ
وَقَدْ هَدَبْتُكَ النَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا صَفَا الذَّهَبُ الْأَبْرِيضُ قَبْلَكَ بِالسَّبَكِ
أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ لِمَنْكَ مَحْبُوسًا عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكَ
أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي السِّجْنِ بُرْهَةً قَالَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمَلِكِ

أَيَا هَذَا تَجَهَّزَ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
 فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ
 ٤٣ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ تَجَالِسَهُ وَأَخْضَرَ
 أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَقَالَ لَهُ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ هَذِهِ الدُّنْيَا .
 فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْفُصُورِ
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 يُسْمَعِي عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَهَيْتَ لَدَى الرُّوَّاحِ أَوْ الْبُكُورِ
 فَقَالَ : حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
 فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مُوقِفًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ
 فَبَكَى الرَّشِيدُ . فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لِيُسِيرَهُ فَخَزَنَتْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَعُهُ فَإِنَّهُ رَأَى فِي عَمِّي فِكْرَهُ أَنْ يَزِيدَنَا
 مِنْهُ (للفجري)

٤٤ أَلْشَّدَّ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :
 الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لَا سُوقَةَ يَبْنَى وَلَا مَلَكَ
 مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاكِ مَا مَلَكَوْا
 وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَأْتِ مِنَ الْمَوْتِ فِي طَرَفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَتَّرَتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

٤٢ قَالَ الْمَتَنِّي :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ فَمَا بَالُنَا نَعَاثُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مِثَّةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِهِ أَتَى
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالْذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى
قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَنَذَرَ الْأَحِبَّةَ فِي الْقُبُورِ :

ضَمَّتْ لَنَا أَرَامَنَا الْأَرَامَا فَكَانَ ذَلِكَ الْعَيْشَ كَانَ مَنَامَا
يَا وَاقِفِينَ عَلَى الْقُبُورِ تَعَجَّبُوا مِنْ قَائِمِينَ كَيْفَ صَادُوا نِيَامَا
تَحْتَ التُّرَابِ مُوسِّدِينَ أَكْثَهُمْ قَدْ عَايَنُوا الْحَسَنَاتِ وَالْأَثَامَا
لَا يُوقِظُونَ فَيُخَيِّرُونَ بِمَا رَأَوْا لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ قِيَامَا
وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

قِفْ وَاعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
بِالْأَمْسِ كُنْتَ نَظِيرُكُمْ وَالْيَوْمَ آتَرَانِي الْبَرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطَفَ بِنَا وَأَرْحَمَ عِظَامَا فِي الثَّرَى

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيِّ أَمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحًا أَيَّ إِقْبَالٍ

مُتٌ وَخَدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِيَ
قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَلَيْنَ أَصْنَى نَصِيحُ
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَصِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَأَجَا لُ الْمُنَايَا لَا تَرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَيِّ الدَّرَدَاءِ : مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ الْعُمَرَانِ
إِلَى الْخُرَابِ (لباء الدين)

مِمَّا وَجِدَ عَلَى قَبْرِ :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهْنٌ سَكُوتُ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَمْرِ بَلَاغَةٍ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَالِطَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسَوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ وَالْمَوْتُ لِحَوْلِكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ
قَالَ آخَرُ :

تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَإِعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَيْءَ نَازِلُ
نَعِيمِكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلٍ رَاصِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

وَأَعْلَمَ بَانَ سِهَامِ الْمَوْتِ قَاصِدَةً لِكُلِّ مُدَرِّعٍ مِنَّا وَمُتَرِّسٍ
وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
وَتُضْبِعُ تَبْنِيهَا كَمَا أَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرٌ
وَتَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُفَاخِرٌ وَمَمَوَاكَ بَيْتٌ فِي الْقُبُورِ صَغِيرٌ
وَدُونَكَ قَاضِغٌ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَنْظُرْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ فِي مَهَلٍ مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التَّفَكُّيرُ وَالنَّظَرُ
قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَأَنْظُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا لِلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتَرُ الْخَفَرُ
فَفِيهِمْ لَكَ يَامَرْوَرُ مَوْعِظَةٌ وَفِيهِمْ لَكَ يَامُغْتَرُّ مُعْتَبَرٌ
٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَنِّي يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
سَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحُمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَضْجِعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَعْتَنِي الْخُتُوفُ فِي التُّرْبِ يَا ذَلَّ مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطَلُّعِي

٥٠ جَاءَ فِي التَّفْهِيمِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَآخِرُ جُؤَا مِنْ الدُّنْيَا قُلُوبُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ وَلَغَيْرَهَا خُلِقْتُمْ (لبهاء الدين)

كَمْ مِنْ لَيَالٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكَرُّرِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ . وَحَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ النَّوْمَ . لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ نَيْتُكَ غَرَضُ الدُّنْيَا وَجَذَبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا وَالْمُبَاهَاةَ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمْثَالِ قَوْلُ لَكَ ثُمَّ وَيْلُ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ تَهْدِيبَ أَخْلَاقِكَ وَكِبَرِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ . وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

سَهَرُ الْعُيُونِ لَغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَبُكَاءُهُنَّ لَغَيْرِ قَفْدِكَ بَاطِلٌ
(أيها الولد للغزالي)

وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ ذُو الرُّمَّةِ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفَتْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ
عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا اخْتَضَرَّتْ
وَقَارِجَ الْكَرْبِ زَحْرِي عَنِ النَّارِ
في الحرف

٥١ سَيَّلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْحَافِيَيْنِ لِلَّهِ . فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا

٤٧ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبْرُّ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يُجِلُّ تَخْلِصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
دَخَلَ الْعَتَبِيُّ الْمَقَابِرَ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

سَقَمًا وَرَعِيًا لِإِخْوَانٍ لَنَا سَلَفُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
نَحْنُهُمْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ
٤٨ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ . وَالْحَالِ الْمَقْفَرَةِ . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . ثُمَّ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْهَا
خَلَقْنَا وَإِلَيْهَا مَعَادُنَا وَعَلَيْهَا مَحْشَرُنَا . طَوْبِي لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ الْحَسَنَاتِ
وَقَفَعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لابن عبد ربّه)

٤٩ الْإِيَّامُ خَمْسَةُ يَوْمٍ مَفْقُودٌ . وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَيَوْمٌ مُورُودٌ . وَيَوْمٌ
مَرُوعُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . فَالْمَفْقُودُ أَمْسَكَ الَّذِي فَاتَكَ مَعَ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ .
وَالْمَشْهُودُ يَوْمُكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَتَرَوُدُ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ . وَالْمُورُودُ
هُوَ عَذَابُكَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ أَيَّامِكَ أَمْ لَا . وَالْمُوهُودُ هُوَ آخِرُ
أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُ نُصْبَ عَيْنِكَ . وَالْمَمْدُودُ هُوَ آخِرَتُكَ
وَهُوَ يَوْمٌ لَا أَنْقِضَاءَ لَهُ . فَاهْتَمَّ لَهُ غَايَةُ اهْتِمَامِكَ فَإِنَّهُ إِمَّا نَعِيمٌ دَائِمٌ
أَوْ عَذَابٌ مُخَلَّدٌ

مُوتَ . وَأَمَّا حَسَنَاتُكَ فَأَلْهَ عَنْهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَحْصَاهَا مِنْ لَا يَأْسَاهَا
 ٥٣ حُكِيَ أَنَّهُ حَالَكَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ ثَوْبًا وَتَأْتَقَ فِي صَنْعَتِهِ . فَلَمَّا
 بَاعَهُ رَدَّ عَلَيْهِ بِعُوبٍ فِيهِ فَبَكَى . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : يَا هَذَا لَا تَبْكُ فَقَدْ
 رَضِيتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا بُكَائِي لِذَلِكَ بَلْ لِأَنِّي بَالَتْ فِي صَنْعَتِهِ
 وَتَأْتَقُ فِيهِ جُهْدِي فَرَدَّ عَلَيَّ بِعُوبٍ كَانَتْ خَفِيَّةً عَلَيَّ . فَأَخَافُ أَنْ
 يُرَدَّ عَلَيَّ عَمَلِي الَّذِي أَنَا عَمَلْتُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (لباء الدين)

٥٤ إَسْمِعْ مِنِّي كَلَامًا تَفَكَّرَ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا . لَوْ أَنَّكَ أُخْبِرْتَ
 أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ الْأُسْبُوعِ يَحِيطُكَ زَائِرًا فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ
 الْمُدَّةِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ السُّلْطَانِ سَيَقَعُ عَلَيْهِ
 مِنَ الثِّيَابِ وَالْبَدَنِ وَالْأَرْشِ وَالْغَرَاهَا . وَلَا تَتَفَكَّرْ إِلَى مَا
 أَشْرَبْتَ بِهِ فَإِنَّكَ فِيهِمْ ذِكْرٌ وَالْكَلَامُ الْفَرْدُ يَكْفِي الْكَيْسَ وَالْعَاقِلُ
 تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ
 وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ (أيها الولد للغزالي)

٥٥ مِنْ خُطْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَكُونُوا مِمَّنْ
 خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةُ وَغَرَّتْهُ الْأُمْنِيَّةُ وَاسْتَهْوَتْهُ الْبِدْعَةُ فَرَكَنَ إِلَى
 دَارِ سَرِيعَةِ الْوُزَالِ وَشَيْكَةِ الْإِنْتِقَالِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ
 فِي جَنْبٍ مَا مَضَى إِلَّا كَانَاخَةٍ رَاكِبٍ أَوْ صَرَةٍ حَالِبٍ فَعَلَامٌ تُعْرِجُونَ
 وَمَاذَا تَلْتَظِرُونَ . فَكَا أَنْتُمْ وَمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَمَا
 تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ . فَخُذُوا الْأُهْبَةَ لِأَرْوْفِ الثَّقَلَةِ

اللَّهُ فِي خَافَةٍ وَعِيدِهِ . قُلُوبُهُمْ بِالْخَوْفِ قَرَحَتْ وَأَعْيَنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بَاكِةٌ . وَدُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ
وَأَمُوتُ مِنْ وَرَائِنَا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَانِنَا . وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا . وَعَلَى جَهَنَّمَ
طَرِيقُنَا . وَبَيْنَ يَدَيِ رَبِّنَا مَوْقِفُنَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ
لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فَكَاهِنِينَ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ . شُرُورُهُمْ
مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَخْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ .
صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً لِعُصْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ : عَجَبًا لِمَنْ خَافَ
الْعِقَابَ وَلَمْ يَكْفُ . وَلِمَنْ رَجَا الثَّوَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لابن عبد ربّه)

في التوبة

٥٢ لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفَاةَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي
فَقَصَّرتُ . وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ . فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ
مَنْتَ . وَإِنْ عَاقَبْتَ . فَمَا ظَلَمْتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دَارِهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَّا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْأَمِلِ
تُجَلُّ الذَّنْبُ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ
وَأَمُوتُ يَا بَنِي بَعْدَ دَاعِلَةٍ مَاذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلِ
قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ اجْعَلْ خَطَايَاكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلَى أَنْ

مَنْزِلَكَ الْقَبْرِ. فَأَهْلُ الْمَقَابِرِ يَنْظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ.
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلا زَادٍ
قَالَ شَاعِرٌ:

يَا ذَا الَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ مُسْرُورًا
إِحْرَصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتًى يَكُونُ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مُسْرُورًا
٥٨ رُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أُعْطِيَ شُرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ. فَلَمَّا أَخَذَ
الْقَدَحَ غُشِيَ عَلَى عَفْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا بِأَلَاكَ
يَا أَبَا سَعِيدٍ. قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ النَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ
الْجَنَّةِ: أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ. قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا
عَلَى الْكَافِرِينَ

رُوِيَ فِي وَصَايَا لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِأَنَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ
الذِّكُّ الْكَيْسَ مِنْكَ. يُنَادِي وَقْتُ السَّحْرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ. لَقَدْ أَحْسَنَ
مَنْ قَالَ:

لَقَدْ هَمَمْتُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةً عَلَى فَنٍّ وَهَنًا وَإِنِّي لَنَائِمٌ
كَذَبْتُ وَبَيَّتُ لِلَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ
وَأَزْعَمُ أَتَى هَائِمٌ دُوَّ صَبَابَةٍ لِرَبِّي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ

دُعَاءُ

٥٩ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا. وَمِنَ الْعِصْمَةِ دَوَامَهَا. وَمِنَ
الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا. وَمِنَ الْعَافِيَةِ حُصُولَهَا. وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْعَدَهُ. وَمِنَ

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِقُرْبِ الرِّحْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ عَلَى قَدَمٍ قَائِمٌ .
وَعَلَى مَا خَلَّفَ نَادِمٌ

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَابْسُؤُوا
قِنَاعَ الْخُفَافَةِ . وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعِيَكُمْ اسْتَقَرَّكُمْ . وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى اللَّهِ صَارُونَ . وَلَا يَغْنِي عَنْكُمْ هُنَا لَكَ
إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدْ مَتَّوهُ . أَوْ حَسَنُ ثَوَابٍ حَزَمْتُوهُ . إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُقَدِّمُونَ عَلَى
مَا قَدَّمْتُمْ . وَتَجَارُونَ عَلَى مَا أَسَلَفْتُمْ . فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا
دَنِيَّةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتٍ عَلِيَّةٍ . فَكَأَنَّ قَدْ انْكَشَفَ الْقِنَاعُ وَارْتَفَعَ
الْإِرْتِيَابُ . وَلَا فَيَّ كُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقَرُّ وَعَرَفَ بَوَاهُ وَمُنْقَلَبُهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَهْ يَا ذُلِّي وَيَا حَجَلِي إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا وَنَفَيْتُ النَّوْمَ عَنْ مُقَلِّي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا خَانِفًا عَنْ خِيَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَنِ مَتَكِّي لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُوْنَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : أُسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ .
فَكَيْفَ تَزْجُو نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَّابَةِ
وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

اجْعَلِ الْهَمَّةَ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

بَلَيْتَ عِظَامُكَ وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْقُدُ وَالْبُكَاءُ لَا يَنْقُدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَّاهِ وَأَقْبَاهُ دُونَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُنْجَدًا ضَمَّتْهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْعُلْجُدُ
بِالْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا يَتَجَلَّدِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزَنِ تَجَلَّدُ
٦١ قَالَ ابْنُ الْأَخْفَفِ يَرْثِي أَبْنَاهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى
أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْتِي وَلَدَهَا :

يَا لَيْتَ أُمُّكَ لَمْ تَحْبِلْ وَلَمْ تَلِدِ
يَا قَرَحَةَ الْقَلْبِ وَالْأَخْشَاءَ وَالْكَبِدِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أَدْرَجْتَ فِي كَفْنِ
مُطِيبًا لِلْمَنَآيَا آخِرَ الْأَبَدِ
أَيَقُنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ
وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعُ زَالٍ عَنْ عَضْدِ
قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي أَبْنَاهُ :

بُنِيَ لِي لَنْ صَنَنْتُ جُفُونُ بِمَا هِيَ
لَقَدْ قُرِحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكُمِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ
وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ
قَالَ الْهَيْثَمِيُّ يَرْثِي بَعْضَ أَوْلَادِهِ :

أَصَحَّتْ مُجَدِّي الدُّمُوعَ رُسُومُ
أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِي الْفَوَادِ كُؤُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الْعُمْرَ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ الْإِحْسَانِ أَمَّهُ . وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ . وَمِنَ الْفَضْلِ
 أَعَذَّبَهُ . وَمِنَ اللَّطْفِ أَنْفَعَهُ . اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ اخْتِمْ
 بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا . وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ أَمَالََنَا . وَأَقْرِنِ بِالْعَافِيَةِ عُدُونَنَا
 وَأَصَالََنَا . وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا . وَصُبْ سَيْجَالَ عَفْوِكَ
 عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا . وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي
 دِينِكَ اجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادَنَا . تَبَتُّنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ .
 وَأَعِزَّنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَفَّفْ عَنَّا ثِقَلَ
 الْأَوْزَارِ . وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ . وَانْخَفِنَا وَأَصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ .
 وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتِنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ
 النَّيِّرَانِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (أيها الولد للغزالي)

المرثي

٦٠ قَالَ الْأَضْبَهَانِيُّ فِي الْأَعْيَانِ : لَمَّا رَأَى الْفَلَاسِفَةُ تَابُوتَ
 الْإِسْكَندَرِ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُذْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَ أَهْيَبَ
 مِنْهُ الْيَوْمَ . وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنْتَ حَرَكَةَ
 الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ . وَقَدْ حَرَكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ جَزَعًا لِقَعْدِهِ . وَهَذَانِ
 الْمُعْتَمِرَانِ أَحَذَّهُمَا أَبُو الْقَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ابْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعٍ عَيْنِي فَمَا اغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
 وَكَأَنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْبٍ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ :

٦٥ . قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا صَدِيقَ لِمُتَلَوِّنٍ . وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ .
وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ . وَلَا مَرْوَةَ لِدَنِيٍّ . وَلَا زَعَامَةً لِسَيِّئِ الْخُلُقِ
(مؤنس الوحيد للشمالي)

٦٦ قِيلَ : تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتَخْلُصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . تَجَنَّبْ مِنْ
الْحَسَدِ لِتَخْلُصَ مِنَ الْحُزَنِ . وَلَا تَجَالِسْ جَالِسَ السُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ
الْمَلَامَةِ . وَلَا تَرْكَبِ الْمَعَاصِيَ وَقَدْ خَلَّصْتَ مِنَ النَّارِ . وَلَا تَجْمَعِ الْمَالَ
وَقَدْ اسْتَرَحْتَ مِنْ عَذَابَةِ الْخُلُقِ
(للفرزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءَ :
بِقَدْرِ الْكَذِّ تُكَتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ الْأَيَّامُ
يَنْوُصُ النُّجُومَ مَنْ طَلَبَ الْأَلْيَ وَيَخْطِي بِالسَّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمُرَ فِي طَلَبِ الْحَالِ
٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَاتُ عَلَى سَفِيَانِ الثَّوْرِيِّ نِكَّةً فَوَجَدَتْهُ مَرِيضًا
وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً . فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ . فَقَالَ
لِي : قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي مِنَ النَّاسِ . قَالَ : الْفُقَهَاءُ . قُلْتُ
لَهُ : فَمَنِ الْمُلُوكُ . قَالَ : الزُّهَّادُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ الْأَشْرَافُ . قَالَ :
الْأَتْقِيَاءُ . قُلْتُ فَمَنِ الْغَوَّاءُ . قَالَ : مَنْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ
أَمْوَالَ النَّاسِ . قُلْتُ فَمَنِ السَّفِلَةُ . قَالَ : الظُّلَمَةُ أُولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ

رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَذِيمٍ وَعَظَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا . فَقَالَ

الْبَابُ الثَّالثُ فِي الْحِكْمِ

٦٢ قَالَ الْحَكَمَاءُ : لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ .
وَقَالُوا : إِذَا وَجَدْتُمْ الْحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السِّبْكِ فَخْذُوهَا . وَقَالَ
زِيَادُ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَلْمُزُونَ مِنَّا أَنْ تَتَنَفَّعُوا بِأَحْسَنِ
مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَمْصِيرِي

٦٣ قَالَ الرَّبَّاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِالْمَرْبِدِ : يَا بَنِي رِيَّاحٍ لَا تَحْتَقِرُوا صَغِيرًا
تَأْخُذُونَ عَنْهُ . فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْلِ بِسَالَتِهِ . وَمِنَ الْحِمَارِ صَبْرَهُ .
وَمِنَ الْخَنَزِيرِ حِرْصَهُ . وَمِنَ الْغُرَابِ حِرْزَهُ . وَمِنَ الثَّعْلَبِ رَوَاعَانَهُ .
وَمِنَ السِّنُورِ ضَرَعَهُ . وَمِنَ الْقِرْدِ حِكَايَتَهُ . وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ .
وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ . وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ سِيرَ اللَّيْلِ . وَمِنَ
الْشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ (لابن عبد ربّه)

٦٤ قَالَ كَعْبٌ : اسْتَخِيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَخِيُونَ مِنَ
النَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ . وَقِيلَ : مَنْ يَسْتَخِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخِي مِنْ
نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ :

اسْتَخِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَخِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

وَالْبَعِينُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُخَدَّيْهَا . إِنْ كَانَ مِنْ جِزْيَها أَوْ مِنْ أَعَادِيها
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا . وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَنْصِيها
٧٢ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا يُنْذَمُ عَلَى مَا سَلَفَ إِلَيْهِمْ . اللَّهُ فِي عَمَلٍ لَهُ
وَالْمَوْلَى الشُّكُورُ فِيمَا أُنْصِي إِلَيْهِ . وَالْأَرْضُ الْكَرِيمَةُ فِيمَا يَنْدِرُ فِيهَا .
وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا . ظِلُّ الْعَمَامِ . وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ . وَالنَّشَاءُ
الْكَاذِبُ . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . الْغَنَى فِي النَّفْسِ .
وَالشَّرَفُ فِي التَّوَاضُّعِ . وَالْكَرَمُ فِي التَّقْوَى . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ
إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ذُو الْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْإِقْدَاءِ . وَذُو الْأَمَانَةِ لَا
يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ . وَالْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ

النَّوَابِ

٧٣ قَالَ أَبُو وَبُرْدٍ لِكَاتِبِهِ : أَعْلَمُ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَتِ أَرْبَعٌ . إِنْ أُلْغِيَ
لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ . وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ . وَهِيَ سُؤَالُكَ
الشَّيْءَ . وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ . وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ . وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ .
فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْبِجْ . وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِعْ . وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ . وَإِذَا
أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وَاجْمَعْ الْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي الْفَلِيلِ بِمَا تَقُولُ (يُرِيدُ
الْكَلَامَ الَّذِي تَقُلُ حُرُوفُهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ . أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وَدَّهُ .
وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ . وَيَسْتَفْرِغُ فِي مَهْمِكَ جُهْدَهُ . وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ
بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ . ذُو رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يَتِمَّقُ لَكَ بِإِسَانِهِ .

لَهُ عُمْرُ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. مَا هُوَ إِلَّا
أَنْ تَقُولَ قُطَاعَ. فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادِر القليوبي)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَمَّا اخْتَضَرَ ذُو الْإِصْبَعِ دَعَا ابْنَهُ أَسِيدًا. فَقَالَ
لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشٍ حَتَّى سَمِعَ الْعَيْشَ. وَإِنِّي
مُوصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَّغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ. فَأَحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ
جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ. وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ. وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ
يُطِيعُوكَ. وَلَا تَسْتَأْذِنْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَسْوَدُّوكَ. وَأَكْرَمْ صِغَارَهُمْ كَمَا
تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ. وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ. وَاسْمَعْ
بِمَالِكَ. وَأَعِزْ زَجَارَكَ. وَأَعِنْ مَنْ اسْتَعَانَ بِكَ. وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ.
وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيحِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَنْدُوكَ. وَصُنْ وَجْهَكَ
عَنْ مَسْئَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُكَ (للاصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَهْكَأَ
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ. فَقَالَ: أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ. وَتَجَرُّبَةُ الْأُمُورِ. وَحُسْنُ التَّنَبُّهِ. وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ
أَشْيَاءَ: الْإِسْتِبْدَادُ. وَالْتِهَانُ. وَالْعَجَلَةُ (لابن عبد ربّه)

٧١ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقُ مُطَهَّرَةٌ فَالِدِّينُ أَوْلَاهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلَامُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيهَا

٧٩ قَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْفَلْ قَلْبَكَ بِهَا
فَإِنَّكَ لَمْ تَخْلُقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ
نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عِقَابًا لِلْعَاصِينَ . يَا بُنَيَّ لَا تَصْحَكُ
مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمَسَّ فِي غَيْرِ أَرْبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ . يَا بُنَيَّ
لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُضِلَّ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ
مَا تَرَكْتَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمِ يَرْحَمُ . وَمَنْ يَهْتُمَّ يَسْلَمُ . وَمَنْ يَقُلِ
الْخَيْرَ يَنْفَعُ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْثُمُ . وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمُ .
يَا بُنَيَّ زَاكِمُ الْعُلَمَاءِ يَرْكَبُكَ . وَأَنْصَتُ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ
يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي :
يَا بُنَيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصَّبَا . فَالْزِمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ .
وَلَا تَرَايِلِهِ فَتَسِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغُرَّنْكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ
نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَا رَضِيَ . قَالَ فِيكَ
مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمَ
مِنْ غَيْبِ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعِينَاءِ :

إِذَا اعْتَجَبْتَ خِصَالِ أَمْرِي فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ
فَلَيْسَ عَلَى الْمُجْدِّ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ يُعْجِبُكَ
٨٢ مِنْ كَلَامِ أُمَيْرِئُسَ : إِيْتَهُمْ أَخْلَاقُكَ أَلْسِنَةً فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَآيَانِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ كَمَا
تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ
عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرِ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ
بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلٍ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى
قَوْلٍ مَا لَمْ تَقْعَلْ (لابن عبد ربّه)

٧٦ أَشَدَّ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْلُومُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى

كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَزَاكَ تُضِلُّ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
فَأَبْدَأْ بِنَفْسِكَ وَأَنْهَمَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ لِلْإِسْكَندَرِ : إِنَّ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا
قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَاحْذَرِ مِنْ أَنْ يَقُولُوا تَسْلَمُ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا

٧٨ قَالَ الْعُتْبِيُّ : اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا :
لَا نَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا نَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ .
وَلَا نَتَّقِ بِأَمْرَةٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعُ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يُغْنِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزُمُنِي أَنْ يَقْبَلَ بَلْ يَلْزُمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا
قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ النَّاصِحِ
الطَّنْ مَوْفِعًا مِنْ مَلِكِ الْكَاشِخِ (لبهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَالْبَسْ مِنَ التَّوْقِيِ اعْزَ مَلْبَسَ
وَأَدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَأَخْرَجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ آخِرَسَ
٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مِنْ أَحْسَنَ عِشْرَتِكَ . وَعَمَلُكَ مِنْ عَمَلِكَ
خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مِنْ قَرَبٍ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُفْرَاطُ وَهُوَ تَلْمِيزُ فِتْيَانُ غُرُسَ الْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَلْتَ
الْحِكْمَةَ خَدِمْتَ الشَّهَوَاتِ الْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرْتَ خَدِمْتَ الْعُقُولُ
الشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ يَمَنٌ يَرَى الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ
وَلَا يَرَى الْجُدْعَ الْمَعْتَرِضَ فِي حَدَقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَحْفُ بِهِمْ . السُّلْطَانُ

إِلَى حَاجَتِهَا مِنَ الدُّنْيَا كَانَتْ كَالْحَطْبِ لِلنَّارِ وَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا
عَزَلَتْهَا عَنْ مَادِيهَا وَحُلَّتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى انْطَفَأَتْ كَانْطِفَاءُ النَّارِ
عِنْدَ فَقْدَانِ الْحَطْبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَاكِ السَّمَكِ عِنْدَ فَقْدَانِ الْمَاءِ
٨٣ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

إِذَا طَالَبْتِكَ النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي الْخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَالَفَ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعَتْ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ
٨٤ وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَقْلُهُ الشَّيْخُ الْمُقِيدُ فِي الْإِرْشَادِ : كُلُّ
قَوْلٍ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَعْنٌ . وَكُلُّ صَمْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَمٌّ .
وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَلَهْوٌ

٨٥ وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : إِنْ مَرَّتْكَ الصَّغِيرَةُ وَمَرَّتْكَ الْكَبِيرَةُ
سَيَّانٍ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . فَقَالُوا : الْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنْ
الدَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ الدَّرَّةَ

٨٦ (سَانِحَةٌ) غَفَلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ . وَأكْبَرُ
الذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ أَنَا مِنْ الْأَنَاتِ أَوْ لَنَحَةٍ مِنَ اللَّحَاحَاتِ . حَتَّى إِنْ
أَهْلَ الْقُلُوبِ عَدُّوا الْغَافِلَ فِي أَنْ الْغَفْلَةَ مِنْ جُلَّةِ الْكُفَّارِ . وَكَمَا يُعَاقَبُ
الْعَوَامُّ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ . كَذَلِكَ يُعَاقَبُ الْخَوَاصُّ عَلَى غَفْلَاتِهِمْ . فَاجْتَنِبِ
الْإِخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ
زُمَرَةِ أَهْلِ الْكَمَالِ

٨٧ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ : لِيَكُنْ عَمَلُكَ دُونَ بَيْنِكَ .

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ . وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِمَّنْ يُشْفَعُ
 فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ . وَعُودٌ خِلَالٍ مِنْ وَصَالِكَ أَنْفَعُ
 قَالَ عُمَرُ لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ
 أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مَرَاةُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
 سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ .
 مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الْحَسَنُ : أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي
 الْمَنَافِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعْمَلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمُطْلِ ذِمًّا .
 وَاعْلَمُوا أَنَّ خَوَانِجَ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحُولَ
 نِفَمًا . وَأَنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مِنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَغْنَى النَّاسِ
 مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا
 تُدْرِكُ . وَلَا تَعْدُ بِمَا لَا تُقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُتَفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ .
 وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ
 طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِحَلِيسِيِّ عَلِيٍّ ثَلَاثُ . أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا
 أَقْبَلَ . وَأَنْ أَوْسِعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأُصْنِعِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
 ١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ .
 وَدَعِ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تَمَارِنَنَّ

وَالْعَالِمُ وَالصَّادِقُ . فَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنْ
اسْتَحَفَّ بِالْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالصَّادِقِ ذَهَبَتْ مَوَدَّتُهُ
(لبهاء الدين)

٩٥ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ وَالْقُوَّةُ
فَلَا تَتَّقِ بِأَمَالٍ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ
قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بَلَدًا لَيْسَ فِيهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ
حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَيِّبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٍ . وَسُوقٌ قَائِمٌ
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثُ مُهْلَكَاتٍ وَثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ . فَأَمَّا
الْمُهْلَكَاتُ . فَشَحُّ مَطَاعٍ . وَهَوَى مُتَبِعٍ . وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا
الْمُنْجِيَّاتُ . فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ . وَالْفَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .
وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَاءِ وَالْغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ نَحَاسِينَ غَيْرِهِ . وَإِذَا
أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ نَحَاسِينَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا .
فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شَجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجٌ . وَإِنْ كَانَ
لَسَنًا قِيلَ : مَهْدَارٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تَرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ وَلَمْ يَكُ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعٌ

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ لِمَرَارِ بْنِ: أَوْصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةٌ أَنْفُسِكُمْ. وَاسْتِقَامَةٌ أُمُورِكُمْ. أَوْصِيكُمْ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ. وَاجْتِنَابِ التَّفَاخُرِ. وَالْإِصْطِبَارِ عَلَى الْقَنَاعَةِ. وَالرِّضَاءِ بِالْحُظُوظِ. وَأَوْصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمَلُ. وَأَنَّهَا كُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَفْجُ قَالَ ابْنُ السَّمَّالِ: الْكَمَالُ فِي خَمْسٍ. أَنْ لَا يَعْيبَ الرَّجُلُ أَحَدًا يَعْيبُ فِيهِ مِثْلُهُ. حَتَّى يُصْلِحَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ. فَإِنَّهُ لَا يَفْرَغُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرَ. فَتَشْغَلُهُ عِيُوبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ. وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلَقَ لِسَانُهُ وَيَدُهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي طَاعَةِ ذَلِكَ أَمٍ فِي مَعْصِيَةٍ. وَالثَّلَاثَةُ أَنْ لَا يَلْتَمِسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلُهُ. وَالرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بِاسْتِشْعَارِ مُدَارَاتِهِ وَتَوْفِيتِهِمْ حُقُوقَهُمْ. وَالْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ. وَيُسْكِنَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ

١٠٥ قَالَ حَاتِمُ الزَّاهِدُ: إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ فَقَدْ خُنْتَهُ. وَإِنْ قُلْتَهُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ أُغْتَبِتَهُ. وَإِنْ وَاجَهْتَهُ فَقَدْ أَوْحَشْتَهُ. فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ. قَالَ: تَكْنِي عَنْهُ وَتَعْرِضُ بِهِ. وَتَجْمَلُهُ فِي جُمْلَةِ الْحَدِيثِ

١٠٦ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَافِيًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: الْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا. وَالْخَيْرُ فِيهِ مَأْمُولًا. وَيُقْتَدَى بِأَهْلِ الْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَيَكُونُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ. وَحَتَّى يَكُونَ الذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ

حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا . فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُطْفِئُكَ . وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَادْكُرْ أَخَاكَ
إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعُهُ مِمَّا
تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَدْلُ . وَاعْمَلْ عَمَلَ أَمْرِي يَعْلَمُ أَنَّهُ
مُجْزِي بِالْإِحْسَانِ مَأْخُودٌ بِالْإِجْرَامِ .

١٠١ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمَالُ الْمَرْءِ فِي خِلَالِ ثَلَاثٍ . مُعَاشَرَةِ
أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْفِطْنَةِ . وَمُدَارَاةِ النَّاسِ بِالْمُعَاشَرَةِ الْجَمِيلَةِ . وَالْاِقْتِصَادِ
مِنْ بُخْلِ وَاسْرَافِ

قَالَ بَرْجُمُورُ كِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ .
قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَابِ . وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلَى
الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْفَهُمْ

١٠٢ قَالَ بِهِرَامُ جُورُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ التَّائِبُ عِنْدَ مَا
يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَإِنَّ الرَّجُوعَ عَنِ التَّائِبِ أَحْسَنُ مِنَ الرَّجُوعِ عَنِ
الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةُ بَعْدَ الْمَنَعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنَعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ . وَالْإِقْدَامُ
عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّائِبِ خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَالِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

١٠٣ وَقَالَ كِسْرَى لِحُكَمَاءِ الْفَرَسِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ : لَيْتَكُمْ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِكَلِمَاتٍ وَلَا يَكْثُرُهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خَيْرُ الْمُلُوكِ أَرْحَمُهُمْ
ذُرْعًا عِنْدَ الضِّيقِ . وَأَعْدَلُهُمْ حُكْمًا عِنْدَ الْغَضَبِ . وَأَرْحَمُهُمْ إِذَا سَلِطَ .
وَأَبَدُهُمْ مِنَ الظَّالِمِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . وَأَطْلَبُهُمْ لِرِضَاءِ الرَّعِيَةِ . وَأَبْسَطُهُمْ
وَجْهًا عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ . فَقَالَ كِسْرَى : حَسْبِيَ هَذَا لَا أُرِيدُ عَلَيْهِ مَزِيدًا

وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْهَذَرَةِ . وَأَضْفَحَ عَنِ الزَّلَّةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ . وَاسْتَصْلَحَ
 كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ . وَلَا تَضِعْ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَلَيَبْنَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ
 أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ . وَأَنَّكَ مَا تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ
 يَبْقَى لَكَ ذَخْرُهُ . وَمَا تُؤَخِّرُ يَكُنْ لغيرِكَ خَيْرُهُ . وَاحْذَرِ صُحْبَةَ مَنْ
 يَفِيلُ رَأْيَهُ وَيُنْكِرُ عَمَلَهُ . فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَاحْذَرِ مَنَازِلَ
 الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . وَاقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا
 يَنْبَغُكَ . وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مُحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ
 الْفِتَنِ . وَأَطِعِ اللَّهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَاضِلَةٌ عَلَى مَا
 سِوَاهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ
 الدُّنْيَا . وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَشْرَارِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ . وَفِرَّ إِلَى
 اللَّهِ وَاجِبٍ أَحِبَّاءَهُ . وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ
 وَالسَّلَامُ

(لبهاء الدين العاملي)

نخبة من الرجوة ابن مكناس

١٠٩ هَلْ مِنْ فِتْنٍ ظَرِيفٍ . مُعَاشِرٍ لَطِيفٍ . يَسْمَعُ مِنْ مَقَالِي . مَا يُرْخِصُ
 اللَّالِي . أَمْنَهُ وَصِيَّةً . سَارِيَةً سَرِيَةً . تُبْرِئُ فِي الدِّيَارِ . كُلَّمَا السَّرَاجِ .
 رَشِيقَةً الْأَلْفَاطِ . تَسْهُلُ لِلْخَفَاطِ . جَادَتْ بِهَا الْقَرِيحَةُ . فِي مَعْرِضِ
 النَّصِيحَةِ . أَنَا الشَّفِيقُ النَّاصِحُ . أَنَا النُّجْدُ الْمَازِحُ . إِنْ تَبَتَّغِ الْكِرَامَةَ .
 وَتَطَلَّبِ السَّلَامَةَ . اسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبَ . تَرَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبَ .

إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَحَتَّى يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِنَ الْفَنَى فِي الْحَرَامِ . وَحَتَّى يَكُونَ عَيْشُهُ الْقَوْتُ . وَحَتَّى يَسْتَقِيلَ
الْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ . وَيَسْتَكْثِرَهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطَلَبِ الْخَوَانِجِ
قَبْلَهُ . وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقِيلَ أَحَدًا إِلَّا رَأَى أَنَّهُ دُونَهُ

(للمستعصي)

١٠٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا فِي مُخَاصَمَةٍ وَلَوْ يَكُونُ ضَعِيفَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلِلْبُعُوضَةِ فِي الْجُرْحِ الْمَدِيدِ يَدٌ تَنَالُ مَا قَصَرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ
١٠٨ (مِنْ أَلْتَهْمِجِ) . كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَارِثِ الْأَمْدَانِيِّ :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الدِّينِ . وَاتَّقِصَّحْهُ وَأَجِلْ حَلَالَهُ . وَحَرِّمْ حَرَامَهُ . وَصَدِّقْ
بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا
يُشَبِّهُ بَعْضًا وَآخِرَهَا لَا حِقْ بِأَوَّلِهَا . وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ . وَعَظِيمٌ أَسَمٌ
أَلَّهُ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ . وَكَثُرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَلَا
تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ طَوِيقٍ . وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ .
وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ . وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحْيَا
مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ . وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سِئِلَ صَاحِبُهُ عَنْهُ أَنْكَرَهُ
وَأَعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْمِ . وَلَا تُحَدِّثْ
بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا . وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ
بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا . وَانْكُظِمِ الْغَيْظَ . وَأَحْلُمِ عِنْدَ الْغَضَبِ .

وَلَا تَقْنَأَنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَلْتَ عِلْمًا فَقَدْ اكْتَفَيْتَ . بَلْ نَحْتَاجُ إِلَى
مُرَاعَاتِهِ لِنَجْمِي وَلَا يَنْقُصَ . وَمُرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمُذَاكِرَةِ وَالتَّفَكُّرِ
وَأَشْتِقَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالْتَّحْظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِقَالِ
الْعَالِمِ بِالْتَّعَلُّمِ وَالتَّضَنُّفِ . وَإِذَا تَصَدَّيْتَ لِتَعَلُّمِ عِلْمٍ أَوْ لِمُنَاطَرَةٍ
فِيهِ فَلَا تَمُزِّجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ . فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ مَكْتَفٍ بِنَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ
عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنَّ اسْتِعْمَالَكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجَزَ عَنْ اسْتِفَاءِ أَقْسَامِهِ
كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِلُغَةٍ فِي لُغَةٍ أُخْرَى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهَلَ بَعْضَهَا

(قَالَ) وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السَّيَرِ
وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمْرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَذْرَكَ الْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ وَعَاصِرَهُمْ وَعَاشِرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

(قَالَ) وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تَحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا .
وَتَعْرِضْ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَتَبَّاتَ وَلَا تَجَلَّ
وَلَا تَعْجَبَ . فَمَعَ انْجِبِ الْعَثَارُ وَمَعَ الْإِسْتِبْدَادِ الزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَعْرِقْ
جَبِينَهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَعْرِقْ فِي الْفَضِيلَةِ . وَمَنْ لَمْ يُخْجَلُوهُ لَمْ
يُجَلِّهِ النَّاسُ . وَمَنْ لَمْ يَكْتُوهُ . لَمْ يُسَوِّدْ . وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ التَّعَلُّمِ .
لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يُفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ
وَالْتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِتَسَابُحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ
فَيَتَسَرَّبُ بِهِ لُبُّكَ وَيَتَعَجَّنُ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا
حَدَّثَ لَكَ قَرْحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

أَوْ طَالَعَتْهُ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَيُزَكِّي نَفْسَكَ
(لِهَا الْوَلَدُ لِلْغَزَالِي يَتَصَرَّفُ)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ (قَالَ) يَتَّبِعِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى
مَنَامِكَ . وَتَنْظُرَ مَا أَكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللَّهَ عَلَيْهَا .
وَمَا أَكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْهَا وَتُطْلِعَ عَنْهَا . وَتَرْتَّبَ فِي
نَفْسِكَ مَا تَعْمَلُهُ فِي عَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَتَسْأَلَ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَى
ذَلِكَ

(وَقَالَ) أَوْصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْعُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقَتْ
مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ . وَعَلَيْكَ بِالْأَسْتَاذِينَ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ
اِكْتِسَابَهُ . وَلَوْ كَانَ الْأَسْتَاذُ نَاقِصًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ أَكْمَلَ
مِنْهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْحِيهِ وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ
فَأَفْعَلْ . وَإِلَّا فِلِسَانِكَ وَثَنًا نَاكِلًا . وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَأَحْرِصْ عَلَى
الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَمْلِكَ مَعْنَاهُ . وَتَوْهَمَ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عَدِمَ
وَأَنَّكَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُ لَا تَحْزَنُ لِفَقْدِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكْبَأً عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفْهَمُهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ
بِآخَرٍ مَعَهُ . وَأَصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ
أَنْ تَشْتَغَلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَوَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ
سَلْتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطْرَكَ . فَأَنْتَقِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَأَمَّا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا بِلا سَبَبٍ . وَتَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْلُبَهَا
 طَلَبَ مِثْلِهَا . وَهَذَا ظَلَمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ . وَلَكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ الرَّجُلُ فِي
 الْعِلْمِ وَشَهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمُنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ
 الدُّنْيَا صَاحِرَةً فَأَخَذَ مَا أَهْدَتْهُ وَمَا وَجَّهَتْهُ مَوْفُورٌ . وَعَرَضَتْهُ وَدَيْنُهُ مَصُونٌ
 وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعِلْمِ عِبَقَةً وَعَرَفًا يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ . وَنُورًا وَضِيَاءً
 يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ . كِتَابُكَ مِسْكٌ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ . وَلَا تَجْهَلُ
 بِضَاعَتِهِ . وَكَنْ يَمِشِي بِمَشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُدْلِهِمْ . وَالْعَالَمُ مَعَ هَذَا
 مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ . وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ . وَيُؤْتِرُ
 قُرْبَهُ وَيَأْنِسُ بِهِ . وَيَرْتَاحُ بِمَدَانَاتِهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلُومَ تَغُورُ . ثُمَّ تَتَوَرَّدُ . تَغُورُ فِي زَمَانٍ . وَتَغُورُ فِي
 زَمَانٍ . بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ أَوْ عَيُونِ الْمَلِيَّاهِ . وَتَتَقَبَّلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .
 وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ .

(قَالَ) أَجْعَلْ كَلَامَكَ فِي الْغَالِبِ بِصِفَاتٍ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا
 فَصِيحًا فِي مَعْنَى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسَنٍ . فِيهِ الْغَاثُ مَا وَابِيَاهُمْ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ .
 وَلَا تَجْعَلْهُ مَهْمَلًا كَكَلَامِ الْجُمْهُودِ بَلْ رَفِعَهُ عَنْهُمْ وَلَا تَبَاعِدْهُ عَلَيْهِمْ جِدًّا .
 (وَقَالَ) إِيَّاكَ وَالْهَذَرَ وَالْكَلامَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي . وَإِيَّاكَ وَالسَّكُوتَ فِي
 مَحَلِّ الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ النَّوْبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِاسْتِخْرَاجِ حَقِّهِ . أَوْ اجْتِلَابِ
 مَوَدَّةٍ . أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ . وَإِيَّاكَ وَالصَّحْكَ مَعَ كَلَامِكَ . وَكَثْرَةَ
 الْكَلَامِ . وَتَبْتِيرِ الْكَلَامِ . بَلْ أَجْعَلْ كَلَامَكَ سَرْدًا بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ .

الرَّوَالِ وَأَصْنَافَ الْمُنْعَصَاتِ . وَإِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ فَاسْتَزِجْ . وَإِذَا
 أَعْتَرَتْكَ غَفْلَةٌ فَاسْتَغْفِرْ . فَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَالْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
 زَادَكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى فَاطْلُبْ مَنَاءَهُ
 لَا يَدَاكَ فِيهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عُيُونُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ يُرِيهِمْ خَيْرَهُ
 وَإِنْ أَخْفَاهُ . وَشَرَّهُ وَإِنْ سَتَرَهُ . فَبَاطِنُهُ مَكْشُوفٌ لِلَّهِ . وَاللَّهُ يَكْشِفُهُ
 لِعِبَادِهِ . فَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ بَاطِنَكَ خَيْرًا مِنْ ظَاهِرِكَ . وَسِرَّكَ أَصَحَّ مِنْ
 لَبَائِكَ

وَلَا تَتَأَلَّمْ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْكَ الدُّنْيَا . وَلَوْ عَرَضَتْ لَكَ لَسَعَلَتْكَ
 عَنْ كَسْبِ الْفَضَائِلِ . وَقَلَمَّا يَتَعَلَّقُ فِي الْعِلْمِ ذُو الثَّرْوَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 شَرِيفَ الْأَهْلِ جَدًّا . وَأَنْ يُثْرِيَ بَعْدَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَإِنِّي لَا أَقُولُ :
 إِنَّ الدُّنْيَا تُعْرِضُ عَنْ طَالِبِ الْعِلْمِ بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْرِضُ عَنْهَا . لِأَنَّ
 هِمَّتَهُ مَصْرُوقَةٌ إِلَى الْعِلْمِ فَلَا يَبْقَى لَهُ الْفُتَاتُ إِلَى الدُّنْيَا . وَالْدُّنْيَا إِنَّمَا
 تَحْصُلُ بِحَرَصٍ وَفِكْرٍ فِي وُجُوهِهَا . فَإِذَا غَفَلَ عَنْ أَسْبَابِهَا لَمْ تَأْتِهِ .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَشْرُفُ نَفْسُهُ عَنِ الصَّنَائِعِ الرَّذَلَةِ
 وَالْمَكَايِبِ الدَّنِيَّةِ . وَعَنْ أَصْنَافِ التِّجَارَاتِ . وَعَنْ التَّدْثُلِ لِأَرْبَابِ
 الدُّنْيَا . وَالْوُقُوفِ عَلَى آبَائِهِمْ . وَبَعْضِ إِخْوَانِنَا بَيْتُ :

مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ أَقَاتَهُ شَرُّ الْعُلُومِ دَنَاءَةُ التَّحْصِيلِ
 وَجَمِيعُ طُرُقِ مَكَايِبِ الدُّنْيَا تَحْتَاجُ إِلَى قَرَاغٍ لَهَا . وَحِذْقٍ فِيهَا .
 وَصَرَفِ الزَّمَانِ إِلَيْهَا . وَالْمُسْتَعْلِ بِالْعِلْمِ لَا يَسْمَعُ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ .

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ

من دثر اللّٰلِي لعلِّي بن أبي طالب

١١٢ (١). إِيْمَانُ الْمَرْءِ يُعْرَفُ بِإِيْمَانِهِ . أَدَبُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ .
 آدَاءُ الدِّينِ مِنَ الدِّينِ . أَحْسَنُ إِلَى الْمُسِيءِ تَسَدُّ . إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ
 جَوَاسِيسُ الْعُيُوبِ . أَخُوكَ مِنْ وَاسَاكَ يَلْتَبِ لَمْ مِنْ وَاسَاكَ يَلْتَبِ .
 (ب) . بَشِّرْ نَفْسَكَ بِالْظَّفَرِ بَعْدَ الصَّبْرِ . بَرَكَةُ الْمَالِ فِي آدَاءِ الزَّكَاةِ .
 بَيْعُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ تَرْجُحُ . بُكَاءُ الْمَرْءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى قُرَّةُ الْعَيْنِ .
 بَأْسُكَ تَسَعَّدُ . بَطْنُ الْمَرْءِ عَدُوُّهُ . بَرَكَةُ الْعُمْرِ حَسَنُ الْعَمَلِ . بَلَاءُ
 الْإِنْسَانِ مِنَ اللِّسَانِ . بَشَاشَةُ الْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ . (ت) . تَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ يَكْفِكَ . تَدَارَكَ فِي آخِرِ الْعُمْرِ مَا فَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ . تَكَاسَلُ الْمَرْءِ
 فِي الصَّلَاةِ مِنْ ضَعْفِ الْإِيْمَانِ . تَغَافَلَ عَنِ الْمَكْرُوهِ تُوَقَّرُ . (ث) . ثُلْمَةُ
 الدِّينِ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ . ثَبَاتُ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ . ثَوَابُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا . ثَنَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَرِيدٌ . (ج) . جُدْ بِمَا تَجِدُ .
 جَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ وَجَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . جُودَةُ الْكَلَامِ
 فِي الْإِخْتِصَارِ . جَلِيسُ الْمَرْءِ مِثْلُهُ . جَلِيسُ الْمَرْءِ غَنِيَّةٌ . جَالِيسُ الْفُقَرَاءِ
 تَرْدُ شُكْرًا . جَلَّ مِنْ لَا يَمُوتُ . (ح) . حَيَاةُ الْمَرْءِ سِتْرُهُ . حُمُوزَاتُ
 الطَّمَامِ . خَيْرٌ مِنْ حُمُوزَاتِ الْكَلَامِ . (خ) . خَفِ اللَّهُ تَأْمَنُ غَيْرُهُ .

بِمَيْتٍ يُسْتَشْمَرُ مِنْكَ أَنْ وَرَاءَهُ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَأَنَّهُ عَنْ حِمِيرٍ سَابِقَةٍ .
وَنَظَرٍ مُتَقَدِّمٍ

(وَقَالَ) . إِيَّاكَ الْغَلَاظَةُ فِي الْخِطَابِ . وَالْجَفَاءُ فِي الْمُنَاطَرَةِ فَإِنَّ
ذَلِكَ يَذْهَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ قَائِدَتَهُ . وَيَعْدِمُ حِلَاوَتَهُ . وَيَجْلِبُ
الضَّغَائِنَ . وَيُخَيِّقُ الْمَوَدَّاتِ . وَيُضَيِّرُ الْقَائِلَ مُسْتَقْبَلًا . سَكُونَهُ أَشْهَى
إِلَى السَّمَاعِ مِنْ كَلَامِهِ . وَيُثِيرُ النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ
الْأَلْسُنَ بِخَاشَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

(وَقَالَ) لَا تَتَرَفَّعْ بِمَيْتٍ تُسْتَنْقَلُ . وَلَا تَتَنَازَلْ بِمَيْتٍ تُسْتَحْسُ
وَتُسْتَحْقَرُ . (وَقَالَ) أَجْعَلْ كَلَامَكَ كُلَّهُ جَدًّا . وَأَجِبْ مِنْ حَيْثُ تُعْقَلُ .
لَا مِنْ حَيْثُ تُعْتَادُ وَتَأْلَفُ . (وَقَالَ) أَنْتَرَحْ عَنْ عَادَاتِ الصِّبَا . وَتَجَرَّدْ
عَنْ مَأْلُوفَاتِ الطَّبِيعَةِ . وَأَجْعَلْ كَلَامَكَ لَاهُوتِيًّا فِي الْغَالِبِ لَا يَنْفَكُ
مِنْ خَيْرِ أَوْقُولِ حَكِيمٍ . أَوْ بَيْتِ نَادِرٍ . أَوْ مِثْلِ سَائِرِ

(وَقَالَ) تَجَنَّبِ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ . وَثَابِ الْمُلُوكِ وَالْغَلَاظَةَ عَلَى
الْعَاشِرِ . وَكَثْرَةَ الْغَضَبِ . وَتَجَاوَزَ الْحَدِّ فِيهِ . (وَقَالَ) أَسْتَيْكُنُّ مِنْ
حِفْظِ الْأَشْعَارِ الْأَمَلِيَّةِ . وَالنَّوَادِرِ الْحِكْمِيَّةِ . وَالْمَعَانِي الْمُسْتَعْرَبَةِ



الْأَدَبُ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ الذَّهَبِ . (ظ) . ظَلُمَ الْمَرْءُ يَصْرَعُهُ . ظَلَامَةٌ
 الْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَمَأَ الْمَالُ أَشَدُّ مِنْ ظَمَأِ الْمَاءِ . ظَلَّ غَمْرُ الظَّالِمِ قَصِيرٌ
 وَظَلَّ غَمْرُ الْكَرِيمِ فَسِيجٌ . (ع) . عِشْنَ قَتَمًا تَكُنْ مَلِكًا . عَيْبُ الْكَلَامِ
 تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ الظَّالِمِ وَخِيَمَةٌ . (غ) . غَدَرَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْإِسَاءَةِ .
 (ف) . فَارَ مَنْ ظَفَرَ بِالْدينِ . فَخَرُ الْمَرْءُ بِفَضْلِهِ . أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ .
 فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةٌ مِنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ
 الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ . (ك) . كَلَامُ اللَّهِ دَوَاءُ الْقَلْبِ . كُفْرَانُ النِّعْمَةِ
 بُزِيلُهَا . كَفَى بِالشَّيْبِ دَاءً . كَمَالَ الْعَالَمِ فِي الْحِلَامِ . (ل) . لَيْنُ الْكَلَامِ
 قَيْدُ الْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ مَلَامُهُ . مَخَاسُ الْعَالَمِ
 رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ رُكُوبُ الْخَيْرِ . (ن) .
 نَسْيَانُ الْمَوْتِ صَدَأُ الْقَلْبِ . نَحْمُ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمَدِ الْفُرْشِ . نَفَرَةٌ
 أَلْوَجْهِ فِي الصِّدْقِ . (و) . وَلَايَةُ الْأَحَقِّ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . وَحْدَةُ
 الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . (ه) . هَمُّ السَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ الشَّقِيِّ
 دُنْيَاهُ . هَلَكَ الْمَرْءُ فِي الْغُجْبِ . هَرَبَكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ
 مِنَ الْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ . لَا قَتْرَ نَاعِاقِلٍ . (ي) .
 يَعْمَلُ الثَّمَامُ فِي سَاعَةِ فِتْنَةِ أَشْهُرٍ . يَسُودُ الْمَرْءُ قَوْمَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نَبَذَةٌ

من كتاب قُرْطُوبِيَّةِ وَدُرَرِ الْكَلَمِ جَمْعُهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

١١٣ (١) . الدِّينُ يَعْصِمُ . الدُّنْيَا تَسْلُمُ . الصَّيَّانَةُ رَأْسُ الْمَرْوَةِ . الْحَقُّ

خَالَفَ نَفْسَكَ تَسْتَرَحْ. خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الْخَيْرِ. حَلِيلُ
 الْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ. خَوْفُ اللَّهِ يَجْلُو الْقَلْبَ. خُلُو الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلَأْ
 الْكَيْسِ. خَيْرُ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (د). دَلِيلُ عَقْلِ الْمَرْءِ
 فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ. دَوَامُ السُّرُورِ بَرُوءَةٌ الْأَخْوَانِ. دَوْلَةُ
 الْأَرْذَالِ آفَةُ الرِّجَالِ. دِينَ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ. دَوْلَةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ.
 دَارٍ مِنْ جَفَاكَ تَحْجِيلاً. دُمَ عَلَى كَظَمِ الْغَيْظِ تُحْمَدُ عَوَاقِبُكَ. (ذ). ذَنْبٌ
 وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفٌ طَاعَةٌ قَلِيلٌ. ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ.
 ذَايِلُ الْخَلْقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللَّهِ. ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلَاءُ الْقَلْبِ. ذِكْرُ الشَّبَابِ
 حَسْرَةٌ. (ر). رُؤْيَا الْحَبِيبِ جَلَاءُ الْعَيْنِ. رَفَاهِيَّةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ.
 رَسُولُ الْمَوْتِ الْوَلَادَةُ. (ز). زِيَارَةُ الْحَبِيبِ إِطْرَاءُ الْحُبِّ. زَوَايَا
 الدُّنْيَا مَشْخُونَةٌ بِالرَّزَايَا. زِيَارَةُ الضُّعَفَاءِ مِنَ التَّوَاضُّعِ. زِينَةُ الْبَاطِنِ
 خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ. (س). سِيرَةُ الْمَرْءِ تُبَيِّنُ عَنْ سِرِّيَّتِهِ. سَمُو
 الْمَرْءِ التَّوَاضُّعُ. (ش). شَيْنُ الْعِلْمِ الصَّافُ. شَمِرُوا فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ.
 شَيْبُكَ نَاعِيكَ. شَحِيحٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ. (ص). صِدْقُ الْمَرْءِ
 نَجَاتُهُ. صِحَّةُ الْبَدَنِ فِي الصَّوْمِ. الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ. صَلَاةُ اللَّيْلِ
 بَهَاءُ النَّهَارِ. صَلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ الْأَسَانِ. صَاحِبُ الْأَخْيَارِ
 تَأْمِنُ الْأَشْرَارَ. صَحَّتِ الْجَاهِلُ سِتْرُهُ. صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَفَسَادُهُ
 فِي الطَّمَعِ. (ض). ضَلَّ سَبْعِي مَنْ رَجَا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى. ضَرْبُ الْحَبِيبِ
 أَوْجَعُ. ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ. (ط). طَلَبُ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ. طَلَبُ

نُطْفَكَ، حَتَّى تُسَكَّتَ . صَوْمُ النَّفْسِ عَنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا أَفْضَلُ الصِّيَامِ .
صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَعُ فُحْرَكَ وَأَحْطِطْ كِبْرَكَ
وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَعْفُ الْبَصَرِ لَا يَضُرُّ مَعَ اسْتِنَادَةِ
الْبَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ وَمَنْ مَلَكَ هَوَاهُ
وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ الثَّنَاءِ بَغِيرِ اسْتِحْقَاقِ خُرْقٍ . (ظ) . ظَنُّ الْعَاقِلِ
أَصَحُّ مِنْ يَقِينِ الْجَاهِلِ . ظَرَفُ الرَّجُلِ تَزْهُهُ عَنِ الْحَارِمِ وَمُبَادَرَتُهُ
إِلَى الْمَكَارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِالْآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَاحِرَةً . عِنْدَ
الْإِمْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يِهَانُ . عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ
الْبَقَاءِ . عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذْلُ
مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . عَبْدُ الْمَطَامِعِ أَسِيرٌ لَا يُفَكُّ أَسْرَهُ . عَاشِرُ أَهْلِ
الْفَضَائِلِ تَنْبَلُ . عِدَاوَةُ الْأَقَارِبِ أَمْسٌ مِنْ لَسَعِ الْعَقَارِبِ . (غ) .
غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ . غِنَى الْعَاقِلِ
فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى الْجَاهِلِ فِي قُنَيْتِهِ . (ف) . فِي الذِّكْرِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ .
فِي رِضَا اللَّهِ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ . فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ . فِي الْآخِرَةِ
الْحِسَابُ وَلَا عَمَلٌ . فِي الْأَسْتِشَارَةِ عَيْنُ الْهِدَايَةِ . فَقَدْ أَلْبَصَرَ أَهْوَاؤُ مَنْ
فَقَدِ الْبَصِيرَةَ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ الْقَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ الصَّلِيبُ . قِلَّةُ الْأَكْمَلِ
تَمْنَعُ كَثِيرًا مِنْ أَعْلَالِ الْجِسْمِ . قُلْ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ . قَلِيلُ الْحَقِّ
يَدْفَعُ كَثِيرَ الْبَاطِلِ كَمَا أَنَّ قَلِيلَ النَّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ الْخُطْبِ . (ك) . كُلُّ
طَيْرٍ يَأْوِي لِي شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . كُلُّ

سَيْفٌ قَاطِعٌ . أَلْتَجِبُ عُنَوَانُ الْحَمَاقَةِ . أَلْبَشَاشَةُ حَبْلِ الْمَوَدَّةِ . الْإِرْتِقَاءُ
إِلَى الْقَضَائِلِ صَعْبٌ . أَلَا نَحِطُّاطُ إِلَى الرِّذَائِلِ سَهْلٌ . أَلَسَّكُوتٌ عَنِ
الْأَحَقِّ جَوَابُهُ . إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ . أَلَلْحَسَنُ حَيٌّ وَإِنْ
نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ . أَلْعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ . وَإِذَا نَطَقَ ذَكَرَ
وَإِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ . الدَّاعِي بِالْعَمَلِ كَالْقَوْسِ بِالْوَتْرِ . إِعْجَابُ الرَّجُلِ
بِنَفْسِهِ عُنَوَانُ ضَعْفِ عَقْلِهِ . أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ . (ب) .
بِرُّكُوبِ الْأَهْوَالِ تَكْسِبُ الْأَمْوَالُ . بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُّ الْعُيُوبُ . (ت) .
تَكَلَّمُوا تَعْرِفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوبٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . (ث) . ثَوْبُ التَّقَى أَشْرَفُ
الْمَلَابِسِ . ثَوْبُ الْآخِرَةِ يُنْسِي مَشَقَّةَ الدُّنْيَا . ثُرُوةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ
وَثُرُوةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ . ثَلَاثُ يَوْجِبْنَ الْحُبَّةَ الدِّينَ وَالتَّوَّاضِعَ وَالسَّخَاءَ .
(ج) . جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ . (ح) . حُسْنُ الْأَدَبِ يَسْتَرُّ قُبْحَ
النَّسَبِ . حِلَاوَةُ الظَّفَرِ تَعْمُو مَرَارَةَ الصَّبْرِ . حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ
الْأَوْصَالَ . (خ) . خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَخْيَارِ . (د) . دَوَامُ
الْفِتَنِ مِنْ أَعْظَمِ الْبَحْنِ . (ر) . رَبُّ سَكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ .
(ز) . زَلَّةُ الْعَالِمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَتَغْرِقُ مَعَهَا غَيْرَهَا .
زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ . (س) . سِلَاحُ اللَّدَامِ قُبْحُ
الْكَلَامِ . سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ
لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِينًا . شَيْنَانٌ لَا يَعْرِفُ فَضْلَهُمَا إِلَّا مِنَ
قَمْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ . (ص) . صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطَقَ أَجَلٌ مِنْ

أَحْسَنَهُمْ لِقَاءً . إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَنَ
وَنَجْرِكَ مِنْ عَدْوِكَ مَا سَكَنَ . (ب) بِالتَّائِي تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ . بِمَحْفُضِ
الْجَانِبِ تَأْنِسُ النُّفُوسُ . (ث) . ثَمَرَةُ الْعُلُومِ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ . (ح) .
أَخَازِمُ مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِفَعْدِهِ . حَقُّ يَضُرُّ
خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسُرُّ . (خ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحِرْصَ مِنْ قَلْبِهِ
وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أَخَذَ مِنَ الْحَالَالِ وَصُرِفَ فِي
النَّوَالِ . (ر) أَلَرَّفَقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَنْصُرُ
الظَّالِمَ وَيَخْذُلُ الْمَظْلُومَ . (ص) . صَاحِبُ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ . صَدَاقَةُ
الْجَاهِلِ تَعَبٌ . (ع) عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ كَدَوَاءٌ لَا يَنْجِعُ . عِظَةُ الْمُسِيِّ بِحُسْنِ
أَفْعَالِكَ وَدَلٌّ عَلَى الْجَمِيلِ بِجَمِيلِ خِلَالِكَ . عَثَرَةُ الرَّجُلِ تَزِيلُ
أَقْدَمَ . وَعَثَرَةُ اللِّسَانِ تَزِيلُ النِّعَمَ . أَلْعَجَلَةُ أُخْتُ النَّدَامَةِ . (ق) . قَدْ
خَاطَرَ مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . (ك) . كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجَانُ عَقْلِهِ .
كُلُّ يَفِرُّ مِنْ ضِدِّهِ وَيَمِيلُ إِلَى جَنْبِهِ . (ل) . لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِيكَ
سَدُّهُ . أَلَلِّسَانُ سَيْفٌ قَاطِعٌ لَا يُؤْمِنُ حَدُّهُ . وَالْكَلَامُ سَهْمٌ نَافِذٌ لَا
يُمْكِنُ رَدُّهُ . لَا يَجِدُ الْعَجُولُ فَرَحًا وَلَا الْفُضُولُ سُرُورًا وَلَا الْمَلُولُ
صَدِيقًا . لَا يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ وَدُودٍ يَمْدَحُ وَعَدُوٍّ يَقْدَحُ . (م) مَنْ طَاعَ
هَوَاهُ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ ، مَنْ لَزِمَ الطَّمَعِ عَدِمَ الْوَرَعَ . مَنْ قَرَّبَ السَّفَلَةَ
وَأَطْرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ اسْتَحَقَّ الْحِذْلَانِ . مَنْ عَفَا تَفَضَّلَ .
مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ فَقَدْ حَلَمَ ، مَنْ حَلَمَ فَقَدْ صَبَرَ . مَنْ صَبَرَ فَقَدْ ظَفِرَ . مَنْ

وَعَاءٌ يَضِيقُ بِنَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا أَلْعَلِمَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ
 غَلَقٍ . كَيْفَ يُنْجُو مِنَ اللَّهِ هَارِبُهُ . كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ . كُنْ
 حَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا . كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ . كُلَّمَا قَارَبْتَ
 أَجَلَ . فَأَحْسِنْ عَمَلًا . (ل) . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ .
 لِلشَّدَائِدِ تُذْخِرُ الرِّجَالَ . (م) . مَنْ تَوَقَّرَ وَتَرَّ . وَمَنْ تَكَبَّرَ حَقَّرَ . مَنْ
 اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . مَا حَقَّرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ .
 مَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ . (ن) . نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ . (هـ) . هُدًى مَنْ
 أَطَاعَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . هَلَكَ أَمْرُهُ لَا يَعْرِفُ قُدْرَهُ . هَانَتْ عَلَيْهِ
 نَفْسُهُ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْهِ لِسَانُهُ . (و) . وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ تَوَقَّرْكُمْ صِغَارَكُمْ .
 وَقَارَ الشَّيْبُ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ . (لا) . لَا تَتَّقِنَ بَعْدَ مَنْ لَا
 دِينَ لَهُ . لَا تَعْدُ مَا تَعْجُزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ . لَا تَتَّقِ مِنْ يَدَيْهِ سِرَّكَ . لَا
 يَسْتَرِ قَكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا . (ي) . يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ
 بِحُسْنِ بَشَرِهِ وَبِذَلِّ خَيْرِهِ . يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعِ تَضْيِيعِ
 الْأَصُولِ وَالْتِمَسْكِ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفْاضِلِ .
 يَلْبُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ مَا لَا يَلْبُغُهُ الْكَاذِبُ بِأَخْيَالِهِ

نخبة امثال انتقاها الابشهي

١١٤ (١) . إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ حَلَّ الْبَلَاءُ . إِذَا أَصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ
 فَاسْتَرَهُ وَإِذَا أَصْطَنَعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ . أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدْ
 الشُّهُورَ دِينَهُ . أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِعَاثَةُ الْمَلُوفِ . أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ . كُلُّ مَبْذُولٍ . مَمْلُوكٌ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
 فِيهِ . كُلُّ وَعْدٍ يَضِيقُ بِنَا جَعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعَالِمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . (ل) . لَا
 تُبْلَغُ الْغَايَاتُ بِالْأَمَانِيِّ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ . لِكُلِّ
 سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ . لَيْسَ مِنْكَ مِنْ غَشَّكَ . (م) . مَا حَكَ جِلْدَكَ مِنْ شَيْءٍ
 ظَفَرِكَ . مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ . مَنْ جَرَى فِي
 عِنَانٍ أَمَلَهُ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ . مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَاتَّقِهِ . مَنْ
 لَانَ عَوْدُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ . مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ الْكِرَامَةُ أَصْلَحْهُ الْهُوَانُ .
 مَنْ يَزْرَعُ الْمَعْرُوفَ يَخْصُدِ الشُّكْرَ

١١٦ . آيَاتُ تُمَثِّلُ بِهَا الْعَرَبُ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْعَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ
 إِذَا كَانَ رَبُّ أَلَيْتٍ بِالْذِّفِّ مُوَلِّيًا فَشَيْءُ أَهْلِ أَلَيْتٍ كُلِّهِمُ الرِّقْصُ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِنْقَازَ نَمَلَةٍ سَمَتْ بِجَنَاحَيْهَا إِلَى الْجَوْ تَصْعَدُ
 أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ
 أَقْلَبُ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعَمَاءِ حَيْثُ يَمِيلُ
 إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
 إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ الْمَزَاحُ
 أَتَمَّنَى عَلَى الزَّمَانِ مُحَالًا أَنْ تَرَى مُفَاتَايَ طَلْعَةَ حُرٍّ
 إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبَنَتِهَا فَإِحْدَاهُمَا يَأْصَحُ لَا شَكَّ أَخَذَهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَارِيَهُ

أَكْثَرُ مِنْ مَقَالِهِ سُمِّ وَمِنْ سُؤَالِهِ حُرْمَ . مَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .
 مَنْ رَجَعَ فِي هَيْبِهِ بَالَعَ فِي خِسَّتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلَّ . وَمَنْ جَادَ
 بِمَعْرِضِهِ ذَلَّ . مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا
 يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي . مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ عَدِمَ الْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي
 الْعَوَاقِبِ سَلِمَ مِنَ النَّوَائِبِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ أَخْطَأَ فِي
 الصَّوَابِ . مَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ طَابَ وَصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ
 نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نُصْرَةُ الْحَقِّ شَرَفٌ وَنُصْرَةُ الْبَاطِلِ سَرَفٌ

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في كتابه الكشكول

١١٥ (١) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ الزَّاهِدُ مِنَ
 النَّاسِ فَاطْلُبْهُ . إِذَا ذَكَرَ جَلِيسُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِالسُّوءِ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ
 ثَانِيهِ . أَفْضَلُ الزَّادِ مَا تُرَوِّدُ لِلْمَعَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعُ
 فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِخْتِبَارُ . أَيْسَرُ شَيْءٍ الدُّخُولُ فِي الْعِدَاوَةِ
 وَأَصْعَبُ شَيْءٍ الْخُرُوجُ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ الْكَلَامِ أَقْطَعُ مِنْ
 الْحَسَامِ . (ت) . أَلْتَقَى مُلْجِمٌ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَّاكَ . خَيْرُ
 سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . (ر) . ذَبَّ أَكْلُهُ
 تَمْنَعُ أَكْلَاتِهِ . الرِّفْقُ يَمْنُ وَالْحَرْقُ شَوْمٌ . (س) . السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ
 بِنَفْسِهِ . (ص) . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوْشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ الْغَايَةِ يُعْرَفُ
 السَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ الرَّمَايَةِ تَمَلُّ الْكُنَانُ . الْقَرِيبُ مِنْ قُرْبٍ نَفْعُهُ .
 أَقُولُ نَفْذُ مَا لَا يَنْفُذُ الْإِبْرُ . قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ . (ك) . كَلْبٌ

قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
 قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَاقِي حُسْنَ حَاجَتِهِ
 قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
 قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ
 كَانَ يُقَالُ مَنْ أَتَى خِوَانَا
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 الْكَلْبُ لَا يُذَكِّرُ فِي مَجْلِسٍ
 كُنْتُ فِي كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ
 لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ
 لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ مَيِّتٌ
 مَا أَنْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى
 مَا كُنْتُ لَوْ أَكْرَمْتُ اسْتَعْصِي
 مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ
 مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا خَصَالُهُ
 مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامٌ
 فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةِ رَجُلَا
 وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
 وَيَسْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
 خَلَقَ وَجِبُّ قَيْصِهِ مَرْفُوعٌ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ هَانَا
 أَلَمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ
 إِلَّا تَرَاهُ عِنْدَ مَا يُذَكِّرُ
 فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَارُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَذَا ضِدَانِ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 مَا أَطْوَلَ الْأَيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
 إِنَّمَا أَلَمْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
 وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 مَمْزُوجَةٌ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدْ دَى
 لَا يَهْرُبُ الْكَلْبُ مِنَ الْقُرْصِ
 يَكُونُ أَنْفَا بَيْنَ يَمِينِ
 وَلَمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا
 وَلَا تَجُودُ يَدُ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
 فَمَا لَهُ فِي بَيْتِهِ مُقَامٌ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَشِقُ الشَّيْخَا وَجَدْتَهُ أَنتَنَ شَيْءَ رِيحَا
 أَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَأَلْقِطِ الْجُوزَ إِذَا يُنْشَرُ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلْقٍ
 أَفَرَّ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ حُجُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
 إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُ تَكْشَفَتْ لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 جَرَبَتْ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتَ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِ أَمْرِي غَرَضًا
 حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
 حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو نَحْيَتَهُ لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
 الْحَبْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَتَمِينُ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ
 أَلَرِّقُ يُخْطِئُ بَابَ عَائِلٍ قَوْمِهِ وَيَبْتَ بَوَابَ بَيْتِ الْأَخْمَقِ
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْإِخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُدِّ
 ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضَيِّ لَمَّا أَنْفَرَجْتَ وَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورٍ
 أَلْعَنُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِالْعَلْفِ لَا يَسْمَنُ الْعَزُّ بِقَوْلِ ذِي لَطْفٍ
 فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخَبِّرُكَ الْعُيُونُ عَنِ الصِّبِيرِ
 فَاقْطَعْ حَبَائِلَ خَلٍّ لَا تُرَلِّمُهُ قَرُبًا ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِأَثْنَيْنِ
 أَفْقَرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مِنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِالْأَرَبِ مَا يَسْلَمُ الذَّهَبُ إِلَّا بِزَيْدٍ مِنْ عَيْبٍ
 فَلَوْ كَانَ حَمْدُ مُحَمَّدٍ أَرَاءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدَ الْمَرْءِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ

وَمَنْ يَكُ ذَا قَمَرٍ مُرِّيٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جَنْبِهِ حَتَّى الْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ الْمَبْرَدُ
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ قَهْدًا
يَزِيدُ تَفَضُّلاً وَآزِيدُ شُكْرًا وَذَلِكَ دَابُّهُ أَبَدًا وَدَائِي
وَيُطَلَبُ الْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُنْجَرُ

الْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ عَنِ السَّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

الثعلب والديك

١١٧ حَكِي أَنَّ الثَّعْلَبَ مَرَّ فِي السَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا .
فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّيَ جَمَاعَةً . فَقَالَ : إِنَّ الْإِمَامَ نَأْتِي خَلْفَ
الشَّجَرَةِ فَأَيْقِظُهُ . فَظَرَ الثَّعْلَبُ فَرَأَى الْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا . فَنَادَاهُ
الْدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّيَ . فَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ وَضُوءِي فَأَصْبِرْ حَتَّى أَجِدَّ
لِي وَضُوءًا وَأَرْجِعَ .

الاسد والثعلب والذئب والنم

١١٨ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ الْأَذْكِيَاءِ . قَالَ : مَرِضَ
الْأَسَدُ فَعَادَتْهُ السَّبَاعُ وَالْوُحُوشُ مَا خَلَا الثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ الذَّئْبُ .
فَقَالَ الْأَسَدُ : إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي . فَلَمَّا حَضَرَ الثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ الذَّئْبُ

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَمْ يَغْدَمْ جَوَانِزَهُ
 مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَخْصِدُ مَا يُسْرِ بِهِ
 هَنَّاكُمْ اللَّهُ بِالْدُّنْيَا وَمَتَّعَكُمْ
 وَأَقْنَعُ بِمَا أُوتِيْتَهُ تَلِ الْمُنَى
 وَإِذَا سَخَطَ لِضُرِّ حَالِكَ مَرَّةً
 وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسْلُ
 وَأَحْسِنُ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٍ
 وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْهَالِلِ وَضَوْئِهِ
 وَقَدْ تَسْلُبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلَهَا
 وَمَا لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا
 وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا
 وَإِذَا تَزَعَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ
 وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا
 وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَبَاطُ إِلَّا كَمَا تَرَى
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَضْغَرَانِ لِسَانُهُ
 وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا
 وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا
 وَكَمْ مِنْ فَتَى يَمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
 بِمَا نَحِبُ لَكُمْ مِنْهَا وَزُرْضَاهُ
 وَإِذَا دَهَتْكَ مِلْمَةٌ فَتَصَبَّرْ
 وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَصَبَّرْ
 بَشَرًا تَعِشُ عَيْشَ الْكَرَامِ وَتُوجِرْ
 وَإِنَّكَ مُجْزِيٌّ بِمَا كُنْتَ سَاعِيًا
 إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
 يُوَا فِي تَمَامِ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
 وَتَعْدُو عَلَى أَسَدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ
 يُخَلِّدُهُ طَوْلُ الشَّاءِ فَيُخَلِّدُ
 وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى بُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
 لِلَّهِ ذَاكَ النُّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
 وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَتَنَعُّ
 رَزِيَّةً مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ
 وَمَعْقُولُهُ وَالْجَنَمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
 وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبْوَعُ
 عُدَّ أَهْلُ الْأَمَقْلِ قَلُوبًا فِي الْعَدَدِ
 وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهَوَ لَا يَذْرِي

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ .
وَقَدْ تَأَسَفْتَ عَلَىِّ وَأَنَا فُتُكُ . وَقُلْتَ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ وَقَدْ
صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ تَبْلُغْ عِشْرِينَ
مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزَنْهَا كَذَلِكَ (لِلشَّرِيشِي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلِ فِي مَكَانٍ
ذَهَبُ إِلَيْهِ يَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عُرْسًا أَوْ وَدِيعةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حِيلَةً عَلَى
ذَلِكَ الْكَلْبِ وَوَعَّطُوا بِأَن يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى
الْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ الطَّبْلِ يُسْكِتُ وَيَضْرِبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى .
فَفَعَلُوا ذَلِكَ . فَجَعَلَ الْكَلْبُ يُجْرِي بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا
أَسْكَتُوا الطَّبْلَ وَضَرَبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
مَاتَ الْكَلْبُ جَانِعًا عَطْشَانًا (أَنَيْسُ الْجَلِيسُ لِلْسَّيُوطِيِّ)

الصياد والصدقة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَنَّ صَيَّادًا كَانَ فِي بَعْضِ الْخَلِجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي
زُورَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَمِيقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَّأَلُ أَحْسَنًا . فَتَوَهَّاهَا
جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ
كَانَتْ قُوَّتُ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا
أَخْرَجَهَا وَبَدَّهَا فَارِعَةً لِأَشْيَاءٍ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَقَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ

بِذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا قَالَهُ الذَّبُّ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ
يَا أَبَا الْقَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ الدَّوَاءَ . قَالَ : وَآيَ شَيْءٍ
أَصَبْتَ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ
الْأَسَدُ بِيَدِهِ فِي سِلَاقِ الذَّبِّ فَادَّاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ
يَسِيلٌ عَلَى رِجْلِهِ . وَأَنْسَلَ الثَّعْلَبُ . فَمَرَّ بِهِ الذَّبُّ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ
الْخُفِّ الْأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ
الْمَجَالِسَ بِالْأَمَانَاتِ

رجل وقبرة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةً سَمِعَ يَنْجِدُ لِكُلِّ شَيْءٍ
١١٩ رَجُلٌ صَادَ قُبْرَةً . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ :
أَذْبَحُكَ وَأَكُلُكَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَتَمْنَى وَلَا أَغْنِي مِنْ جُوعٍ .
وَلَا أَشْنِي مِنْ قَرَمٍ . وَلَكِنِّي أَعْلَمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ
أَكْلِي : أَمَّا الْوَاحِدَةُ فَأَعْلَمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا
صِرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ . وَالثَّالِثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ .
فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا
صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ
عَلَى الْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيءُ لَوْ دَخَلْتَنِي لَوَجَدْتَنِي فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً
وَزَنْهَا عِشْرُونَ مِثْقَالًا . (قَالَ) فَعَضَّ عَلَى شَفْتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِنِي
الْثَّالِثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتَ الثَّانِيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أَعْلَمُكَ الثَّالِثَةَ .

الغراب والسنور والنمر

١٢٣ إِنَّ غُرَابًا وَسَنُورًا كَانَا مُتَاخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى نَمْرًا مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَبَقِيَ السَّنُورُ مُتَخَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا حَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تُلْتَمِسُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحِيلَةِ عِنْدَ زُورِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رِيبُ الزَّمَانِ صَدَاكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ رِعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى
ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ
بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ . وَصَادَتْ
فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ
قَتْبُهُ . وَصَارَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النِّجَاجَةِ وَالْخِلَاصِ مِنَ
الْكِلَابِ . وَيُطْعِمُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ
حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمْرُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلَابُ النَّمْرَ
وَبَتَّ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْقِطْعَ فَتَجَاوَزَهُ ذَلِكَ
الْقِطْعُ بِحِيلَةِ صَاحِبِهِ الْغُرَابِ (الف ليلة وليلة)

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَّتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سِنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَأَجْتَازَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالَ (كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ)

العصفور والفخ

١٢٢ حَكِي أَنْ عَصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فَقَالَ الْفَخُّ : أَرَدْتُ الْغَزْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِأَمْنٍ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا مِنِّي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضَعًا . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ الْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَكْنِي الْعِبَادَةُ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْحَبْلُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلْبَسُ السَّالِكِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذِهِ الْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَجِي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْقَفْحُ الَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوَّتِي أَعَدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوْ ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ الْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : بِئْسَ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَالْأَخْلَاقِ الشَّائِعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ الْعَصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الْفَخِّ قَدْ قَبِضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقِّ قَالَتِ الْحِكْمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذَرَ سَلِمَ . وَكَيْفَ لِي بِالْخُلَاصِ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ (لِلشِّبْرَاوِيِّ)

فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ الْمَاءِ فَيَسَّ الْعَدِيرُ . فَجَاءَتِ الْبَطْنَانِ لِدَوَاعِ السُّلْحَفَةِ
وَقَالَتَا : أَعْلَمِي أَيْتَهُمَا الصَّدِيقَةُ الْمُسْفَقَةُ أَنَّ حَالَ الدُّنْيَا الدَّيْنَةُ آخِرُهَا
الْفَرْقَةُ وَالْقَطِيعَةُ . وَقَدْ يَسَّ مَاءُ الْعَدِيرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ
الْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ أَنَّ الرَّحِيلُ وَوَقَعَ الشَّنْتُ بَيْنَنَا . فَلَمْ نَحْذِ إِلَّا الْأُنْتَقَالَ
إِلَى غَدِيرٍ آخَرَ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلْحَفَةُ هَذَا الْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ
بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ وَقَالَتْ : أَيْتَهُمَا الصَّدِيقَتَانِ الْمُسْفَقَتَانِ مَا حِيلَتِي أَنْ أَذْهَبَ
مَعَكُمَا . وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا . قَالَتِ الْبَطْنَانِ : نَأْخُذُكَ مَعَنَا
وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكَ لَمْ تَمْلِكِي لِسَانَكَ . قَالَتِ السُّلْحَفَةُ :
الآنَ عَهْدْتُ أَنْ لَا أُنْطِقَ . فَقَالَتِ الْبَطْنَانِ : إِذَا رَأَى الْخَلْقُ أَنَّنا
حَمَلْنَاكِ وَطَرْنَاكِ وَتَجَبَّ كُلُّهُمْ عَلَى طَيْرَانَا بِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ . وَلَا تُنْسِي قَوْلَ الْفَضْلَاءِ :
إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَقَوْلُهُمْ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمُنْطِقِ . وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي
وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِينَ إِلَّا نَفْسَكَ . وَيَكُونُ ذَنْبُكَ عَلَيْكَ . فَلَمَّا
سَمِعَتِ السُّلْحَفَةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ : لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَتَمَسَّكَ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطْنَانِ عَهْدًا عَلَى السُّلْحَفَةِ أَتَتَا
بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلْسُّلْحَفَةِ : أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بِقَمِكَ وَضَيِّ
شَفَتَيْكَ مُحْكَمًا . فَفَعَلَتِ السُّلْحَفَةُ مَا قَالَتَا . ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطْنَانِ بِطَرْفِي
الْقَضِيبِ عَلَى غُرْفِهِمَا . ثُمَّ طَلَرَتَا فِي الْهَوَاءِ مَعَ السُّلْحَفَةِ . فَرَأَى بَعْضُ
النَّاسِ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَنَادَوْا : يَا عَجَبًا . أَنْظَرُوا كَيْفَ

١٢٤ حُجِّي أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ .
فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا . فَتَوَدَّى ذَاتَ
يَوْمٍ : أَيُّهَا الْعَابِدُ مَدِّ يَدَكَ وَخُذْ . فَمَدَّ يَدَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهَا دُرَّتَانِ كَانَهُمَا
كَوْكَبَانِ ضِيَاءَ . فَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قَدْ أَتَانَا مِنَ
الْفَقْرِ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَى فِيهَا قَصْرًا .
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا قَصْرُكَ . فَرَأَى فِيهِ أَرِيكَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ
الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْأُخْرَى مِنَ الْفِضَّةِ . وَسَقَفُهُمَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَقِيلَ لَهُ :
إِحْدَاهُمَا مَقْعَدُكَ وَالْأُخْرَى مَقْعَدُ أَمْرَأَتِكَ . فَنَظَرَ إِلَى سَقَفِهِمَا فَإِذَا
فِيهِ مَوْضِعٌ خَالٍ مَقْدَارُ دُرَّتَيْنِ . فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا الْمَوْضِعِ خَالِيًا .
فَقِيلَ : لَمْ يَكُنْ خَالِيًا وَإِنَّمَا أَنْتَ تَعْبَتُ فِي الدُّنْيَا الدُّرَّتَيْنِ وَهَذَا
مَوْضِعُهُمَا . فَأَنْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ بِأَكْبَارٍ وَأَخْبَرَ أَمْرَأَتَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ
رُوحَتُهُ : أَنْ أَدْعُ اللَّهَ وَأَسْأَلَهُ حَتَّى يَرْدَّهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا . فَخَرَجَ إِلَى
الصَّحْرَاءِ وَهَمَّ فِي كَفِّهِ وَصَارَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَرْدَّهُمَا .
وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَخَذَتَا مِنْ كَفِّهِ وَتَوَدَّى أَنْ رَدَدَتْهُمَا إِلَى
مَكَانِهِمَا

(للقلوبي)

بطنان وسلخاة

١٢٥ قِيلَ : كَانَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ غَيْرُ عَظِيمٍ وَقَدْ سَكَنَتْ فِيهِ
بُطْنَانٌ وَسُلَخَاءٌ . وَوَقَعَتِ الْأَلْفَةُ بَيْنَهُمْ . وَاسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

الذَّكَرُ قَتَابَ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَسَّ الْحُبُّ وَصَمَّرَ . فَلَمَّا رَجَعَ
الذَّكَرُ رَأَى الْحُبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَمَا كُنَّا أَجْمَعًا رَأَيْنَا عَلَى أَنْ لَا
نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ أَكُلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا
وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْفَرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا
جَاءَتْ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَدَدَّى الْحُبُّ وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ .
فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذَلِكَ تَدَدَّمَ . ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ :
مَا يَنْفَعُنِي الْحُبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكَ . إِذْ طَلَبْتُكَ فَلَمْ أَجِدْكَ وَلَمْ أَقْدِرْ
عَلَيْكَ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ وَعِلْمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ وَلَا أَقْدِرُ
عَلَى تَدَارِكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبَا
حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا

(كلمة ودمنة)

العابد والكلاب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ الْعَبَادِ مُنْزَوِيًا عَنِ النَّاسِ فِي
غَارٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يَفْطُرُ
عَلَى نِصْفِهِ وَيَسْحَرُ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا
يَنْزِلُ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَصَلًا . فَأَتَّفَقَ أَنْ يُنْقَطَعَ عَنْهُ الرِّغِيفُ لَيْلَةً
مِنَ اللَّيَالِي فَاسْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى الْعِشَاءَ وَبَاتَ تِلْكَ
الَّيْلَةَ فِي أَنْتَظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ الْجُوعَ فَأَمَّ يَتَسَرَّلُهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي
أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ قَرْيَةٌ سَكَنُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَ مَا أَصْبَحَ الْعَابِدُ نَزَلَ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَطْعَمَ شَيْئًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

حَمَلَتِ الْبَطْطَانِ السُّلْخَفَةَ . ثُمَّ إِنَّ السُّلْخَفَةَ سَمِعَتْ كَلَامَ النَّاسِ . فَصَبَرَتْ
سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ كَثَرَةِ تَعَجُّبِ الْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لِمَ
تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا . أَفَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي الْبَطْطَانِ . وَمَا كَانَ بَعْدَ
أَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَّا أَنْ وَقَعْتُ عَلَى الْحُضِيضِ فَهَلَكْتُ (للسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ (قَالُوا) إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ بِفَرْ وَضُرٍّ لَا قَائِدَ
لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ . وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ
يَوْمٍ أَحْسَنَ مَا قُوَّتُهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَلَمْ يَزَلَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى
أَنْ هَلَكَ الْمُخْتَسِبُ . فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَأَشَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ الضُّورُ
مِنْهُمَا جَهْدَهُ . فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ . فَبَدَأَ
الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَيَسْتَقِلُّ الْأَعْمَى بِحِمْلِ الْمُقْعَدِ وَيَدُورَانِ
فِي الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهُمَا . ففَعَلَا فَبَجَعَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَ
(للطروشى)

الحمامتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ الْخِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ .
فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارِيِّ مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا
نَأْكُلُ مِمَّا هُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارِيِّ شَيْءٌ
رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكْنَاهُ . فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ :
نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَا فِي عُشِّهِمَا . فَأَنْطَلَقَ

تاجر ومشتودع عنده

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَخَذَ بِثَارِهِ يَمِثِلُ مَا نَثَرَهُ
 ١٢٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بَارِضٍ كَذَا تَاجِرٍ . وَأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى
 بَعْضِ الْأُجُوهِ اتِّبَاعَ الرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةٌ مِنْ حَدِيدٍ . فَأَوْدَعَهَا
 رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ يُمَدِّدَةً . فَجَاءَ
 وَأَتَمَسَ الْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قَدْ أَكَلْتَهُ الْجِرْدَانُ . فَقَالَ : قَدْ
 سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ
 مَا قَالَ وَأَدْعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَبِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ . فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ يَا بَنِي .
 قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَارِيًا قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا .
 فَلَعَلَّهُ ابْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَا قَوْمُ : هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ
 رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرَاةَ تَخْتَفِ الصَّبِيَّانَ . فَقَالَ : نَعَمْ إِنْ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا
 مِئَةً مِنْ حَدِيدٍ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَفِ بُرَاتَهَا الْفِيلَةَ . قَالَ الرَّجُلُ :
 أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمْنُهُ . فَأَرَدْتُ عَلَى أَبِي

براعة وقور

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَّعِظُ بِكَلَامِ غَيْرِهِ فَيَغَامِرُ بِنَفْسِهِ قَيِّطَ
 ١٣٠ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ . فَأَلْتَسَوْا
 فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا بِرَاعَةً تَطِيرُ
 كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ فَظَنُّوْهَا نَارًا . فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا .

وَوَجَّهَ إِلَى الْجَبَلِ . وَكَانَ فِي دَارِ ذَلِكَ الشَّيْخِ النَّصْرَانِيَّ كَلْبُ حَرْبٍ
 مَهْزُولٌ فَحَقَّقَ الْعَابِدُ وَنَجَّ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ رَغِيفًا
 مِنْ ذِينِكَ الرِّغِيفِينَ لِيَسْتَعْلِ بِهِ عَنْهُ . فَأَكَلَ الْكَلْبُ ذَلِكَ الرِّغِيفَ .
 وَلَحَقَ الْعَابِدُ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي السُّبَّاحِ وَالْمُهَرِّدِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ
 الرِّغِيفَ الْآخَرَ فَأَكَلَهُ . وَلَحِقَهُ تَارَةً أُخْرَى وَاشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ
 بِذَيْلِ الْعَابِدِ وَمَرْقَةٍ . فَقَالَ الْعَابِدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَرَكُمَا أَقَلَّ حَيَاءٍ
 مِنْكَ . إِنْ صَاحَبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ أَخَذْتُهُمَا مِنِّي . مَاذَا
 تَطْلُبُ يَهْرِيْرُكَ وَمُزَيِّقُ يَأْيِي . فَأَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْكَلْبُ فَقَالَ :
 لَسْتُ أَنَا قَلِيلُ الْحَيَاءِ . إِنْ عَلِمَ أَبِي رَيْدَتُ فِي دَارِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيَّ
 أَحْرُسُ عَنْهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ . وَأَقْعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ .
 وَرُبَّمَا لَيْسَنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا أَكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَّمَا يَمْضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا
 يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَفَارِقْ دَارَهُ مِنْذُ عَرَفْتُ
 نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَائِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ
 شَكَّرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَبِأَنْتِطَاعِ الرِّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةً
 وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ صَبْرٌ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحَمُّلٌ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ
 رَازِقِ الْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيْنَا أَقَلَّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا
 سَمِعَ الْعَابِدُ ذَلِكَ ضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ

(لبهاء الدين)

وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ فَلَعْلَهُ يَسْبُغُنِي إِلَى الْخَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ .
ثُمَّ أَخَذَ الرِّدَاءَ وَالْقَاهُ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ الْخَانُوتَ وَهَضَى
إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا هَجَمَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَّاهُ عَلَى مَا
عَزَمَ عَلَيْهِ . وَضَمِنَ لَهُ جُمْلًا عَلَى حَمْلِهِ . فَصَارَ إِلَى الْخَانُوتِ وَالنَّحْسِ
الرِّدَاءِ فِي الظُّلْمَةِ . حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ أَحْتَمَلَ الْعِدْلَ الَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ
هُوَ وَالرَّجُلُ . وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمْلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ يَنْحُطُ
تَعَبًا فَرَزَحَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفْتَقَدَهُ وَإِذَا بِهِ بَعْضُ مَتَاعِهِ . فَتَدِمَّ أَشَدَّ
النَّدَمِ . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْخَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَه قَدْ سَبَّهَ إِلَيْهِ وَفَقَدَ
الْعِدْلَ وَجَلَسَ مُتَعَمِّمًا يَقُولُ : سَوْءَ تَأْمِنَ رَفِيقِي صَالِحٌ قَدْ أَتَمَنَّنِي عَلَى
مَالِهِ وَخَلْفَتِي فِيهِ . مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَأَسْتَ أَشْكُ فِي تَهْتِهِ
إِيَّايَ . وَلَكِنْ قَدْ وَطَنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْخَانُوتُ : يَا أَخِي
لَا تَغْتَمَ . فَإِنَّ الْحَيَاةَ شَرُّ مَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ وَالْمَكْرَ وَالْحَدِيدَةَ لَا يُودِيَانِ
إِلَى خَيْرٍ . وَصَاحِبُهُمَا مَمْرُورٌ أَبَدًا . وَمَا عَادَ الْبَغْيُ إِلَّا عَنَى
صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كَيْفَ كَانَ
ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ . فَأَضْرَبَ الرَّجُلُ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَقِيلَ مَعْدَرَتُهُ .
وَنَدِمَ هُوَ غَايَةَ النَّدَامَةِ

رجل وابن عرس

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَهْجُمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِالْعَجَلَةِ
١٣٣ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ . وَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ أَمْرَأَتَهُ قَالَتْ

وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمْعَ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ
طَائِفٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَعَلَ
يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتَّبِعُوا . فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمْهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَنْهُمْ فِيهِ . فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَأْتِمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ
الشَّجَرَ الصَّابِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجْرِبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ . وَالْعُودَ الَّذِي لَا
يُخْنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ . فَلَا تَتَّبِعْ . فَأَبَى الطَّاغُوتُ أَنْ يُطِيعَهُ .
وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرْدَةِ لِيُعْرِفَهُمْ أَنَّ الْبِرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ
تَنَاولَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ

شريكان

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ اتَّمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ
١٣١ رَمَعُوا أَنَّهُ كَانَ لِتَاجِرٍ شَرِيكَ . فَاسْتَأْجَرَ حَانُوتًا وَجَعَلَ مَتَاعَهُمَا
فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ . فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَسْرِقَ عَدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَّرَ فِي الْحِيلَةِ لِذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ
أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ أَمِنْ أَنْ أَجْعَلَ أَحَدَ أَعْدَائِي أَوْ إِحْدَى رِزْمِي وَأَنَا لَا أَعْرِفُهَا .
فَيَذْهَبُ عَنَّا وَيَتَّبِعِي بِاطِّلا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَالْقَادَ عَلَى مَا أَضْمَرَ أَخْذَهُ
مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِيُصْلِحَ الْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هَذَا
رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدْعُهُ هُنَا .

وَأَجِدَبَتْ . وَقَلَّ مَأْوَاهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا . وَذَوَى نَبَاتُهَا وَيَبَسَ شَجَرُهَا .
فَأَصَابَ الْقَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَّوْنَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكَيْنِ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ
رُسُلَهُ وَرَوَّادَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ
فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ
كَثِيرَةُ الْمَاءِ فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا
هُوَ وَفِيلَتُهُ . وَكَانَتْ الْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَابِ قُوطُنُهُنَّ وَهْنٌ فِي
أَجْجَارِهِنَّ فَهَلَكَ مِنْهُنَّ كَثِيرٌ . فَاجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكَيْنِ فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ
مَا أَصَابَنَا مِنَ الْقَيْلَةِ . فَقَالَ : لِيُخْضِرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ
وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَرَابِ يُقَالُ لَهَا قَيْرُورُ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحَسَنِ الرَّأْيِ
وَالْأَدَبِ . فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِيَ
أَمِينًا لِيرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ
أَمِينَةٌ وَرَضِي بِقَوْلِكَ . فَأَنْطَلِقِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَبَلِّغِي عَنَّا مَا تُرِيدِينَ .
وَأَعْلَمِي أَنَّ الرُّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الرُّسُلِ .
فَعَلَيْكَ بِاللَّيْنِ وَالْمَوَاتَةِ . فَإِنَّ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي يَأَيِّنُ الصَّدُورَ إِذَا
رَفَقَ . وَيُخَشِّنُ الصَّدُورَ إِذَا خَرِقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرَابَ أَنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ
قَمْرًا حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الْقَيْلَةِ . وَكَرِهَتْ أَنْ تَدُومَ مِنْهُنَّ مُحَافَةً أَنْ يَطَّانَهَا
بِأَرْجُلِهِنَّ . فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ
وَنَادَتْ مَلِكَ الْقَيْلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرُّسُولُ غَيْرُ
مَلُومٍ فِيمَا يَبْلُغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ .

لَهُ : أَقْعَدَ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَامِ فَأَغْتَسَلَ وَأَسْرَعَ الْعَوْدَةَ .
ثُمَّ انْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ . فَلَمْ يَلَيْثَ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ
يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عَرَسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا
عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَ الرَّجُلُ عِنْدَ
الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ
أَجْحَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ . فَدَنَّتْ مِنَ الْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرَسٍ
فَمَتَّهَا . ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فِيهِ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ .
فَاسْتَقْبَلَهُ ابْنُ عَرَسٍ كَالْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُلَوَّنًا بِالْدَمِ طَادَ
عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوْ فِيهِ
حَتَّى يَنَالِمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَلَكِنْ عَجَلَ عَلَى ابْنِ عَرَسٍ الْمُسْكِينِ بِضَرْبَةٍ
عُكَازَ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيِّتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْغُلَامَ
سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ . فَفَهِمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي
الْعَجَلَةِ . فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَرْزُقْ هَذَا الْوَلَدَ . وَلَمْ أَعْدُرْ
هَذَا الْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ :
مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ابْنِ عَرَسٍ وَسُوءَ مَكَا فَاتِهِ لَهُ .
فَقَالَتْ : هَذَا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ

فَبَيْلَةُ وَأَرْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَرَفَ الْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ
زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْقَبِيلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا السِّنُونَ

لَكَ رَأْيَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَآمَنُ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَنَا وَلَمْ تُخَفِّنَا فَلَاكَ
عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ تَبْعُثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ عَدَاكَ . فَرَضِيَ
الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَالِحَ الْوُحُوشِ عَلَيْهِ . وَوَقَيْنَ بِهَا لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتْ
الْفُرْعَةُ أَرْثَمًا . فَقَالَتْ الْوُحُوشُ : إِنْ أَنْتِ رَفِئْتِ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكَ
رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكَ مِنَ الْأَسَدِ . فَقُلْنَ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ .
قَالَتْ : تَأْمُرُنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يَمْلِهَنِي رَيْثَمَا أُبْطِئُ عَلَيْهِ
بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكَ . فَأَنْطَلَقَتِ الْأَرْثَمُ مُتَبَاطِئَةً
حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ
إِلَيْهِ وَحَدَّهَا رُوَيْدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ :
مَنْ أَنْ أَقْبَلْتَ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ بِعَثْنِي وَمَعِي
أَرْثَمٌ لَكَ فَتَبْعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَضَبًا .
وَقَالَ : أَنَا أَوَّلِي بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنْ هَذَا
عَدَاؤُكَ أَرْسَلْتَ بِهِ الْوُحُوشَ مَعِي إِلَيْهِ فَلَا تَغْنَصِبْنِيهِ . فَسَبَّكَ
وَشَتَمَكَ . فَأَقْبَلَتْ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأَخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَوْ فِي زَمَنِي
غَاصِبٌ أَنْطَلِقَ مَعِي فَأَرِنِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَأَنْطَلَقَتْ إِلَى جَبٍ
فِيهِ مَاءٌ غَاسِرٌ صَافٍ . فَأَطْلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَسْكَنُ . فَتَطَلَّعَ
الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْثَمِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ
عَلَيْهِ لِيَقَاتِلَهُ فَفَرَّقَ فِي الْجَبِّ . فَأَنْقَلَبَتِ الْأَرْثَمُ إِلَى الْوُحُوشِ
فَاعْلَمْتَهُنَّ صَدِيعَهَا بِالْأَسَدِ

(كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ)

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّهُ مِنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى الضُّعْفَاءِ فَأَغْتَرَّ لِذَلِكَ
بِالْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبِالْأَعْيَاءِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى
الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَلِكَ . فَعَمِدَتْ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تَسْمَى بِأَسْمِي فَوَرَدَتْهَا
وَكَدَرَتْهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ يَفْشِي بِصَرَكَ وَيَتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتُ فِي
شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ إِلَيْهَا .
فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْزَبِ فَأَنْطَاقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ
الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ
الرَّسُولِ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ . وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ .
فَادْخُلِ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَكَ . فَخَيَّلَ لَهُ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ .
فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ . أَرَأَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جَنَاحَتِي فِي الْمَاءِ .
قَالَتْ الْأَرْزَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا
صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الْفِيلَةِ

أَرْزَبُ وَاسِد

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ
١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ .
وَكَانَ فِيهَا مِنْ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى كَثِيرٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِحُوفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِالْأَمْرِ فِيهَا . فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ
فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ وَمِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالْتِمَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

١٣٦ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ
وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَالثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى النَّفْسِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَثَرِ
لَا تُصْجِرُنَّ وَلَا يَدْخُلُكَ مَعْجِزَةٌ فَالْتَجِعْ يَهْلِكَ بَنُ الْهَجْرِ وَالصَّغِيرِ
لَا مَرَأَةَ مِنَ الْعَرَبِ :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا
إِنْ رُبَّ الصَّبْرِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّبْرِ أَمْرًا
١٣٧ . شَكَاهُ رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ
عَلَيْهِ . قَالَ : يَسْتُبْنِي إِلَى الذَّلِيلِ . قَالَ : إِنَّمَا الذَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ
(لِلْمُسْتَعْصِي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرٌ
وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتُ وَكَذَلِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي حَالَاتِنَا نَظَرٌ
وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلَّهِ تَدْبِيرٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِكَبَّةٍ
فَافْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ عَجِيبَةٌ
فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا
قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ تَلْقَيْهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتْ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْفَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ

الصَّبْرُ

١٣٥ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ : الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ
الْبَطْنِ يُسَمَّى قِتَاعَةً وَضِدُّهُ الشَّرُّ . وَالصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ الْجَسَدِ يُسَمَّى
عِفَّةً وَضِدُّهُ الشَّبَقُ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَغْصِبَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ الْجَزَعُ .
وَالصَّبْرُ عَلَى الْغَنَاءِ يُسَمَّى ضَبْطَ النَّفْسِ وَضِدُّهُ الْبَطَرُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الْقِتَالِ يُسَمَّى الشَّجَاعَةِ وَضِدُّهُ الْجَبْنُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا
وَضِدُّهُ الْحُمُوقُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ النَّوَابِ يُسَمَّى سَعَةً الصَّدْرِ وَضِدُّهُ
الصَّغَرُ . وَالصَّبْرُ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ يُسَمَّى الْكِتْمَانِ وَضِدُّهُ الْخُرْقُ . وَالصَّبْرُ
عَنْ فَضُولِ الْمَعِيشَةِ يُسَمَّى الزُّهْدَ وَضِدُّهُ الْحِرْصُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ تَوْفَعِ
الْأُمُورِ يُسَمَّى التَّوَدُّةَ وَضِدُّهُ الطَّيِّشُ (للقليوبي)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الصَّبْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
بَنَى اللَّهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَّاهُ هُمُومٌ وَأَخْرَأَ وَحِيطَانُهُ الضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمْ الصَّبْرُ
قَالَ آخَرُ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا وَكُنْ بِاللَّهِ مُتَعَصِّمًا وَلَا تَعَاجِلْ فَإِنَّ الْجَهَنَّمَ بِالْعَجَلِ
الصَّبْرُ مِثْلُ أَسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَخْلَى مِنْ أَعْمَلِ

وَوَظَلَ يُرِينِي الْخُطْبَ كَيْفَ اعْتَدَاوُهُ وَبِتُ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
 ١٣٩ قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ
 الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. إِذَا فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ. وَإِذَا فَارَقَ
 الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ. وَلِلَّهِ مِنْ قَالَ:

عَلَى قَدَرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
 فَمَنْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ أَصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ
 قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمَتْ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
 وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ أُخْرَى سَمَتْ نَفْسَكَ الْحَيَاةُ وَمَلَتْ
 فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِي قَالَ الرَّزَايَا إِذَا تَوَلَّتْ تَوَلَّتْ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ:

الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَكِنَّهُ يُقْبَلُ أَوْ يُدْرٍ
 فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ
 ١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أُنَيْسِ الْعُقَلَاءِ). إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ.
 وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ. وَالنَّصْرَ مَعَ الْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:
 بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ يُعَالَجُ مَغَالِقُ الْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ
 أَسَدَادِ الْفَرَجِ. تَبْدُو مَطَالِعُ الْفَرَجِ. (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
 وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ:

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُدْجَى وَكُلُّ صَغْبٍ بِهِ يَهُونُ

وَكَاثِفٌ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةٌ فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذَّلِّ ذَلَّتْ
 ١٣٨ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضَ: أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَزُويُ اللَّهُ الدُّنْيَا
 عَمَّنْ يُحِبُّ وَيَمِرُّهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ. كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ
 الشَّفِيقَةُ بَوْلِدَهَا تَقْطَعُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَبِالْحُضْضِ أُخْرَى وَإِنَّمَا قُرِيدُ
 صَلاَحِهِ (لباء الدين)

أَنشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَأَلْبَسْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَخْزَمُ
 لَا تَشْكُونَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ
 وَقَالَ آخَرُ:

وَأَصْبِرْ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ الْمَنَّا فَبَغَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَهْكَلَلَا
 فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَأَعْلَمْ أَنَّهَا حَقًّا كَرِهْتَ بِأَنْ تَكُونَ مُكَلَّلَا
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
 مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُوَلِّهِ أَلَوْتَ يَدَاهُ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْطَهِمِ
 قَالَ آخَرُ:

أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ لَهُ كُفُوُ
 لَنْ كَانَ بَذَى الصَّبْرِ مَرًّا مَذَاقُهُ لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ الثَّمَرُ الْخَلُوءُ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْأَبْيُورِدِيُّ:

تَفَكَّرْ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَذَرْ أَتْنِي أَعِزُّ وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ تَهُونُ

شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ
مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبُ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ
جَهْلُ أَكْبَرَ مِنْ سِلْمِي . أَوْ عَوْرَةٌ لَا أَوَارِيهَا بِسِتْرِي . وَقَالَ الْمُرِّقُ
الْعِجْلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي الرِّضَا
(لابن عبدربه)

قَالَ النَّوَاجِي :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُحِبًّا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا
١٤٢ قَالَتِ الْمَلِكَةُ : يُدْرِكُ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَنْفِ . أَلَا
تَرَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لَيْسِهِ يَقْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ الشَّجْعَانُ السَّاعِيُّ
بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرِكُ بِالرِّجَالِ وَلَا بِالْمَالِ مَا أَدْرَكَتْ بِالرِّفْقِ .
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَانَةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ مُجَاحًا
قَالَ الشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعٍ مَا لَمْ تَوْقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ
عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَاحِدُ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
فَدَاوَيْتُهُ بِالْإِلْهَامِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
(للشعالي)

قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بِخَيْلِ جَبَانٍ .
قَالَ : وَلَمْ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ
(لابي الفرج)

فَأَصْبِرْ وَإِنْ طَلَّتِ اللَّيَالِي فَرُبَّمَا أَمَكَنَّ الْحُرُونُ
وَرُبَّمَا نِيلٌ بِأَصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ
قَالَ أَبُو الْقَتَحِ الْبُسْتِي :

تَحْمَلُ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي أَسْتَقَامَتِهِ مَطْمَعُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طِبَاعُهُ الْأَرْبَعُ
قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزِعْ لِحَادِثَةِ النَّهْيِ إِلَى فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ
قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَالَمِ
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبٌ صُرُوفُهَا بِسَهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ
كَيْ مِنْ نَحْيٍ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا وَفَرِيَسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الْخِرْعَامِ

الحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : مَا الْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ .
وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
حِلْمُكَ عَلَى السُّفِيهِ يَكْثُرُ أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ . (قَالُوا) لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا
مَعَ الْإِنْصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ الْغَفْوُ إِلَّا مَعَ الْإِقْتِدَارِ . (وَقَالُوا) مَا قَرِنَ

وَأَرَادَ أَنْ يَنْزُوهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِالْعَفْوِ عَنِ
الْمُذْنِبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ السُّيِّئِ . فَلَا أَنْ يُطِيعَكَ الْعَرَبُ طَاعَةً مُحِبَّةً خَيْرُ
لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةً خَوْفٍ (لابن عبد ربّه)

لَمَّا ظَفَرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
الْأَحْوَلُ الْوَزِيرُ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظْرَاهُ . وَإِنْ
عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرُ (وفيات الاعيان لابن خلّكان)

العدل

١٤٥ إَعْلَمُ أَنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْحَقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ . وَاعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ الْمَلِكِ
يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرُهُ يُوجِبُ الْإِفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
تُحْمَلُ عَلَى الْعِمَامِ وَتُقْفَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ . وَسَأَلَ الْإِسْكَندَرُ حُكَمَاءَ
أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ الشُّجَاعَةُ أَمْ الْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا اسْتَعْمَلْنَا
الْعَدْلَ اسْتَفْنَيْنَا بِهِ عَنِ الشُّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ السُّلْطَانِ . أَنْفَعُ مِنْ
خِصْبِ الزَّمَانِ (للأبشيهي)

١٤٦ إِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رَعِيَّتِهِ . وَأَقَامُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ . فَاتَتْ
الْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْجَوْرِ . وَانْتَعَشَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ . فَأَرْسَلَتْ
السَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَزَكَتْ
زُرُوعُهُمْ . وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ . وَرَخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ .

١٤٣ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ :

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الذُّمُّ نُوْبٌ إِذَا قَدَمْنَ مِنَ الذُّنُوبِ
(قِيلَ) الْإِعْتِرَافُ . يَزُولُ بِهِ الْإِفْتِرَافُ . لَا عَتَبَ مَعَ إِفْرَادِهِ . وَلَا
ذَنْبَ مَعَ اسْتِغْفَارِهِ . الْمَعْتَرِفُ بِالْجُرِيَةِ مُسْتَعْتَقٌ لِلْفَغِيرَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
حَازِمٍ :

إِذَا مَا أَمَرُوا مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَاكَ الذَّنْبُ
قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقَرَّ بِذَنْبِكَ
فَيَكُونَ إِفْرَاؤُكَ حُجَّةً لَنَا فِي الْعَفْوِ . وَإِلَّا قَطِبَ نَفْسًا بِالْإِنْتِصَارِ مِنْكَ
أَقْرَرِ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ حُجُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
قَالَ أَبُو بَكْرِ الصَّوَلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِ بَرِيْقٍ
عَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِمَا لَصَدِيقٍ
١٤٤ أَتَى الْمَنْصُورُ رَجُلًا أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِالْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِالْإِحْسَانِ . فَعَفَا
عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ الذُّنُوبِ ب وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً
لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَمْ أَنْ تَغُضَّ عَلَى الْجُرِيَةِ

(للشَّامِيِّ)

دَخَلَ ابْنُ حُزَيْمٍ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الشَّامِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ دَوِيَّ الصَّدْرِ مُضْطَظِنٍ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبٍ
قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ وَالرِّضَا وَإِنْ غَبَتْ عَنْهُ أَلَمَتِكَ عَقَارِبُهُ
قَالَ بَشَّارُ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرَعُمُ أَتَنِي صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّاْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأَى عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ
١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادُهُ : يَا بَنِي عَايِشُوا النَّاسَ
عَشْرَةَ إِنْ غَبْتُمْ مَحْنُوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ فُقِدْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي : إِنْ
الْقُلُوبُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتْلَاحِظُ بِالْمُودَّةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي
الْبَغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمْ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَارْجُوهُ .
وَإِذَا أَبْغَضْتُمْ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَاحْذَرُوهُ
قَالَ الطُّغْرَانِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُ ذَخِيرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتِ إِسَاءَتُهُ فَهَبَهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ الْحَسَنِ
تُرِيدُ مَهْدَبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عُدَّ يَفُوحُ بِلَادُ خَانَ
قَالَ الْعَطَوِيُّ :

صُنِّ الْأَوْدُ إِلَّا عَنِ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ يُمَوِّخَاتِهِ تَشْرَفُ
وَلَا تَغْتَرِزُ مِنْ ذَوِي خِلَّةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخَرُوا

قَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني بِلِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبٌ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعُوذْتُهِ النَّوَابُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ فَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَزْدَ اقْتَرَدَى مَعَ الرَّدِيِّ

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَتَقَدِّي

١٥٠ قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ :

مَا أَحَبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ :

الْقَرَابَةُ تُقَطِّعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفِرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَفَ أَرَبِ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِرِزْلَةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ

عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَقُلْ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَتَذَرُّ إِلَيْكَ

أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلْ عُذْرَهُ فَإِنَّ الْمَعْتُوبَ لَا هُمْ

قَالَ الْمُبَرِّدُ :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ

وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ سَمَانِكَ . وَإِنْ أُخْتِجْتَ إِلَيْهِ مَا نَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ
خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ : مِنْ حُقُوقِ
الْمُودَّةِ أَخْذُ عَفْوِ الْإِخْوَانِ . وَالْإِنْعَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . (وَقِيلَ)
خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا لَسَيْتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقَرِّعَكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ
لَمْ يَمْنَعْ عَلَيْكَ بِهِ . (للشريشي)

قَالَ الْإِسْكَنْدَرُ : أَنْفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي
لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُبْهِوْنِي بِذَلِكَ عَلَى
الْخَطِئِ فَاسْتَدْرَكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي الْخَطَأَ وَيُسْتَجْعِلُونِي
عَلَيْهِ . (الآداب السلطانية للفخري)

وَلِلَّهِ دَرَأِي حَيَانَ الْأَنْدُلُسِيِّ إِذْ أَنْشَدَ :
عِدَائِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنْهُ . فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يُجْحُوا عَنْ ذِلَّتِي فَاجْتَبَيْتُهَا . وَهُمْ نَافِسُونِي فَانْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سِئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيْهَا
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ . وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحُسْنُ التَّنَبُّؤِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ
أَشْيَاءَ . الْأُسْتِبْدَادُ . وَالْتِهَانُ . وَالْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
يَقُولُ : رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَحْسَنُ مِنْ جَلْدِ الدَّلَامِ . قَالَ الْعُتْبِيُّ : قِيلَ لِلرَّجُلِ
مِنْ عَبَسَ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

١٥٢ قَالَ بُرْزُجِيمُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ. فِي الْخَيْرِ: الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. وَيُقَالُ: الرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانٍ كَالشَّمَالِ بِلَا عَيْنٍ. وَيُقَالُ: مَنْ أَخَذَ إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: التَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ مَتْرُوكٌ. وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ. وَعِدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ (لبهاء الدين)

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَغَتْ إِنْهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ وَظَهِيرٌ
وَمَا بِكَ كَثِيرُ أَلْفٍ خِلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لِكَثِيرٍ
١٥٣ وَقَالَ الْعُتْبِيُّ: لِقَاءُ الْإِخْوَانِ نُزْهَةٌ الْقُلُوبِ. وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ
الْهَرَشِيِّ: مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسَلَةٌ لِلْأَحْزَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ:
إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانِ لَغَنَمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لابن نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أُمَيَّةٍ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثٌ خِلَالٍ.
كِتَابٌ حَدِيثُ الْخُلُوةِ. وَالْمُؤَاسَاةُ عِنْدَ الشَّدَةِ. وَإِقَالَةُ الْعَثَرَةِ
(للمستعصي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

لَمْ أَجِرْهُ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجِرْ فِي أَذْنِي
قَالَ ابْنُ الْخَطِيرِ :

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
فَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومٌ
قَالَ أَبُو الْحَاسَنِ الشَّوَاءُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ السِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ :
لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِغَيْبَةٍ أَوْ مُحَالٍ
أَشَبَّهُ النَّاسُ بِالصَّدَى إِنْ تُحَدِّثُهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي الْحَالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُئِلَ سُؤْلُونَ : أَيُّ شَيْءٍ أَضَعَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ . قَالَ :
الْإِنْسَالُ عَنْ الْكَلَامِ بِمَا لَا يَغْنِيهِ . شَتَمَ رَجُلٌ سَخِيصَ الْحَكِيمِ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ حَرْبًا الْغَالِبُ فِيهَا
أَشْرُ مِنَ الْمَغْلُوبِ . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ . لَا تَتَّبِعْ هَيْبَةَ السُّكُوتِ
بِالرَّخِيسِ مِنَ الْكَلَامِ . قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ : اخْتَصَارُ الْكَلَامِ طَيُّ
الْمَعَانِي . وَقِيلَ لَهُ : مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ إِلَّا إِنْسَانٌ . قَالَ : السُّكُوتُ . وَمِنْ
كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقِلَّةِ مَقَالِهِ . وَعَلَى فَضْلِهِ
بِكَثْرَةِ أَحْتِمَالِهِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

١٥٩ اجْتَمَعَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا . فَقَالَ مَلِكُ الْفَرَسِ : مَا نَدِمْتُ
عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مَرَارًا . وَقَالَ قَيْصَرُ : أَنَا عَلَى
رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : مَا لَمْ

فَتَحْنُ نَشَاوَرُهُ فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :
الرَّأْيُ كَاللَّيْلِ مُسَوِّدًا جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَنْجِي إِلَّا بِاصْبَاحٍ
فَأَضْمُ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مَصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدُ ضَوْءُ مَصْبَاحٍ
قَالَ الْأَرَجَانِيُّ :

إِقْرِنِ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِثْنَيْنِ
لِلْعَرَةِ مِرَاةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرَآئَيْنِ
١٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : إِذَا شَاوَرْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ . وَقَالَ الْعَتَّابِيُّ :
الْمُشَوْرَةُ عَيْنُ الْهُدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ . وَقَالَ ابْنُ
الْمُنْتَزِ : الْمُشَوْرَةُ رَاحَةُ لَكَ وَتَعَبٌ لِغَيْرِكَ . وَمَنْ أَكْثَرَ الْمَشَوْرَةِ لَمْ
يَعْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا وَعِنْدَ الْخَطَا عَازِرًا (لابي نصر المقدسي)

كتمان السر

١٥٧ قَالَ أَنُوشِيرَوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ يَخْصِيهِ خَصَائِمَانِ .
الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ السَّطَوَاتِ . وَقِيلَ : كُلَّمَا كَثُرَتْ خُزَانُ
الْأَسْرَارِ زَادَتْ ضَيَاعًا . وَقِيلَ : ائْتَرِدْ بِسِرِّكَ لَا تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ .
وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنَ (للابشيهي)

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ :
وَلَسْتُ تُبْدِي لِلرِّجَالِ سِرِّي وَلَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِمَسَائِلِ
وَقَالَ آخَرُ :

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ . وَالثَّانِي حُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ .
وَالثَّلَاثُ الْخِفْظُ . وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ . وَالْخَامِسُ نُشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ :
مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْنِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : أَلْسَانُ . أَجْرَحُ
جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : أَلْسَانُ سَبْعُ صَغِيرُ الْجِرْمِ .

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَكَثْرُهُمْ عَنَاءً .
مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطْبِقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . (الكثر المدفون)

قَالَ نَصْرُ بْنُ شَيْمِلٍ :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ يَجِدُ الْعَمَالَ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلِيَّتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابًا
قَالَ فَيْلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تُتَخَنُّ بِإِطْنَانِهَا فَيَعْرِفُ صَحِيحُهَا أَوْ
مَكْسُورُهَا . كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُعْرِفُ حَالَهُ بِمَنْطِقِهِ (إلهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرُ مُعَاوِيَةَ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ فِي اسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ . فَسَكَتَ
عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْنَاكَ اسْتَخْطَنَّاكَ . وَإِنْ
كَذَبْنَاكَ اسْتَخْطَنَّا اللَّهَ . فَسَخَطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ
الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكْتٌ . وَقَبٌ

أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مَلَكَتْهَا فَإِذَا تَكَلَّمْتُ بِهَا مَلَكَتْنِي . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ :
أَلْعَجَبُ يَمُنُّ بِتَكَلُّمِ بَكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتْ وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعِ
(كَلِمَةٌ وَدَمَتُهُ)

١٦٠ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ وَيُطِيلُ
الَصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصَمْتُ فَأَسْلَمُ .
وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمُ . إِنْ حَظَّ أَرَأَيْ فِي أُذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِعَبْرِهِ (للدَّهْرِيِّ)
قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ
وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

١٦١ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : النَّدَمُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى
الْقَوْلِ . وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ الْكَلَامُ أَجَارَهُ الصَّمْتُ .
وَقَالَ أَيْضًا : الْخَطَا بِالصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَالْخَطْلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ
وَقَالَ آخَرُ :

الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ الْمَوَدَّةِ وَالْحَبَّةُ
وَالْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لَصًّا حَبُّهُ الْمَذَمَّةُ وَالْمَسْبَةُ
فَارْغَبْ عَنِ الْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجُ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَةُ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عَلَامَاتِ الْعَاقِلِ حُسْنُ سَمَتِهِ . وَطَوَّلُ صَمَتِهِ . وَقَالَ

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَامَا نَعْبَضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
(زهر الآداب للقيرواني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا التَّوَاضُّعُ . فَقَالَ : اجْتِلَابُ الْمَجْدِ وَانْكِسَابُ
الْوَدِّ . فَقِيلَ : مَا الْكِبَرُ . فَقَالَ : انْكِسَابُ الْبُغْضِ . (وَقِيلَ) التَّوَاضُّعُ
أَحَدُ مَصَادِيدِ الشَّرَفِ . مَنْ لَمْ يَتَضَعُ عِنْدَ نَفْسِهِ . لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ
نَظَرَ مُطَرِّفٍ إِلَى الْمَهْلَبِ وَعَلَيْهِ حَالَةٌ يَسْتَحِبُّهَا . فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ
الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي . قَالَ : بَلَى أَوَّلَكَ مَادَّةً
مَذْرُوءَةً وَآخِرَكَ حِفْظَةً قَدِيرَةً . فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ الْمِشْيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ .
وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطُرُ فِي نَاحِيَةِ الْمُسْجِدِ . فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى
هَذَا لَيْسَ مِنْهُ عَضْرُ إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِئْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ لُعْبَةٌ
وَأَشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَرَّ بِسَلَمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ .
فَقَالَ : أَجْمَلُ مَعِيَ هَذَا يَا عَلِيٍّ فَحَمَلَهُ فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ : ادْفَعْهُ
إِلَيَّ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْعَلِيٌّ . وَالرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ . فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (لِلشَّعْبَانِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَثَلُ الْمَجْدِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مَتَّبِعًا فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

الْأَحْمَقُ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لابن عبد ربّه)
قَالَ رُهَيْزٌ :

كَأَيِّنْ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَهْضُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فَوَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

الكذب

١٦٤ الْكُذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ
لَمْ أَدْعِ الْكُذِبَ تَوَرَّعًا . تَرَكْتُهُ تَصْنَعًا (الكنز المدفون للسيوطي)
قَالَ عُمَرُ : عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ :

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَنْعَبَ رِضَا الْمَوْلَى فَأَغْبَى الْوَرَى مَنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدَ
وَقِيلَ : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ (للابشيحي)

١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُمَيْدَةَ : الصِّدْقُ رِبْعُ الْقَلْبِ . وَزَكَاةُ الْحُلَاةِ .
وَثَمَرَةُ الْمَرْوَةِ . وَشُعَاعُ الصَّبْرِ . وَعَنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى
اِعْتِدَالِ وَزَنِ الْعَقْلِ يَأْسَبُ صَاحِبُهُ . قَالَ بَعْضُ الْفَلَسَفَةِ : الْكُذَّابُ
وَأَلَمْتُ سَوَاءً . لِأَنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ النُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثِقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ
حَيَاتُهُ . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : الْكُذَّابُ لِصٌّ . لِأَنَّ اللَّصَّ يَسْرِقُ
مَالَكَ . وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ
عَلَيْكَ . وَمَنْ اُغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

الحسد

١٦٩ (قِيلَ) الْحَسَدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ غَيْرِكَ . الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ
عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : الْحَسَدُ وَالْخِرَاصُ
دِعَامَتَا الذُّنُوبِ . فَالْخِرَاصُ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ . وَالْحَسَدُ نَقْلُ إِبْلِيسَ
عَنْ جِوَارِ اللَّهِ . وَقَالَ أَيْضًا : لِلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ
أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُحْسُودِ . وَقِيلَ : الْحُسُودُ لَا يَسُودُ (لِلشَّعَالِيِّ)

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ :

الْمُجْدُ وَالْحَسَادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبَ

وَلَيْنِ مَلَكَتِ الْمَجْدَ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبِ

١٧٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَسَدُ وَالْحَاسِدُ مُضَادٌّ
لِنِعْمَةِ اللَّهِ . خَارِجٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . تَارِكٌ لِعَهْدِ اللَّهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ
إِنْسَانٍ أَقْدِرُ أَنْ أَرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا . وَكَانَ
يُقَالُ : الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ . وَيُقَالُ : مَنْ كَثُرَ حَقْدُهُ دَوِيَ قَلْبُهُ . وَيُقَالُ :
الْحَقْدُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَيُقَالُ : حُلُّ عَقْدِ الْحَقْدِ . يَنْتَظِمُ لَكَ عَقْدُ
أَلَوْدِ (لَا بِي نَصْرُ الْمُقَدَّسِيِّ)

قَالَ أَبُو تَائِبٍ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَّيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا اسْتِيعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ الْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضَعَكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمَنْ أَلْبَسَ الْبُلُوَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهُ
أَنْ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لها الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الذُّبَابُ حَتَّى أَخْفَجَهُ .

فَقَالَ : أَنْظِرُوا مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَاقَ اللَّهُ الذُّبَابَ . قَالَ :

لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَّارَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَارَهُ (اللابسيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِكَبِيرٍ مُجَانِبًا . وَلِلْإِعْجَابِ

مُبَاطِنًا . مَنْ جَلَّ فِي الدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِيلُ بِعَالِي

هِمَّتِهِ كُلِّ كَبِيرٍ . وَيَسْتَصْغِرُ مَعَهَا كُلَّ كَبِيرٍ .

وَرَدَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنْ

الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَرَحٌ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعالمي)

سَمِعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَعَهُ فِي وَعَائِكَ
(للمستعصي)

قَالَ الشَّيْرَاوِيُّ :

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَأَنْتَبِهْ

الملاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : الْمَزَاحُ يُذْهِبُ الْمُهَابَةَ وَيُورِثُ
الضَّغِينَةَ أَوْ الْمُهَانَةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْمَزَاحُ يَأْكُلُ الْقِيَبَةَ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطْبَ . وَمَنْ كَثُرَ مَزَاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي اسْتِخْفَافٍ بِهِ وَحِدٍ عَلَيْهِ
قَالَ نَاصِحُ الدِّينِ ابْنُ الدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ الْمَزَلَ دَابًّا فَهُوَ مَنْقُصَةٌ وَالْجَدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ الْوَرَى الْقِيمِ
وَلَا يَغْرَنَكَ مِنْ مَلِكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَمِعْتَ السُّنْبُ الْإِحْيَى تَبَسُّمِ
١٧٥ كَانَ يُقَالُ : الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزْحِ مُجُونٌ وَالْإِفْتِصَادُ فِيهِ ظَرِافَةٌ .
وَيُقَالُ : الْمَزْحُ فِي الْكَلَامِ . كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْفَتْحِ
الْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلًا وَعَلَلَهُ إِشْيَاءٌ مِنَ الْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ
(لأبي نصر المقدسي)

ذم الغيبة

١٧١ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْغَيْبَةَ مِنْ أَفْجَحِ الْقَبَائِحِ وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ . وَهِيَ ذِكْرُكَ إِلَّا نَسَانَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ بِمَا فِيهِ . سَوَاءٌ كَانَ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ . سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِلَفْظِكَ أَوْ بِكِتَابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَقِيلَ لِلرَّبِيعِ ابْنِ خُثَيْمٍ : مَا تَرَكَ تَغِيبُ أَحَدًا . فَقَالَ : لَسْتُ عَنْ نَفْسِي رَاضِيًا فَأَتَفَرَّغَ لِذَمِّ النَّاسِ . وَأَنْشَدَ :

لِنَفْسِي أَنْبِي لَيْسَ أَنْبِي لِغَيْرِهَا لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلُ
١٧٢ اسْتَعِ مِنْ ذَمِّ مَنْ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَبَالَغْتَ فِي مَدْحِهِ . وَمَدَحِ مَنْ لَوْ كَانَ غَائِبًا لَسَارَعْتَ إِلَى ذَمِّهِ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : كَمَا أَنَّ الدُّبَابَ يَتَّبِعُ مَوَاضِعَ الْخُرُوجِ فَيَنْكِيهَا وَيَجْتَنِبُ الْمَوَاضِعَ الصَّحِيحَةَ . كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ الْمَعَائِبَ فَيَذْكُرُونَهَا وَيَدْفِنُونَ الْحَاسِنَ

(لباء الدين)

١٧٣ إَعْلَمَنَّ أَنَّهُ كَمَا يُحْرَمُ عَلَى الْمُغْتَابِ ذِكْرُ الْغَيْبَةِ كَذَلِكَ يُحْرَمُ عَلَى السَّامِعِ اسْتِمَاعُهَا . فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ إِنْسَانًا يَتَدَبَّرُ غَيْبَةَ أَنْ يَنْهَاهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإِنْ خَافَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ بِقَلْبِهِ وَمُفَارَقَةُ ذَلِكَ الْجُلُوسِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُفَارَقَتِهِ

(لابشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَغْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا بَنِي زُرْهُ

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلَامٌ أَصُونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْجُلْدِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا تِسَارٍ فَإِنَّهُ خَاطِقٌ لِعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ
١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : الْجُودُ أَشْرَفُ الْأَخْلَاقِ . وَأَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْجُودُ حَارِسُ النَّفْسِ مِنَ الدَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : الْأَسْخِيَاءُ
يَعْبُدُهُمُ الْمَالُ . وَالْجُلَاءُ يَعْبُدُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ
يُسَبِّهُ الرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : الْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَ سَادَ . وَمَنْ تَجَلَّ رَذُلٌ .
وَقَالَ عُمَرُ : السَّيِّدُ الْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلِلْمَالِ لَكَ

• قَالَ شَاعِرٌ يمدح بعض الخلفاء :

بَنَتْ الْمَكَارِمُ وَسَطَ كَفِّكَ مَنْزِلًا وَجَعَلَتْ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحًا
فَإِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا كَانَتْ يَدَاكَ لِقُلُوبِهَا مُفْتَحًا
١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرَيْرٍ اسْتَقِيلَ كَثِيرٌ مِمَّا تُعْطِي . وَاسْتَكْبَرُ
قَلِيلٌ مِمَّا تَأْخُذُ . فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطِي . وَقُرَّةَ عَيْنِ اللَّئِيمِ فِيمَا
يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ الشَّيْخَ لَكَ مُعِينًا . وَلَا الْكَذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ
مَعَ شَيْخٍ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَالسَّلَامُ (للمستعصي)
وَأَنشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدَرًا يَنْتَابِنُ فُرُوعَ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّمَنَّ أَصُولُ
وَكَمْ أَرَاكَ لَمْ تُرَفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فُحِّلُوْهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِّلُ

الكرم

١٧٦ الْجُودُ سُهولةُ الْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُعِّ النَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرُ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرُ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي حَكِيمُ الْعَرَبِ : ذَلُّوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ .
وَقُودُوهَا إِلَى الْحَمْدِ . وَعَلِّمُوهَا الْمَكَارِمَ . وَصَلُّوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ .
وَتَحَلُّوا بِالْجُودِ يُلَبِّسْكُمْ الْمَحَبَّةَ . وَلَا تَعْتَقِدُوا الْبُخْلَ فَتَعَجَّلُوا الْفَقْرَ
(لابن عبد ربه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ :
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْقَبَاضًا لَمْ تُطْعَمْهُ أَنَامِلُهُ
هُوَ الْبُخْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّيْتُهِ الْمَعْرُوفَ وَالْجُودَ سَاحِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيَّبَقِيَ اللَّهُ سَائِلُهُ
١٧٧ (قَالُوا) السَّخِيُّ مَنْ كَانَ مُسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ . لَا
يَأْتِمِسُ عَرْضَ دُنْيَا فَيَحْبِطُ عَمَلُهُ . وَلَا طَلَبَ مَكَافَأَةٍ فَيَسْقُطُ شُكْرُهُ .
وَيَكُونُ مِثْلُهُ فِيمَا أُعْطِيَ مِثْلَ الصَّائِدِ الَّذِي يُلْقِي الْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ
نَفْعَهُ وَلَكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمَلَكَامَةِ : مَنْ أَجُودُ النَّاسِ .
قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قَلَّةٍ . وَصَانَ وَجْهَ السَّائِلِ عَنِ الْمُدْلَةِ (لبهاء الدين)
قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ :

١٨٢ أَلْقَانَعَةُ إِلَّا كَتَفَاءً بِالْمَوْجُودِ . وَتَرَكَ التَّشَوُّقَ إِلَى الْمُنْقُودِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِي الْعَبْدِ حُرٌّ إِذَا قَتَعَ . وَالْحُرُّ عَبْدٌ
 إِذَا طَمَعَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ لَمْ يَفْنَعْ بِالْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِالْكَثِيرِ .
 وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : أَعَرَفَ النَّاسَ بِاللَّهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ .
 وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ
 قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ حَقِيرًا وَفِي الدُّنْيَا أَسِيرٌ غُوبِنَا
 ١٨٣ (قَالُوا) الْغَنِيُّ مَنْ أَسْتَفْنَى بِاللَّهِ . وَالْفَقِيرُ مَنْ أَفْتَقَرَ إِلَى النَّاسِ
 (وَقَالُوا) لَا غَنِيَّ إِلَّا غَنِيُّ النَّفْسِ (لَا بِنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 قَالَ النَّوَوِيُّ :

وَجَدْتُ الْقَانَعَةَ أَصْلَ الْغَنِيِّ فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ
 فَلَا ذَا يَرَانِي . عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ
 وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَمَرْتُ عَلَى النَّاسِ شِبْهَ الْمَلِكِ
 نَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَارٍ
 يَضْرِبُ بِالثَّوْبِ الْمَغْسَلَةِ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ
 الْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا

الشكر

١٨٠ الشُّكْرُ الثَّنَاءُ عَلَى النُّحْسَنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 السَّيِّئَانِي : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُبُهُ . وَلَا
 يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَإِذْخَالِ الْمُرَافِقِ عَلَى الضَّعِيفِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحَالِ الَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هَذَا التَّعَبَ فِي الْقِيَامِ
 بِحَوَائِجِ النَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُ تُغْرِيدَ الْأَطْيَارِ بِالْأَسْحَارِ .
 فِي فُرُوعِ الْأَشْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ الْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ
 الْقِيَانِ . فَمَا طَرَبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءِ حَسَنِ بِلِسَانِ
 حَسَنِ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرٍّ
 لِرَجُلٍ حُرٍّ . (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : إِنْ اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ .
 وَكَفَّهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . (قِيلَ) الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ .
 لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالنِّعَمُ تَفْنَى . (وَقِيلَ) الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ . وَأَمَّا مِنْ
 النِّعَمِ . (وَقَالُوا) كَفَرُ النِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الزَّيْدَ
 فِيهَا . (وَقَالُوا) مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . (وَقَالُوا) إِذَا قَصُرَتْ
 يَدَاكَ عَنِ الْمَكَاافَةِ فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ
 أَلْوَاقِدِيِّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنْ هُمَا قَوْمًا
 يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هُوَلَاءُ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ
 لَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبد ربّه)

رَجُلًا يَلْقَمُ لَقْمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ اسْتَمَكْتَ . قَالَ : لُثْمَانُ . قَالَ :
 صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا سَمِينًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ
 قِطِيفَةً مِنْ تَسْبُحِ أَضْرَاسِكَ . قِيلَ لِابْنِ زُجَيْجٍ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ الطَّعَامُ
 أَصْلَحُ . قَالَ : أَمَّا لِمَنْ قَدَّرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ
 لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ الدَّوَاءِ . قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَأَنْتَ
 تَشْتَهِيهِ . (قَالُوا) أَحْذَرُوا الْبُطْنَةَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعِلَلِ إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فُضُولِ
 الطَّعَامِ . (لابن عبد ربّه)

ذم النبيذ

١٨٧ جَاءَ فِي الْمُبْهَجِ : الْخَمْرُ مُصْبَاحُ السُّرُورِ . وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ الشُّرُورِ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَشْرَبَ مَعَنَا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ
 عَمَلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : التَّبَذُّ كِيمَاءُ الطَّرَبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلَكِنَّهُ دَائِعِيَّةُ
 الْحَرْبِ . قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى النَّاسِ شَرُّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءُ
 مَرَارًا تُزِيكُ أَلْغِي رُشْدًا وَتَارَةً تُخَيِّلُ أَنَّ الْفَحْشِينَ أَمَاوُوا
 وَأَنَّ الصِّدِّيقَ الْمَاحِضَ الْوُدَّ مُبْغَضٌ وَأَنَّ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ
 وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ التَّبَذِّ فَقَلَمَا يَدُومُ لِإِخْوَانِ التَّبَذِّ إِخَاءُ

العزلة

١٨٨ (يُقَالُ) الْعَزَلَةُ عَنِ النَّاسِ تُوَقِّي الْعَرِضَ . وَتُبْقِي الْجَلَالََةَ .
 وَتَسْتُرُ الْفَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَنُّونَ مَا نَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَ نَا الْمَوْتَ لَمْ تَمَنَّ
مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَقْدِرُ الصُّعُودُ يَكُونُ الْمُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرَّتْبَ الْعَالِيَةَ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَ تَعُومُ وَرِجَالُكَ فِي عَافِيَةٍ
١٨٤ كَانَ أَنْوَشِرُ وَأَنْ يُسَكَّ عَنْ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : تَتْرُكُ
مَنْحِبٌ لِيَلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ قَلِيلُ الْأَكْلِ
خَشِنَ اللِّبَاسِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ الرَّحْمَةَ
لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُرُّ رُوحٍ فَلَا تَرْحَمُهُمَا . فَكُتِبَ لَهُ سُقْرَاطُ
فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَعِيشَ
لِتَأْكُلَ . وَالسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ .
وَإِذَا أَرَدْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ نَصَرَهُ . وَمَنْ
لَزِمَ الْقَنَاعَةَ زَالَ قَهْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : الْفَنِيَةُ يَنْبُوعُ الْأَحْزَانِ . نَظَمَهُ
أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَا لَكَ لَا تَقْتَنِي مِنْ الْمَالِ ذُفْرًا يُفِيدُ الْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَفَحْمَتُهُمْ فِي الْجَوَابِ لَيْلًا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا
(لبهاء الدين)

البطنة

١٨٦ (قَالُوا) الْبَطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ

أَلْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

العقل

١٩٠ قَالَ حَكِيمٌ : أَلْعَقْلُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ . وَأَخْصَنُ مَعْقِلٍ . قَالَ
آخَرُ : أَشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ . وَقَالَ آخَرُ : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ
رَخِصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ كَلَّمَا كَثُرَ غَلَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسَبِ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بَعِيدٍ
(لأبي نصر المقدسي)

١٩١ . إِفْتَخَرَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ بِالْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ .
وَبَرَّخَارِفِ الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ . فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْحَكِيمُ : إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ
فَخْرٌ فَيَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ الْفَخْرُ لَهَا لَا لَكَ . وَإِنْ كَانَ أَبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ
أَشْرَافًا فَالْفَخْرُ لَهُمْ لَا لَكَ (للفخري)

١٩٢ إِعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ . وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ حَقِيرَ
الْخَطَرِ دَنَى الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى . وَإِنْ
كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا
نَطُوقًا . فَالْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْمَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَصَاهُ . وَلَا تَغْتَرُّوا
بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أحياء علوم الدين)

السَّلَامَةِ فِي الْوَحْدَةِ وَالْعَزَلَةِ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُنِّي جَلِيْسًا
إِنَّمَا الْأَذْلُ فِي مُدَاخَلَةِ النَّاسِ قَدْ عَمَّا وَكُنْ كَرِيْمًا رَيْسًا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجْلُ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا أَبْتَغِي سِوَاهُ أَيْنِسًا

(لأبي نصر المقدسي)

١٨٩ الْعَزَلَةُ عَنِ الْخَلْقِ هِيَ الطَّرِيقُ الْأَفْوَمُ الْأَسَدُ . فَقِرَّ مِنْ
الْخَلْقِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ . فَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ
وَالْمَزَايَا . لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ الْأَلَامِ وَالرَّزَايَا . فَاحْسِبْ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ
الْعَزَلَةِ . فَإِنَّ عَزْلَةَ الْمَرْءِ عِزُّهُ . قِيلَ لِبَعْضِ الزُّهَّادِ : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَفْضَتْ بِكُمْ الْحَاوَةُ . فَقَالَ : إِلَى الْإِنْسِ بِاللَّهِ تَعَالَى
وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ :

أَنْتَ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتَ بَيْتِي فَطَابَ الْإِنْسُ لِي وَصَفًا السُّرُورُ
وَأَذْبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي بِأَنِّي لَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَأَنْتَ بِسَائِلِ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ الْجُنْدِ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ
قِيلَ لِدُعْلِجِ الشَّاعِرِ : مَا الْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : أُنْظُرُ إِلَى النَّاسِ
ثُمَّ أَتَشَدُّ :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ قَدَا
إِنِّي لَا أَفْعُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا
(لِهَا الدِّين)

يُخْتَفَرُ مِنْ دُونِهِ . وَلَا يَحْسِدُ مِنْ قُوَّةِهِ . وَلَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمَنًا . وَمَدَحَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ بَدِيعَ الْمُنْطِقِ . جَزَلَ الْأَلْفَاظِ . عَرَبِيَّ اللِّسَانِ . قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ . حَسَنَ الْإِشَارَاتِ . حُلُوَ الشَّمَائِلِ . كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ صَمُوتًا وَقُورًا . قَالَ الشَّافِعِيُّ :

أَخِي لَا تَنَالِ الْعِلْمَ إِلَّا بَسْتَةً سَأُنِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانِ ذِكَا . وَحِرْصُ وَاجْتِهَادُ وَبَلْغَةُ وَصُحْبَةُ أَسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ

٢٠٠ كَانَ حِمَزةً مِنْ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ وَمِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقَصَاحَةِ وَطُولِ الْعُمَرِ . سَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ : بِمِ نَلْتَ الْعِلْمَ . قَالَ : بِلِسَانِ سُؤُولٍ . وَقَلْبِ عُقُولٍ . ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَإِضَاعَةً وَنَكَدًا وَاسْتِجَاعَةً . فَآفَتُهُ اللِّسَانُ . وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تَحْدَثَ بِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ . وَنَكَدُهُ الْكَذِبُ فِيهِ وَاسْتِجَاعَتُهُ أَنْ صَاحِبَهُ مِنْهُومٌ لَا يَشْبَعُ أَبَدًا (الدهميري)

آفات العلم

٢٠١ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَعْلَامِ : مَنْ أَرْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا . وَلَمْ يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا . فَقَدْ أَرْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَكْبَارِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُتَوَبِّهٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أُوتِيَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئْ نُورَ الْعِلْمِ بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عَلَيْهِمُ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَسْتُ مُنْتَفِعًا بِمَا تَعَلَّمْتُ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا تَعَلَّمْتُ . فَإِنْ

قِيلَ لَهُ : فَأَبَالُ الْعُلَمَاءِ يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . وَالْمُلُوكُ لَا
يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِحَقِّ الْمُلُوكِ
وَجَهْلِ الْمُلُوكِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَيْلِمُ يُخَيِّ قُلُوبَ الْمُسَيِّينَ كَمَا

تَحْيَا أَيْلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

وَالْعِلْمُ يُجْلُو النَّمَى عَنْ قَابِ صَاحِبِهِ

كَمَا يُجْلِي سَوَادُ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ

(لابن عبد ربّه)

١٩٨ قَالَ الْجَالِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَادٍ فِي
أَيَّامِ وَلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيَّوَانِ وَالنَّاسُ مُثْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَانَ عَلَى
رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَدَّةٍ وَهُوَ مَعْزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ
فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالِيهِ الْكُتُبُ وَالْدَّقَاتُ وَالْحَابِرُ وَالْمَسَاطِرُ فَمَا رَأَيْتُهُ
أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ

(للنخري)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَنْ يَعْدِمِ الْعِلْمَ يُظْلِمُ عَقْلَهُ أَبَدًا رَأَاهُ أَشْبَهَ مَا نَلَقَاهُ بِالنِّعَمِ
كَمْ مِنْ نَفُوسٍ عَدَّتْ لِلَّهِ مُخْلِصَةً بِالْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ
وَالْعَمَلِ شَمْسٌ وَنُورُ الْعِلْمِ مُنْبَثِقٌ مِنْهَا وَمِنْهَا ثَمَارُ الْفَضْلِ فَاقْتَرِمِ

شروط العلم

١٩٩ (قَالُوا) لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

الادب

٢٠٣ قَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةَ : اَطْلُبُوا الْاَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ الْعُقْلِ وَدَلِيلُ
عَلَى الْمُرُوءَةِ . وَصَاحِبُ فِي الْغُرَبَةِ . وَمُوْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ . وَصَلَّةُ فِي
الْمَجْلِسِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِنَيْهِ : عَايَكُمْ بِطَلَبِ الْاَدَبِ
فَأَنْتُمْ إِنْ أَحْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنْ اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ
ذَلِكَ . فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَرُولُ بِزَوَالِهَا . لِيُعْجِبَكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِذَيْنِ أَوْ اَدَبِ
قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا يَمْتُتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بُزْرَجُجِيرُ : الْجَهْلُ هُوَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَالْعِلْمُ هُوَ الْحَيَاةُ
الشَّرِيفَةُ . مَنْ أَكْثَرَ آدَبَهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ
غَرِيبًا . وَارْتَفَعَ صَيْتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (للسُّوْطِي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

السَّبْعُ سَبْعٌ وَلَوْ كَانَتْ مَخَالِبُهُ وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ السَّبَاعِ رِي
وَهَكَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ خَالِطُهُ صَفَرُ الثَّمَّاسِ فَكَانَ الْفَضْلُ لِلذَّهَبِ

زِدَتْ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمَلَهَا
فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لبهاء الدين)
(قَالُوا) لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا .
لَكِنْ وَضَعُوهُ عَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا . قَالَ حَكِيمٌ :
أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا
(ابن عبد ربّه)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يُخْفَى . وَنَسَبٌ لَا يُجْنَى . وَقَالَ
أَيْضًا : زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنْكَسَارِ سَفِينَةٍ تَغْرَقُ وَيَفْرُقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .
قَالَ غَيْرُهُ : إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ . زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْمَتَوَاضِعُ
فِي طُلَاقِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْتَخَفِضَ أَكْثَرُ الْبَقَاعِ
مَاءً . إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ . وَادَّكُرْ مَنْ فَوْقَكَ
مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ . وَعَاشَ
خَزَانُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مِثْلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ
(للقمرواني)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَلِيُّ الْخَوْيُّ :
أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى
يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

وَأَكْثَرُ إِعْظَامِهِ . قِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَذَنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

تأديب الصغير

٢٠٦ قَالَتْ الْحُكْمَاءُ : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سَرَّ بِهِ كَبِيرًا . وَقَالُوا : أَطِيعُ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا . وَأَعْدِلُ الْعُودَ مَا كَانَ لَدْنَا . وَقَالَ صَالِحُ ابْنِ عَبْدِ الْوَدُّوسِ :

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبَتْهُ فِي الصَّبَا كَأَنْعُودٍ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُنْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَنْزُكُ أَخْلَاقُهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا أَرَعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبَلَّغَ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ :

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أَلْقَمَهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أَعْلَمَهُ الْقُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكْمَاءِ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ . لِأَنَّ
الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ . وَالْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى الْجُبْنِ (لابن عبد ربّه)

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثَوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفَهُ فَأَنْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفُخْ مِنْهُ رَوَانِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحُطْبِ
دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ
رِجَالًا مِنْ قَوَائِسِ بَيْتِهِ . فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجَهْمَةَ وُجُوهِهِمْ
فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّيْخِ إِلَى الْغَرِيمِ الْفَلَسِ . هَكَذَا
الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ . وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى . وَيُعِدُّ
الْعَمِيدَ عَلَى الْأَسِيرَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا لِي عَنِّي وَهْمِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا حَرَبِي
إِذَا أَنْتَمِي مُنْتَمِي إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مُنْتَمِي إِلَى أَدَبِي

(للأبشيحي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْزُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَحَلَّى لَهُ عَنْ
الْصَّدْرِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ
عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبِ إِنَّمَا النَّاسُ لِأَمٍّ وَلَأَبٍ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلِ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حِسَانٍ وَأَدَبٍ
قَالَ آخَرُ :

لَا تَذْخِرْ غَيْرَ الْعُلُوِّ مِ فَإِنَّهَا تَعَمُّ الدُّخَايِرَ
فَالْمَرْءُ لَوْ رَجَحَ الْبَقَا مَعَ الْجَهْلَالَةِ كَانَ خَاسِرًا
دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُوَدِّبُ الْوَائِقِ عَلَى الْوَائِقِ . فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

يَا هَا مِنْ غَيْرٍ أَنْ تُحْرِقَ بِهِ قُتِمَتَ ذَهْنُهُ . وَلَا تُثْمِنُ فِي مُسَاحَتِهِ فَيَسْتَبِيلَ
 الْفِرَاقَ وَيَأْتِفَهُ . وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمُلَانِيَةِ . فَإِنْ أَبَاهَا
 فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالنَّاطَةِ (الشريدشي)

روية الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَنْصٍ : حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ
 الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ . قِيلَ لِأَيِّ وَائِلٍ : أَيُّكُمَا أَكْبَرُ أَنْتَ أَمْ الرَّبِيعُ
 ابْنُ خُثَيْمٍ . قَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا . وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَمَلًا
 قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ
 عَشِيرَةً مِنْ أَيْكَ . سَمِعْتُ عَنْهُ لَيْلَةً فَبَدَأَ نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ عَشِيَ
 الْمَصْبَاحُ وَنَامَ الْعِلَامُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَشِيَ الْمَصْبَاحُ وَنَامَ
 الْعِلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ أَنْ
 يَسْتَحْدِمَ صَيْفَهُ . ثُمَّ حَطَّ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ . وَقَامَ إِلَى الدَّيَّةِ . فَصَبَّ
 مِنْ الزَّيْتِ فِيهِ الْمَصْبَاحَ وَأَشْخَصَ الْقَتِيلَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ
 قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَدَبَاءِ :

فَكُنْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا
 بِصُحْبَةِ عَاقِلٍ وَغَدَا إِمَامًا
 كَمَا أَلْجَأَ صُرٌّ ثُمَّ تَحَلَّوْا
 مَذَاقَهُ إِذَا صَحِبَ الْعَمَامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ الْحُكَمَا : رَأْسُ الْأَدَبِ كُلِّهِ حُسْنُ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ .

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيُقْبِجَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيُحَيِّثَهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ . وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبَهُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَ أَلَمْ أَلْتَبِ
وَدَعَ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كَبَرُ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبِ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُتْبَةَ يُوسِي مُوَدَّبَ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِي إِصْلَاحِكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنْ عَيُوبُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلِّمَهُمُ الدِّينَ وَلَا تُمْلِهِمْ فِيهِ فِتْرَتَهُ . وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشَّعْرِ أَغْفَهُ . وَمَنْ أَلْكَامَ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ . فَإِنْ أَرَادَ حَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةً لِنَفْسِهِمْ . تَهْدِدْهُمْ بِي وَأَدِّبْهُمْ ذُوْنِي . وَكُنْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لجمال الدين الحلي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُوَدَّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتِكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرِئْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْأَنْبَاءَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمَهُ السُّنَنَ وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَأَمْنِعْهُ الصَّحُوكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمْرُرْ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا قَائِدَةً تُفِيدُهُ

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى الْمُعْتَمِدِ فِي شَيْءٍ .
فَقَالَ لِي : اجْلِسْ . فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَأَعَادَ . فَأَعْتَذَرْتُ بِأَنِّ ذَلِكَ
لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَرْكَ أَدَبِكَ فِي الْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ
فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمُنْصُورِ فَاسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ
وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُبْقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ لَكَ بِذَلِكَ . فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ مَا
أَخَافُ بُحْلَكَ . وَلَا أَسْتَفْصِرُ أَجْلَكَ . وَلَا أَغْنِمُ مَالَكَ . وَإِنَّ عَطَاءَكَ
لَزَيْنٌ . وَمَا بِأَمْرِي بِذَلِكَ وَجْهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَعْجَبَ الْمُنْصُورُ
كَلَامَهُ . وَاشْتَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بَابَ مُعَاوِيَةَ
فَازْدَنَ لِلْأَخْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ . فَاسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى
دَخَلَ قَبْلَ الْأَخْنَفِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذْنْتُ لَهُ
قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذَلِكَ نَلِي
أَدَبَكُمْ . وَمَا تَرِيدُ مُتَزِيدُ إِلَّا لِنَقْصِ يَمِيدِهِ مِنْ نَفْسِهِ (لِلْمُسْتَعْصِمِ)
وَمِنَ الْأَدَبِ أَلَّا تَتَنَابَّ صَاحِبًا فَتُثَلَّ عَلَيْهِ . قَالَ الثَّعَالِبِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا

إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا

وَالْإِصْفَاءَ لِلْمُتَكَلِّمِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ
الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى
أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَأَحْذَرِ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ
عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . قَالُوا : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تُقَالِبَ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ . وَإِذَا سُلِّ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ . وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا
تُتَارِعْهُ إِيَّاهُ . وَلَا تَفْتَحْ عَلَيْهِ فِيهِ . وَلَا تُرِدْ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : مِنْ هِشَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِيَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمُلُوكَ يَسْبُ .
وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ : مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ .

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ
أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ
جَلِيسِي . وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ . وَقَالَ أَيْضًا : لِحَلِيسِي عَلَى ثَلَاثٍ . إِذَا
دَنَا رَجَبْتُ بِهِ . وَإِذَا جَلَسَ وَسَعَتْ لَهُ . وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَتُ عَلَيْهِ .
قَالَ زِيَادُ : إِيَّاكَ وَصُدُورُ الْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ
فُلَانَةٍ . وَلَآنَ أَدْعَى مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ
قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْقِعِ مَوْضِعٍ فِي
الْمَجْلِسِ فَلِلمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُ مِنْهُ

(لابن عبد ربّه)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ أُلْكَمَاءَ : الْقَلَمُ صَانِعُ الْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ
الْقَلْبُ . وَيَصُوغُ مَا يَسْكِنُهُ اللَّبُّ
قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْفِزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنٌ رَمَسَ طَعْمَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَرْجِعُ مَنْ فِي الْقَبْرِ مِنْهُ مَقُومًا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ يَسْتَحِقُّ التَّرَجُّمًا
قَالَ الْعُتْبَانِيُّ : بَكَاءُ الْقَلَمِ تَبَسُّمُ الْكِتَابِ . وَالْأَقْلَامُ مَطَايَا الْفُطُنِ .
قَالَ أَرَسْطَاطَالِيسُ : عُقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثُمَامَةُ
ابْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَرَتْهُ الْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ الْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي الْكِتَابِ : إِنَّهُ الْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُتَافَقُ وَلَا يَمْلُ . وَلَا
يَعْتَبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فُضِيلَتِهِ :

جَلِيسُ الْأَنْبِيَاءِ يَأْمَنُ النَّاسُ سِرَّهُ وَيَذْكُرُ أَنْوَاعَ الْمَكَارِمِ وَالنُّهَى
وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى وَيُنْهَى عَنِ الطُّغْيَانِ وَالشَّرِّ وَالْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشِّعْرَ تَعَذُّبَ السِّنِّهِمْ .
فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ الرَّجُلِ الْأَبْيَاتُ مِنَ الشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ
يَسْتَعِظُ بِهَا قَلْبُ الْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبُ اللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا :
الشِّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يَسْكُنُ بِهِ الْغَيْظُ . وَتَطْفَأُ بِهِ النَّارَةُ .

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

الادب في الماشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَا شِئْتُ الْمَأْمُونَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي
بُسْتَانٍ مُؤَنَسَةٍ بِنْتُ الْمُهْدِيِّ . فَكُنْتُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ
الشَّمْسِ . فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَارَادَ الرُّجُوعَ أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى
الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ كُنْ بِحَالِكَ
حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِكَ
حَرَّ النَّارِ لَفَعَلْتُ فَكَيْفَ الشَّمْسُ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَرَمِ الصُّحْبَةِ .
وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ الشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتَهُ (لابن عبدربه)

الادب في الاكل

٢١٦ قَالَ الْغَزَّالِيُّ : إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِيَ
فِي الْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنِّ أَوْ زِبَادَةِ فَضْلٍ .
إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَبَوِّعُ الْمُقْتَدَى بِهِ . فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُطَوَّلَ
عَلَيْهِمْ إِلَّا تَنْظَارًا إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى
الطَّعَامِ . وَلَكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ وَبِالْحَدِيثِ عَنِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ
الْأَدَبِ فِي الْأَطْعَمَةِ . قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْسَنُ الْأَكْلِينَ مَنْ
لَا يُخَوِّجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَقْدُّدِهِ فِي الْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ
الطَّعَامَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصي)

٢٢٣ قَالَتْ بَنُو تَيْمٍ إِسْلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: نَحْنُ نَا بَشْعِرِكَ. قَالَ: أَفْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ (لابن عبد ربه)

٢٢٤ سَأَلَ حَكِيمٌ غُلَامًا مَعَهُ سِرَاجٌ: مِنْ أَيْنَ تَجِي؟ أُنْذِرُ بَعْدَ مَا تَطْفِي. فَقَالَ: إِنْ أَخْبَرْتَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ أَخْبَرْتُكَ مِنْ أَيْنَ تَجِي. ٢٢٥ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي أُنْعَمَى أَغْلَظَ فِي كَلَامِهِ:

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمِمَّا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْهُ خَرَابٌ
٢٢٦ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجُعْدِيُّ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَهْدَى إِلَيْهِ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْ نَا شَرًّا مِنْ الْأَسْوَدِ لَأَهْدَيْتَهُ وَالسَّلَامُ

٢٢٧ وَصِيفُ التُّرْكِيِّ وَالِي الشَّامِ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَرَكِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيُّ فَعَزَّاهُ بِأَخْبَارٍ وَأَمْثَالٍ. ثُمَّ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ بِمُصِيبَةٍ فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَصِيفُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَمِي لَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ. وَلَكِنْ أَنْظِرْ مَا عَزَيْتَنِي بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَعَزَّ بِهِ نَفْسَكَ الْآنَ. فَاسْتَظَرَفَ النَّاسُ كَلَامَهُ (لطائف الوزراء).

الاعرابي والسنور

٢٢٨ صَادَاعَرَابِيٌّ سِنُورًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ. فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا السِّنُورُ. وَلَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْقَطُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْهَرُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الضِّيُونُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْخَيْدَعُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطَلُ. ثُمَّ لَقِيَهُ

وَيَبْلُغُ لَهُ الْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ السَّائِلُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
الشِّعْرُ عِلْمُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهَا قَتَلَمُوهُ
كَانَ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ يُعَيِّنُونَ بِهَذَا الْإِسْمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ
فِيهِمُ الْخَطِيئَةُ :

قَوْمُ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَعَادَ هَذَا الْإِسْمَ فُخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ (لابن عبد ربّه)
٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ : النَّابِغَةُ إِذَا
رَهَبَ . وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ . وَجَرِيْدٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةُ إِذَا رَكِبَ .
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ :
كَفَالُ بَابِنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ الْأَخْطَلُ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةَ
النَّصْرَانِيَّ) (الاعاني)

أَلْبَابُ الثَّامِنِ

فِي اللَّطَائِفِ

٢٢١ رَأَى الْإِسْكَندَرُ سِمَاءَ لَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي الْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ :
يَا هَذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ اسْمَكَ
٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدِ لَهُ : مَا لَكَ لَا تُتَخَذُمْنِي وَأَنْتَ عَبْدِي .
فَاجَابَهُ : لَوْ أَعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِ . لِأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى
فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي (للمستعصمي)

وَقَاضٍ قَدْ قَضَى فِي الْأَرْضِ عَدْلًا لَهُ كَفٌّ وَلَيْسَ لَهُ بَنَانٌ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ قَبِلُوا قَضَاهُ وَلَا نُطْقُ لَدَيْهِ وَلَا يَبَانُ
وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو سَرْفٍ مُلْغَرًا فِي إِبْرَةٍ :

ضَلِيلَةُ الْجِسْمِ لَهَا فِعْلٌ مَتَيْنُ السَّبَبِ

حَافِرُهَا فِي رَأْسِهَا وَعَيْنُهَا فِي الذَّنْبِ

٢٣٢ أَعْتَقَ عُمَرُ بْنُ عُثْبَةَ غُلَامًا لَهُ كَبِيرًا . فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدٌ صَغِيرٌ .
فَقَالَ : أَذْكَرُنِي يَا مَوْلَايَ ذَكَرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَحْتَرِفْ .
فَقَالَ : إِنَّ الْخَلَّةَ قَدْ مُجْتَنَى زَهْوًا . قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ مَعْوًا . فَقَالَ : قَاتَلَكُ
اللَّهُ لَقَدْ اسْتَعْتَقْتَ وَأَحْسَنْتَ . وَقَدْ وَهَبْتُكَ لَوَاهِبِكَ . كُنْتُ أَمْسِي
لِي وَالْيَوْمَ مِنِّي

دعوة أكرم بن صيفي لأولاده

٢٣٣ دَعَا أَكْرَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَاسْتَدْعَى إِضْمَامَةً مِنَ
السَّهَامِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى
كَسْرِهَا . ثُمَّ بَدَّدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا . فَاسْتَسْهَلُوا كَسْرَهَا .
فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ بِلَعِجْزٍ مِنْ نَاوَأَكُمُ عَنْ كَسْرِكُمْ كَفِجْزِكُمْ عَنْ
كَسْرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهَّلَ كَسْرَكُمْ وَأَنْشَدَ :

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا اعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْتِي الْقِدَاحُ إِذَا اجْتَمَعَ تَكْسَرًا وَإِذَا افْتَرَقَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا
٢٣٤ قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَجَّهَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ

آخِرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الدَّمُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي نَفْسِهِ : أَحْمِلُهُ وَأَبِيعْهُ
فَيَجْعَلُ اللَّهُ لِي فِيهِ مَا لَا كَثِيرًا . فَلَمَّا أَتَى السُّوقَ قِيلَ لَهُ : بِكُمْ هَذَا .
قَالَ : بِمَا تَتَى دِرْهَمٍ . فَمِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ . فَرَمَى
بِهِ ثُمَّ قَالَ : مَا أَكْثَرَ أَسْمَاءَهُ وَأَقَلَّ ثَمَنُهُ (الدميري)

٢٢٩ حَكِي أَنَّ الْحُجَّاجَ اشْتَرَى غُلَامَيْنِ أَحَدُهُمَا أَسْوَدُ وَالْآخَرُ أَيْضُ .
فَقَالَ لهُمَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : كُلُّ وَاحِدٍ يَمْدَحْ نَفْسَهُ وَيَذَمَّ رَفِيقَهُ
فَقَالَ الْأَسْوَدُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَسْكَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ بَيَاضَ اللَّفْتِ حِمْلٌ بِدِرْهَمٍ .
وَأَنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ نُورُهَا وَأَنَّ بَيَاضَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ فَأَعْلَمُ .
وَقَالَ الْأَيْضُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَدْرَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ سَوَادَ الْفَحْمِ حِمْلٌ بِدِرْهَمٍ .
وَأَنَّ رَجَالَ اللَّهِ بَيَضٌ وَجُوهُهُمْ وَلَا شَيْءَ أَنَّ السُّودَ أَهْلُ جَهَنَّمَ .
فَضَحِكَ صَاحِبُهُمَا وَأَجَازَهُمَا (ألف ليلة وليلة)

٢٣٠ حَكِي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مَا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ قَالَ لَهُ : يُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا بِمِثَابَةِ طَائِرٍ فَنَبَّهَ الْمَغْرِبُ . فَقَالَ
الرَّجُلُ : صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ طَائِرُوسٌ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ
وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَأَنْتَصَرَهُ لِقَطْرِهِ

(نفخ الطيب للقرني)

٢٣١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي مِيزَانٍ :

أَتْلَقَهُ وَصِيْعَهُ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : هُوَ مَا لَهُ يَفْعَلُ بِهِ مَا شَاءَ . فَمَلَّتْ لَهُ
ذَهَبًا وَخَرَجَ إِلَى الْبَابِ فَفَرَّقَ الْجَمِيعَ . وَبَلَغَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَاهُ
وَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ :

يَجُودُ عَلَيْنَا الْخَيْرُونَ بِمَا لَهُمْ . وَنَحْنُ بِمَالِ الْخَيْرِينَ نَجُودُ
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ . وَأَمَرَ أَنْ تَمْلَأَ لَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَقَالَ : الْحَسَنَةُ
بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا (حلبة الكميت للنواحي)

٢٣٧ أَلَحَّ رَجُلٌ عَلَى الْأَخْنَفِ بِالشَّتَمِ . فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ
فِي الْعَدَاءِ . فَإِنَّكَ مُدُّ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَالٍ يُقَالُ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ
قُلْتَ وَاحِدَةً لَسَمِعَنَّا عَشْرًا . فَقَالَ : وَأَنْتَ إِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ
وَاحِدَةً (للابشيهي)

٢٣٨ قَالَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بْنُ مُنْقِذٍ مُفْزَرًا فِي الزُّنْبُورِ وَالنَّحْلِ :
وَمُعَرَّدِينَ تَرَنَّمًا فِي مَجْلِسٍ فَتَفَاهَا لِأَذَاهَا الْأَقْوَامُ
هَذَا يَجُودُ بِمَا يَجُودُ بَعْكَسِهِ هَذَا فَيَحْمَدُ ذَا وَذَاكَ يَلَامُ
٢٣٩ جَاءَتْ أُمْرَأَةٌ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَهُ : مَشَتْ
جُرْذَانُ بَيْتِي عَلَى الْعَفَاءِ . فَقَالَ : سَادَعُهُمْ يَثْبُونُ وَثُوبَ الْأَسْوَدِ .
ثُمَّ أَرْسَلَهَا مَا مَلَأَ الْبَيْتَ مِنْ سَائِرِ الْحُبُوبِ وَالْأَطْعَمَةِ . (وَالْعَفَاءُ
الْقُرَابُ . وَمُرَادُهَا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِهَا شَيْءٌ يَأْكُلُهُ الْقَوَادُ)

شقيق والبطيخة

٢٤٠ اِشْتَرَى شَقِيقُ الْبَلْخِي طَبِيبًا لِامْرَأَتِهِ . فَوَجَدَتْهَا غَيْرَ طَبِيبَةٍ

دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مَخْتُومًا . فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ . فَقَالَ :
يَا سَهْبِي أُعْلِمْتُ مَا كَتَبَ هَذَا النَّذْلُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ كَتَبَ :
يَلْبَغِي لِلْعَرَبِ أَنْ لَا تُمْلِكَ إِلَّا مَنْ أَرْسَلَتْ بِهِ إِلَيَّ . قُلْتُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَرْكَ فَكَيْفَ كَانَ يَرِفُ فَضْلَكَ . وَإِنَّهُ حَسَدَكَ عَلَى
أَسْتَحْدَامِكَ مِنِّي . فَسَرَّي عَنْهُ (للشعالي)

٢٣٥ لَمَّا عَلَا أَمْرُ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ أَرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَظَهَرَ اسْمُهُ وَذِكْرُهُ .
وَمَلَكَ كِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُعْتَمِدُ
فَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ : إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا صَفَارًا فِيمَنْ أَتَى تَعَلَّمْتَ تَدْبِيرَ
الْمَمَالِكِ . فَرَدَّ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ جَوَابًا وَقَالَ : إِنَّ أَمْلَوِي الَّذِي أَعْطَانِي
الدَّوْلَةَ أَعْطَانِي التَّدْبِيرَ (للغزالي)

الاعرابي الشاعر والخليفة

٢٣٦ اسْتَدْعَى بَعْضُ الْخُلَفَاءِ شُعْرَاءَ مِصْرَ . فَصَادَفَهُمْ شَاعِرٌ فَقِيرٌ بِيَدِهِ
جَرَّةٌ فارغةٌ ذَاهِبًا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ لِيَمْلَأَهَا مَاءً . فَتَبِعَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى
دَارِ الْخِلَافَةِ . فَبَالَغَ الْخَلِيفَةُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى ذَلِكَ
الرَّجُلَ وَالْجَرَّةَ عَلَى كَتِفِهِ وَنَظَرَ إِلَى ثِيَابِهِ الرِّثَّةِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ وَمَا
حَاجَتُكَ . فَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بِحَرَّتِي
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : أَمْلَأُوا لَهُ الْجَرَّةَ ذَهَابًا وَفِضَّةً . فَحَسَدَهُ بَعْضُ
الْحَاصِرِينَ وَقَالَ : هَذَا فَقِيرٌ مَجْنُونٌ لَا يَعْرِفُ قِيَمَةَ هَذَا الْمَالِ وَرُبَّمَا

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا : مِنْ الْخَزْمِ عَرَضُ
الرَّأْيِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا .
فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ . فَقَالَ : غَدًا أَخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
غَدَوْا عَلَيْهِ لِلْوَعْدِ وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِاحْضَارِ كُلِّينِ
عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا . ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَلَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى
الْآخَرِ قَتَوَاتٍ وَتَهَارُشَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ الْعَالِيَةَ فَتَحَ بَابَ
بَيْتٍ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذَيْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعَدَّهُ . فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ
تَرَكَمَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا . وَوُثِبَا جَمِيعًا عَلَى الذِّئْبِ فَنَالَا
مِنْهُ مَا أَرَادَا . ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ : مَثَلُكُمْ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذِّئْبِ مَعَ الْكِلَابِ لَا يَزَالُ الْهَرَجُ وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ
وَتَأْتِيهِمْ عَلَى الْعَدُوِّ . فَاسْتَحْسِنُوا قَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرَّشِيدُ وَالذِّكِيُّ

٢٤٣ يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا
تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أَنْبُوبَةً فَصَبَّ مِنْهَا
إِبْرَاعِدَةً . ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ . وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي
إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَمَعَّ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَّغَ
دَسْتَهُ . فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةً سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ .
فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْهَوَانِ فَقَالَ : وَصَلَتُهُ لِحُودَةٍ ذَكَائِهِ .
وَأَدَّبَتْهُ لِكَيْ لَا يَضْرِفَ فَرَطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ

فَقَضَيْتَ . فَقَالَ لَهَا : عَلَى مَنْ تَقْضِينَ . أَعَلَى الْبَائِعِ . أَمْ عَلَى الْمُشْتَرِي .
 أَمْ عَلَى الزَّارِعِ . أَمْ عَلَى الْحَالِقِ . فَأَمَّا الْبَائِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَكَانَ أَطْيَبَ
 شَيْءٍ يُرْغَبُ فِيهِ . وَأَمَّا الْمُشْتَرِي فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَشْتَرَى أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ .
 وَأَمَّا الزَّارِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَنْبَتَ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا غَضَبُكَ
 عَلَى الْحَالِقِ فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْضَ بِقَضَائِهِ (للقليوبي)

استحقاق الموصلي عند البرامكة

٢٤١ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : دَعَانِي يُحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ
 عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ الْقُضْلَ وَجَعْفَرًا وَوَلَدَيْهِ جَالِسَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ
 إِسْحَاقُ : أَصَبَتْ الْيَوْمَ مَهْمُومًا فَأَرَدْتُ الصُّبُوحَ لِأَتَسَلَّى فَعَنَّنِي صَوْتًا
 لَعَلِّي أَرْتَاحَ لَهُ فَعَنَّنِي :

إِذَا زُلُوا بِطُحَاءٍ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بَيْحَى وَبِالْقُضْلِ بْنُ يُحْيَى وَجَعْفَرِ
 فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودِ أَكْثَرِهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنْبَرِ
 فَسُرُّ وَأَمْرِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَأَمْرِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 وَلَدَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَحَمَلْتُ الْمَالَ وَأَنْصَرَفْتُ (لِلنَّوَّاجِي)

الروم يموت احد الخلفاء

٢٤٢ لَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ تَحَيَّسَتْ الرُّومُ وَاحْتَشَدَتْ وَاجْتَمَعَتْ
 مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الْآنَ يَسْتَقِلُّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَنَمَكُنَّا الْفِرَّةَ
 فِيهِمْ وَالْوَثْبَةَ عَلَيْهِمْ . وَضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مُشَاوَرَاتٍ . وَتَرَجَعُوا فِيهِ
 بِالْمُتَاظَرَاتِ . وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ الدَّهْرِ . وَثَغْرَةُ الْخَرِّ . وَكَانَ رَجُلٌ

نهر بن الخطاب والضمامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ الْمَعْرُوفِ بِالضَّمَامَةِ . فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . قَرَدَ عَلَيْهِ : إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِالسَّاعِدِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ

ابراهيم الموصلي عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبراهيمُ الْمَوْصِلِيُّ فَأَنشَدَهُ :

وَأَمْرٌ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصَرِي فَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فَعَالِي فَعَالٍ الْمُسْكِرِينَ تَجْمُلَا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ
فَقَالَ : لِلَّهِ آيَاتٌ تَأْتِينَا بِمَا أَحْسَنَ أَصُولَهَا . وَآيِينَ فُضُولَهَا . وَأَقَلَّ
فُضُولَهَا . يَا غُلَامُ أَعْطَهُ عِشْرِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا .
قَالَ : وَلَمْ . قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي .
قَالَ : أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَوْ يَدُ لِدِرَاهِمٍ
الْمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وُلاَةِ الْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هَذِهِ
الْآيَاتُ :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْبَعِثٍ وَقَدْ عَنُفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي الرَّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ . قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ . وَفِي الْعُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ . قَالَ : يَخْفُ حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ . قَالَ : فَأَعْجِبَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : رِزْقُ مَقْدُورٍ . وَوَاهِبٌ مَأْجُورٍ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ أَسِيكَ فِي جَيْشِي . فَقَالَ : كُفَيْتُ مَوُونَةً . وَرُزِقْتُ بِهَا مَعُونَةً . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ خَدِثُ السِّنَّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ . قَالَ : لَنْ يَدِمَ الْفَضْلُ مَنْ رُزِقَ الْعَقْلُ . قَالَ : فَهَلْ تَصُحُّ لَذَلِكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجَرِبَةِ . وَلَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوهَا . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَابٍ وَفَهْمٍ رَجِيْبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ النُّوفِقِ .

(للطرطوشي)

٢٤٥ فَرَّ حِمَاسٌ عَنِ الْعَدُوِّ مِنْهُمْ مَا يَوْمَ الْجَنْدَمَةِ . فَلَامَتُهُ أَمْرَأَتُهُ .
فَقَالَ :

إِنَّكَ لَوْ شَاهَدْتَ يَوْمَ الْجَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
إِذْ لَحِقُوا فَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْلُحْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجَيْمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمَمَةٌ لَمْ تَنْطِقْ فِي اللَّوْمِ أَذْنَى كَلِمَةٍ

قَالَ : دُعَاؤُكَ كُنْتُ أَسْمَعُكَ تَدْعُو بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى لَا أَكْتُبَهُ .
فَضَحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ دُعَاؤٌ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ
دَعَوْتُ اللَّهَ بِهِ أَنْ لَا أَرَاكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ
أَلْفًا . وَتَعَالَى مَتَى شِئْتَ فَقَدْ أَعَيْتَنِي فِيكَ الْحِيلَةَ
٢٥٠ أَبُطَا عَمِيدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى عَنْ الدِّیَوَانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ
يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنَ الْإِفْلَاسِ وَالذِّنِّ
فَفِي هَذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَذَيْنِ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

المستعطي بالحلم

٢٥١ قَالَ الْعُتْبِيُّ : دَخَلَ ابْنُ دَعْبِلَ عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَلِيَ
الْكُوفَةَ فَقَعَدَ بَيْنَ السَّمَاعَيْنِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا
فَأُذِّنُ لِي فِي قِصَصِهَا . فَقَالَ : قُلْ . فَقَالَ :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَا مَهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جُدْتَ لِي بِوَصِيفَةٍ مُؤَسِّمَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامَهَا
وَبِبَدْرَةٍ حَمَلْتَ إِلَيَّ وَبَغْلَةً شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصْرِحُ لِحَامَهَا
قَالَ لَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ : كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فَهُوَ عِنْدِي إِلَّا الْبَغْلَةَ فَإِنَّهَا
دَهْمَاءُ فَارِهَةٍ . قَالَ : بَرِئْتُ مِنْ نَسْيِهَا إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا دَهْمَاءَ إِلَّا
أَنِّي غَلَطْتُ

فَلَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فِي غَرِيمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قُبَّحَ مِنْ غَرِيمٍ
 لَزُومٍ مَا عَلِمْتُ لِابَابِ دَارِي لَزُومِ الْكَلْبِ أَصْحَابِ الرَّقِيمِ
 لَهُ مِائَةٌ عَلَى وَنِصْفٍ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَاكٍ قَدِيمٍ
 دَرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي يَمِيمٍ
 قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

ازهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ
 إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتِرًا . وَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلَقَةِ أَزْهَرِ السَّمَانِ
 الْحَدِيثِ . فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِمَ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَرَّبَهُ
 وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : دَارِي مُنْهَدِمَةٌ . وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَصَلَهُ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ : قَدْ قَضَيْتُ مَا حَاجَتُكَ
 يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِ طَالِبًا . فَأَخَذَهَا وَارْتَحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : جِئْتُكَ مُسَلِّمًا .
 قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَأَذْهَبَ فَلَا تَأْتِ طَالِبًا وَلَا
 مُسَلِّمًا . فَأَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ . فَقَالَ : مَا جَاءَ
 بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : أَتَيْتُ عَائِدًا . قَالَ : إِنَّهُ يَقَعُ فِي خَلْدِي أَنَّكَ
 جِئْتَ طَالِبًا . قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي
 عَشَرَ أَلْفًا . وَأَذْهَبَ فَلَا تَأْتِ طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا . فَأَخَذَهَا
 وَانْصَرَفَ . فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ أَقْبَلَ . فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ .

إِنْ لَمْ تَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ . وَإِنْ كُنْتَ هُوَ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسَ . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى . فَقَالَ السَّائِلُ :
هَذِهِ هَزَّةٌ كَرِيمٍ حَسِيبٍ . وَاللَّهِ لَقَدْ نَقَرْتَ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَوْغَمَهَا فِي
قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشَّدِّ مِنْ جَوَانِحِي
٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطَيْرٍ : أُنْشَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ أَيْبَاءً كُنْتُ
مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ الْوَلَاةِ وَهِيَ :

لَهُ يَوْمٌ بُوسٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمٌ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُوسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُوسِ لَمْ يَبْنِ كَفَّهُ

عَنِ النَّاسِ لَمْ يُصْنَجْ عَلَى الْأَرْضِ حُجْرُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ قَرَّغَ كَفَّهُ

لِبَذْلِ النَّدَى مَا كَانَ بِالْأَرْضِ مُعْذِمٌ
فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : كَمْ أَعْطَاكَ . قُلْتُ : خَمْسَةَ آلَافٍ . قَالَ : فَقَبِّلْهَا .
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : أَخْطَأْتُ . مَا مَثْنُ هَذِهِ إِلَّا مِائَةُ أَلْفٍ
٢٥٦ قَالَ الْعُتْبِيُّ : سَمِعْتُ عُمِي يُشَدُّ لِأَبِي عَبَّاسٍ الزُّبَيْرِيِّ :

وَكُلُّ حَلِيفَةٍ وَوَلِيٍّ عَهْدٍ لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ الْقِدَاءُ
إِمَارَتُكُمْ شِفَاءٌ حَيْثُ كَانَتْ وَبَعْضُ إِمَارَةِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ
فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكَتُمْ وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوْا أَسَاوُوا
أَجْعَلُكُمْ وَغَيْرُكُمْ سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ

٢٥٢ قَالَ الْبُطَيْنُ الشَّاعِرُ : قَدِمْتُ عَلَى ابْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ

إِلَيْهِ :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي ذَنَابِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَعْبِيرَ ذَلِكَ وَفِي الْقَالِ التَّبَاشِيرُ
فَحِثْ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَبْشِيرُ
(قَالَ) فَوَقَعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي : أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ثُمَّ أَمْرٌ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي آيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي
مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَمِيرًا فَخِيْبَهُ . فَأَنشَدَهُ :

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي
لَقَدْ أَحَلَّتْ أَمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

السائل وعبيد الله بن عباس

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ
لَهُ : صَدِّقْ فَإِنِّي نَبِئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ
دِرْهَمٍ . فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ . قَالَ : أَيْنَ أَنْتَ
مِنْهُ فِي الْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ . قَالَ : فِيهِمَا . قَالَ : أَمَّا الْحَسَبُ فَيُ
الرَّجُلُ قُرُوءُهُ وَفِعْلُهُ . وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ . وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا .
فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ :

قَلَيْتَ أَنَّ الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عَوْضٌ وَأَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوْضٌ
فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللَّهِ وَانْقَرَضُوا
(لابن عبد ربّه)

٢٦١ لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ
بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَسْمَعْ مِنِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا . قَالَ :
قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

زَعَمُوا أَنَّ الصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً عُصْفُورٌ بِرَّ سَاقَهُ التَّقْدِيرُ
فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالصَّقْرُ مُنْتَضِ عَالِيهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِمِثْلِكَ لَا أَتَمُّ لُحْمَةً وَلَئِنْ شُوتُ فَإِنِّي لِحَقِيرُ
فَتَهَاوَنَ الصَّقْرُ الْمُدِلَ بِصَيْدِهِ كَرَمًا وَأَفْلَتَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ
فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : زَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خِيَمَةِ أَعْرَابِيَةٍ رَاحُوا
دَجَاجَةً وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا . فَذَبَحَتْهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : يَا أَبَا
جَعْفَرٍ هَذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أُدْجِنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوْتِي وَالْمِسْهَا فِي آثَاءِ
اللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا الْمِسُّ يَنْتَبِي زَلَّتْ عَنْ كَيْدِي . فَتَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَدْفِنَهَا فِي
أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ . فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بِطَنِكَ . فَأَرَدْتُ
أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ . فَصَيَّحْتُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ .

هُمْ أَرْضُ لَارْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءُ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَعْطَى عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبُرْتَ يَا مَعْنُ .
قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَدَّدُ . قَالَ : عَلَى
أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَبْغَضُ . أَدَوْلَتُنَا
أَمْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بَرُّكَ عَلَى
بَرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بَرُّهُمْ عَلَى بَرِّكَ كَانَتْ
دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيَّانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أُذُنِهِ
قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامٌ . قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ . وَالْمُنْتَظَرُ
فِي نِعْمَتِكَ . وَالْمُوْمِلُ لِحُدُومَتِكَ الْحُسْنُ بْنُ رَجَاءٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيَّةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ . إِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ
مَرْتَبَتِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَخْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتْهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورٍ
٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شَكَاةٍ لَهُ يَمُودُهُ فَقَالَ :
اللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْمَنِيَا دُونَهُ عَرَضُ

عَلَيْهِ وَحَصَرَ فَقَالَ : سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَبَعْدَ عِيٍّ يَأْنًا .
وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَعَالَ أَحْجُبْ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَّالٍ
وَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ أَلُوْعِي لِحَطِيبُ
فَبَلَّغَتْ كَلِمَاتُهُ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ . (وَيُقَالُ الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ)
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلَا ذَلِكَ الْمَنْبَرَ أَخْطَبُ مِنْهُ (الْإِغَانِي)
٢٦٨ نَظَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى قَتَّى عَلَى ثِيَابِهِ أَثَرُ مِدَادٍ . فَوَثَّبَهُ عَلَى
ذَلِكَ فَقَالَ :

* لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ
فَأَجَابَهُ :

حِمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ
فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَحْتَ نَفْسَكَ بِالسَّوَادِ
٢٦٩ حَدَّثَ الْفَلَاحِيُّ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ
وَخَوْفَهُ . فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُوهُ :

أَلَا قُلْ لِابْنِ مَعْنٍ وَالَّذِي مِ فِي الْوَدِّ قَدْ حَالَ
لَقَدْ بَلَّغْتُ مَا قَالَ فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَسَدِ لَمَا رَاعَ وَلَا هَالَا
فَصُنْعُ مَا كُنْتُ حَلَيْتُ بِهِ سَيْفَكَ خَلْجَالَا
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَا وَقَدْ أَصْبَحْتَ نَطَّالَا

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَفَّ بَصَرَهُ . فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي أُمَيَّةٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ

٢٦٤ كَانَ بَطْلَمَيْوسُ الْأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمِرْآةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَسْنَهُ بِشَيْءٍ . وَإِنْ رَأَاهُ قَبِيحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ (ثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قَالَ حَسَنٌ : خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُرَاطِبِينَ إِلَى الشَّامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ فِي أَرْقَةِ الْمَصِيصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكْرَانٌ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى . فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ بَرْنَامَجًا مِنْ كُمِهِ فَكَتَبَ أَلَيْتَ . فَقُلْنَا لَهُ : أَتَكْتُبُ بَيْنَ شَعْرٍ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكْرَانٍ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمُ الْمَثَلَ . رَبُّ جَوْهَرَةٍ فِي مَرْبَلَةٍ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَرْبَلَةٍ

٢٦٦ اسْتَأْذَنَ نَصِيبُ بْنُ رِيَّاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذِنْ لَهُ فَقَالَ : أَعْلَمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوَّلُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَأَعْلَمُوهُ فَأْذِنْ لَهُ . فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَيْتُنَا بِكَ الْحَاجَاتِ وَالْقَدَرِ فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ فَأَمَرَ لَهُ بِحِلْيَةِ سَيْفِهِ (لابن عبد ربّه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ ثَابِتٌ قُطْنَةً قَدْ وُلِّيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَّاسَانَ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمُنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَدَّرَ

حَتَّى تُرْجَبَ . ثُمَّ أَنَاهُ فَقَالَ : دَعَهَا حَتَّى تُثْمَرَ . فَلَمَّا أَثْمَرَتْ عَدَا
 عَلَيْهَا أَلْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضْرِبَ بِهِ أَلْمُلُ فِي الْخُفِّ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 مَنْ كَانَ حَلْفَ الْوَعْدِ شَيْئَهُ وَالْعَذْرَ عَرْقُوبَ لَهُ مِثْلُ
 ٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ التَّيْمِيُّ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ
 فِي يَوْمٍ عِيدٍ فَأَشَدَّهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
 تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا إِذَا مَا بَدَأَ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
 مُوَاضِعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ
 فَأَمَرَ لَهُ بِمِثْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (الاعلاني)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِّزًا فِي اسْمِ عَلِيٍّ :

إِسْمُ الَّذِي تَمِينِي أَوَّلُهُ نَازِرُهُ
 إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنْ لِي آخِرُهُ

٢٧٦ الْمُجِيزُ الدِّينُ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ :

أَزْهَرَ اللَّوْزَ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنْ الْأَزْهَارِ يَا تَيْنَا إِمَامُ
 لَقَدْ حَسُنْتَ بِكَ لَوْلَا يَوْمٌ حَتَّى كَانَتْكَ فِي فَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامُ

٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَبُهَا أَوْلَى الَّذِي عَمَّتْ أَيَْادِيهِ الْجَلِيلَةُ
 اقْبَلْ هَدِيَّةً مَنْ يَرَى فِي حَقِّكَ الدُّنْيَا قَلِيلَةَ

٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِ سَيِّئَةٍ : هَلَّا تُسَافِرُ نَجْرًا . فَقَالَ :

(قَالَ) فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا لَيْسَتْ السَّيْفَ قَطُّ فَالْحَيُّ إِنْسَانٌ إِلَّا
قُلْتُ: إِنَّهُ يُحْفَظُ شِعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي قَيْنَظَرٍ إِلَى بَيْتِهِ

(للشريشي)

٢٧٠ حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: عَمْرٍو زِيَادُ الْأَعْجَمِ الْمُغِيرَةَ بَنَ حَبَاءَ فِي
مَجْلِسِ الْمُهَلَّبِ بِالْبَرَصِ. فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: إِنَّ عِمَّاقُ الْحَيْلِ لَا تَشِينُهَا
الْأَوْضَاحُ وَلَا تُعِيرُ بِالْفَرَرِ وَالْحُجُولِ. وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَأَعْلَاهُ بَنُ قَيْسٍ
لِرَجُلٍ عَمْرٍو بِالْبَرَصِ: إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَاهُ وَأَسْتَلَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

(الافغاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ الْمَجَانِينِ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمُقْبَرَةِ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ.
فَقَالَ: مِنْ هَذِهِ الْقَافِلَةِ النَّازِلَةِ. قِيلَ: مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ. قَالَ: قُلْتُ
لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ. فَقَالُوا: حِينَ عَلَيْنَا تَقْدَمُونَ (لبهاء الدين)

٢٧٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

لِكُلِّ فِتْيٍ خُرُجٌ مِنَ الْعَيْبِ مُمْتَلِ

عَلَى كِثْفِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ

فَمَيْنُ عِيُوبِ النَّاسِ نُصِبُ عِيُونِهِ

وَعَيْنُ عِيُوبِ النَّفْسِ مِنْ خَلْفِ ظَلَمِهِ

وعند عرقوب

٢٧٣. كَانَ عَرْقُوبٌ وَعَدَ رَجُلًا ثَمْرَ نُحْلَةٍ فَلَمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ فَقَالَ: دَعَهَا
حَتَّى تَبْلُغَ. فَلَمَّا أَبْلَحَتْ قَالَ: دَعَهَا حَتَّى تُرْهِى. فَلَمَّا أَزْهَتْ أَتَاهُ. فَقَالَ:

عين ابصرت بقلعها

٢٨٥ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَحَدِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَهُ جَالِسًا وَإِلَى جَانِبِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تُدْعَى خَالِصَةً . وَعَلَيْهَا مِنْ الْحِلْيِ وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِي مَا لَا يُوصَفُ . فَصَارَ الشَّاعِرُ يَمْتَدِّحُهُ وَهُوَ يَسْمُوهُ عَنْ اسْتِمَاعِهِ . فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ عَلَى الْبَابِ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَةٍ
فَقَرَأَهُ بَعْضُ حَاشِيَةِ الْخُلَيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ . فَمَضَى لَذَلِكَ وَأَمَرَهُ
بِإِحْضَارِ الشَّاعِرِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَابِ مَسَحَ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي لَفْظَةِ
ضَاعَ . وَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا كَتَبْتَ عَلَى الْبَابِ . قَالَ :
كَتَبْتُ

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَةٍ
فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . وَخَرَجَ الشَّاعِرُ . وَهُوَ يَقُولُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
مِنْ شِعْرِ قُلْعَتِ عَيْنَاهُ فَأَبْصَرَ (للنواحي)

٢٨٦ تَفَاخَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَحَدِ الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :
دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى الشَّرَّ بِنَ يَحْطُهُ شَرُّهُ
كَالْبَجْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لَوْلُوهُ سُفْلًا وَتَعْلُو قُوَّةُ جِيْفِهِ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَا عُرُوَّانَ فَاقَ الدُّنْيَى أَخَا أَلْعَلَا فِي ذَا الزَّمَانِ وَهَلْ لَذَلِكَ جَا حِدُ
قَالَ دَهْرٌ كَأَلْمِيزَانٍ يَرْفَعُ كُلَّ مَا هُوَ نَاقِصٌ وَيَحْطُ مَا هُوَ زَائِدُ

لَا أَزْكَبُ الْبَجَرَ أَخْشَى عَلَى مِنْهُ الْمُعَاطَبِ
طِينُ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ : أَيْنَ الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا . الرَّاغِبُونَ

فِي الْآخِرَةِ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا أَقْلَبُ كَلَامِكَ وَضَعُ يَدِكَ عَلَى مَنْ شِئْتَ

٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ

حَتَّى تُبْصِرُوا . وَأَنَا أَقُولُ : تَغْمِضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيوجَانِسَ الْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ التَّصْوِيرَ

وَصَارَ طَيِّبًا فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا

لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ الطِّبِّ يُوَارِيهِ التُّرَابُ زَكَّتَ التَّصْوِيرُ وَدَخَلَتْ فِي الطِّبِّ

٢٨٢ قَالَ أَبُو تَمَامٍ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بِأَنْفُسِهِمْ :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

٢٨٣ وَفَدَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ عَلَى أَنْوَشِرَوَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ . فَقَالَ

لِلْحَاجِبِ : سَلْهُ مَنْ هُوَ . فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ

يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنْوَشِرَوَانُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سَيِّدُ الْعَرَبِ . قَالَ :

أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا

اُكْرِمْنِي الْمَلِكُ بِمِثْلِهِ صَرَتْ سَيِّدَهُمْ . فَأَمَرَ بِحَشْوِ فِيهِ دُرًّا (لِلْعَامِلِي)

٢٨٤ قِيلَ : إِنَّ جَبْرًا أَفْخَرُ الْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا لَيَسِيرُونَ خَلْفَنَا

وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ

مَا سَارَ مِنْ كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِدٍ .
 ٢٩٥ كَانَ الْوَزِيرُ صَفِي الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ شُكْرِ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
 ابْنِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ . فَعَزَلَ عَبْدَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورَ عَنْ خَطَابَةِ جَامِعِ
 مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَلَا يَبَابُ غَيْرَ بَابِكَ أَرْجِعْ وَيَا أَيُّ جُودٍ غَيْرَ جُودِكَ أَطْعَمْ
 سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي إِلَّا إِلَيْكَ فَدَلَّنِي مَا أَضْمَعُ
 فَكُنَّا الْأَبْوَابُ بِبَابِكَ وَحْدَهُ وَكُنَّا أَنْتَ الْخَلِيفَةُ أَجْمَعُ

ذَكَاءُ الْمَأْمُونِ

٢٩٦ حُكِيَ أَنَّ أُمَّ جَعْفَرَ عَاتَبَتْ الرَّشِيدَ فِي تَقْرِيطِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ
 الْأَمِينِ وَلَدَيْهَا . فَقَدَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ : وَجَّهْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
 خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخَلْوَةِ : مَا تَفْعَلُ لِي إِذَا أَفْضَتِ
 الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ . فَأَمَّا الْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَقْطِعْكَ وَأَعْطِكَ . وَأَمَّا
 الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى الْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي
 عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي
 لَا أَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ لِأُمِّ جَعْفَرَ : كَيْفَ
 تَرَيْنَ . فَسَكَتَتْ عَنِ الْجَوَابِ (لابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : لَا تُجْزِعِي
 فَإِنِّي أَبْنُكَ بَعْدَ أُنَيْكَ . فَقَالَتْ : أَفَلَا أُنَيْكِ عَلَى ابْنِ أُنَيْبَتِي أَبْنَا مِثْلِكَ

فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : أَشَارَ الْكَاتِبُ بِتَشْدِيدِ التَّوْنِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ :
 إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَرَوْنَ بَكَ لِيَقْتُلُوكَ . فَأَخْرَجَ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .
 فَأَنْظِرْ إِلَى بُلُوغِ هَذَا الْغَرَضِ بِالطَّفِيفَةِ عِبَارَةٍ . وَيُحْكِي أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ
 كَتَبَ الْجَوَابَ وَزَادَ إِلَيَّ فِي آخِرِ لَفْظَةٍ إِنَّ إشارَةً إِلَى مَا قِيلَ : إِنَّا لَنُ
 نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (لِلنَّوَاجِي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِزًا فِي النَّارِ :

وَأَكَلَةٍ بَغِيرِ قَمِي وَبَطْنٍ لَهَا الْأَشْجَارُ وَالْحَيَوَانُ قُوتُ
 فَمَا أَطْعَمَهَا أَتَمَشَّتْ وَعَاشَتْ وَلَوْ أَسْقَمَتْهَا مَاءٌ تَمُوتُ
 ٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مُلَغِزًا فِي بَعْجٍ :

مَا طَارَ فِي قَلْبِهِ يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبُ
 مِيقَارُهُ فِي رَأْسِهِ وَالْعَيْنُ مِنْهُ فِي الذَّنْبِ
 ٢٩٣ رَأَى أَبُو الْعِمَامِ أَمِيرًا جَارًا يُصَلِّي فَقَالَ :

قَدْ بَلَيْنَا بِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَمِعَ
 فَهُوَ كَالْجَزَارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَذْبَحُ

٣٩٤ قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .
 فَرَمَاهُ مُسْتَوِي الْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَعْبِدَهُ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ عَبْدُ
 الْحَكَمِ :

أَخْرَجْتَ مِنْ كَبِدِ الْقَوْسِ ابْنَهَا فَقَدَتْ
 تَبِيْنُ وَالْأُمُّ قَدْ تَخُو عَلَى الْوَلَدِ

فَأَحْرَقَتْ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُحْرِقْ بَابَ الْحُجَّاجِ . وَمَا مَثَلُنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ ابْنِي آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . فَسَرِّي عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى الْحَافِظُ الْحَمِيدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ الْأَمَوِيِّ فِي الْإِفْتِرَاقِ :

إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَارِيَّةً فَنُفُوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتِلُ يَا رَبُّ مُفْتَرِقِينَ قَدْ جَمَعْتَ قَلْبَهُمَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ابْنِ مُسَهَّرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فِي عِلَّةٍ :

وَلَمَّا أُشْتُكَيْتِ اسْتَكَيْ كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرِبُ لِأَنَّكَ قَلْبُ لِحْصِمِ الزَّمَانِ وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا اعْتَلَّ قَلْبُ

٣٠٥ قَالَ أَبُو الْيَمِينِ الْمُبَارَكُ الْكِنَانِيُّ فِي الْأُبْرَاقِثِ :

وَمَعَشَرَ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحْلَوْا دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ إِذَا سَفَكَتْ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكَتْ يَدَايَ مِنْ دَمِهَا الْمُسْفِرُ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ الشَّعْبِيَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ أَمِيرَ الْعِرَاقِيِّينَ فِي قَوْمِ

جَبَسَهُمْ لِيُطْلِقَهُمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ فَالْعَفْوُ يَسْمُهُمْ . فَاطْلَقَهُمْ

(لَابَن خَلَّكَانَ)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ نَاقُصَهُ حِيَالَ قَصْرِ الْمَأْمُونِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ : لِمَ بَنَيْتَ هَذَا الْقَصْرَ حِذَائِي .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فَجَعَلْتَهُ نَعْبَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِّنَ الْحَذَاقِ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ جُهَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ
حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَتَحَنُّ . فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ . أَوْ الْبَسْ عَلَى
قَدْرِ كَلَامِكَ (لقيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ النُّبَلَاءِ بِخِيَلَا فَقَالَ : هُوَ جَلَمُ أَيِّ مِفْصُ . مِّنْ
حَيْثُ جِئْتَهُ وَجَدْتَ لَا (الكثير المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَيْبٌ عَلَى عَلِيلٍ فَقَالَ لَهُ : أَنَا وَأَنْتَ وَالْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ
فَإِنْ أَعْنَتِي عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا اثْنَيْنِ وَأَنْفَرَدْتَ الْعِلَّةُ فَقَوِينَا
عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرستاني)

٣٠١ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ تَغَبَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
الصَّلَاحَ وَزِيْرُهُ مُسْتَشْفِعًا :

مِنْ شَرِّ صَاحِبٍ مُّضِرٍّ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي الْخُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاوُوا فَقَالَ لَهُمْ بِالْعَفْوِ وَأُفْتَقِرُوا
فَبَرَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ أَنْ يُعْمَلَ بَابٌ بِمِثْلِ الْمُقَدِّسِ فَيُكْتَبَ
عَلَيْهِ اسْمُهُ . وَسَأَلَهُ الْحَجَّاجُ أَنْ يُعْمَلَ لَهُ بَابًا . فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَقَى أَنْ صَاعِقَةً
وَقَعَتْ فَأَحْتَرَقَ مِنْهَا بَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبَقِيَ بَابُ الْحَجَّاجِ فَعَظُمَ ذَلِكَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي أَنَّ نَارًا تَرَلَّتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هَذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ
بِلَا عَمَلٍ تَجَارِفُوهُ كَذِبٌ تَحْضُ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ
أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِلَا صَانِعٍ
وَتَجَارِفَكَيفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هَذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ
بِعَدَمِ الصَّانِعِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ
(انيس الجليس للوطي)

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي الْحِكَايَاتِ

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِسْكَندَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِي لَيْلَةً لِيُرِيَهُمُ
الْجُومَ وَيُعْرِفَهُمْ خَوَاصَّهَا وَأَحْوَالَ سَيْرِهَا . فَأَذْخَلَهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ
يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بُئْرِ هُنَاكَ . فَقَالَ : مَنْ
تَعَاطَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بَلِي بِجَهْلِ مَا تَحْتَهُ (لباء الدين)
٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا نَكَسَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى جَزِيرَةٍ .
فَعَمِلَ شَكْلًا هَنْدَسِيًّا عَلَى الْأَرْضِ فَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَاعْتَزَمَ مَثْوَاهُ وَكَتَبَ الْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ
مَمَالِكِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اقْتَنُوا مَا إِذَا كُسِرْتُمْ فِي الْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ
(تاريخ الحكماء للشهرزوري)

عَيْنِكَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمُأْمُونُ جَوَابَهُ وَعَقَّا عَنْهُ (للمستعصي)

ان للعالم خالفاً

٣٠٨ حُكِيَ أَنَّ دَهْرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ قَاضِيًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَرَضَهُ أَنْ يَخْضُرَ هَهُنَا حَتَّى أَتِيَتْهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَثَبْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ الْأُسْدَيْنِ أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا دَهْرِيٌّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفِي الصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْمُنَازَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ الظُّهْرِ . فَجَاءَ رَسُولُ الْحَلِيفَةِ وَخَبَرَهُمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِيًا . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاتَى إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَاسْتَقْبَلَهُ هَارُونَ وَجَاءَ بِهِ وَاجْلَسَهُ فِي الصَّدْرِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْأَكْبَارُ وَالْأَعْيَانُ . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي نَحْيِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذَلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ دِجْلَةٍ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةٍ حَتَّى أَغْبَرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ دِجْلَةٍ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَدْ أَفْتَرَقَ أَلْوَاهُهَا . فَلَمَّا وَقَعَ بَصْرِي عَلَيْهَا أَضْطَرَبَتِ الْأَلْوَاهُ وَتَحَرَّكَتْ وَاجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ السَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِلَا تَحْجَارٍ وَلَا عَمَلٍ عَامِلٍ . فَتَعَدَّتْ عَلَيْهَا وَعَبَرَتْ الْمَاءَ وَجِئْتُ هَهُنَا . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : اسْمُوا أَيُّهَا الْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ .

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَهَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِرَارًا فَلَمْ يَنْتَهِ . فَقَالَ لَهُ :
 اذْهَبْ وَإِلَّا خَرَجْتُ . وَكَسَرَتْ رَأْسَكَ . فَقَالَ الْمَدْعُوُّ : يَا هَذَا
 أَنْصِرْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ وَعَيْدِهِ مَا عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ
 وَعَيْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن أبي رافع وابنة علي بن أبي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ وَكَاتِبُهُ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عَقْدٌ لَوْلَوْ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ
 الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيَّ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ
 بَاغَى أَنْ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَقْدٌ لَوْلَوْ . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا
 أَحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمٍ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ
 مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ
 عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا وَإِذْ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ هَذَا الْعَقْدُ .
 فَقَالَتْ : اسْتَعْرَيْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِأَتَرْتَنِي بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرَدَهُ . فَبَعَثْتُ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَحُجَّتُهُ فَقَالَ لِي :
 أَتُحُونُ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَتُحُونَ الْمُسْلِمِينَ .
 فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتُ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ
 الْمُسْلِمِينَ بَعِيرٍ إِذْنِي وَرِصَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ
 وَسَأَلْتَنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَرْتَنِي بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ

بزجرهم في حبسه

٣١١ سَخَطَ كِسْرَى عَلَى بُزْجَرٍ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مُشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الضِّيقِ وَتَرَكَ نَاعِمَ الْبَالِ . فَقَالَ : أَصْطَنَعْتُ سَيِّئَةً أَخْلَاطٍ وَعَجَبْتَهَا وَاسْتَعْمَلْتُهَا فِيهِ الَّتِي أَبْقَيْتَنِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . قَالُوا : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْتَفِعَ بِهَا عِنْدَ الْبَلَاءِ . فَقَالَ : نَعَمْ . أَمَّا الْخِلَاطُ الْأَوَّلُ فَالْتَمُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَهُ اللَّهُ كَانُ . وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَالْصَّبْرُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلْتُهُ الَّتِي لَمْ تَعْنُ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ وَلَا أَعِينُ نَفْسِي بِالْجُرْعِ . وَأَمَّا الْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَأَمَّا السَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَبَّغَ مَا قَالَهُ كِسْرَى . فَأُطْلِقَهُ وَأَعَزَّهُ

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مُقَدِّمِ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الولية والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ : لِنَأْكُلَ مَعَكَ خُبْزًا وَمِلْحًا . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ طَعَامٍ لَطِيفٍ لَدَيْهِ أَعَدَّهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ . فَبَيْنَا هُمَا يَأْكُلَانِ إِذْ وَقَفَ

بهرام جور والراعي

٣١٦ حكي أَنَّ الْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارٌ وَخَشَ فَأَتْبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ . فَظَهَرَ بِهِ فَسَكَّهُ . وَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ . فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ لَهُ يَا رَاعِي أَمْسِكْ فَرَسِي هَذَا حَتَّى أَذْبَحَ هَذَا الْحِمَارَ فَسَكَّهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ الْحِمَارِ . فَلَا حَتَّ مِنْهُ الْفَتَاةُ فَرَأَى الرَّاعِيَّ يَمْتَعْ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ فَرَسِهِ . فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ : إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْغَيْبِ مِنَ الْغَيْبِ . ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِعَسْكَرِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ فَرَسِكَ . فَتَسَمَّيَ الْمَلِكُ ثُمَّ قَالَ : أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنْبَغُ عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَاهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضُهُ شَيْءٌ إِسْبَبِ ذَلِكَ

(للقليوبي)

الملك المتعظ نجون

٣١٧ مِنْ الْحِكَايَاتِ اللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ قَصَدَ التَّفَرُّجَ عَلَى الْحُجَّانِينَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ نَظِيفَ الصُّورَةِ يُرَى عَلَيْهِ آثَارُ اللَّطْفِ . وَتَلَوَّحَ عَلَيْهِ شِمَائِلُ الْفُطْنَةِ . قَدَانَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ الْحُجَّانِينَ قَالَ لِلْمَلِكِ : قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ وَاحِدًا . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : مَتَى يَحْدُ الثَّانِي لَذَّةَ النَّوْمِ . فَقَفَّرَ الْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَحْدُ لَذَّةَ النَّوْمِ حَالِ نَوْمِهِ . فَقَالَ

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِمًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَالِكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِيَابَتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتْ
الْعَقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَّةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذْنُ أَوَّلِ هَاشِمِيَّةٍ قَطَعَتْ
يَدَهَا فِي سَرِقَةٍ . فَلَبَّتْ مَقَالَتَهُ ابْنَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا
ابْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ مَنْ أَحَقُّ بِلَبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بَاتِ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنْ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
يَتَرَنَّنُ فِي مِثْلِ هَذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هَذَا . فَخَبَضَتْهُ مِنْهَا وَرَدَدَتْهُ إِلَى
مَوْضِعِهِ

(لباء الدين)

للحلاوة المدخرة

٣١٥ حَدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُوَيْدِ الدِّينِ الْبُقَمِيِّ مَمْلُوكُهُ بِدُرِّ الدِّينِ أَبَا زُرٍّ
قَالَ : طَلَبَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعَمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونٌ
كَثِيرَةً وَأَحْضَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَبَا زُرٍّ أَتَقْدِرُ
أَنْ تَذْخَرَ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا
وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَنْتَظِرُ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجُودَادِ . تَضَعُ هَذِهِ الْأَضْحَنَ قَدَامَ آيَاتِمِ
الْمَلَوِيِّينَ فَإِنَّهَا تَذْخَرُ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَبَا زُرٍّ : فَقُلْتُ :
السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَقَفَعْتُ
الْأَبْوَابَ وَنَبَّهْتُ الصَّبِيَّانِ الْآيَاتِمَ وَوَضَعْتُ الْأَضْحَنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَرَجَعْتُ

(الفخري)

المؤمن والفقيه

٣١٩ حُكِيَ أَنَّ الْمُؤْمُونَ أَشْرَفُ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ قَرَأَ رَجُلًا يَكْتُبُ
 بِقَحْمَةٍ عَلَى حَاطِطٍ قَصْرِهِ . فَقَالَ الْمُؤْمُونَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ : أَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ
 الرَّجُلِ فَأَنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأَتِنِي بِهِ . فَبَادَرَ الْخَادِمُ إِلَى الرَّجُلِ مُسْرِعًا
 وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا كَتَبْتَ . فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
 يَا قَصْرُ جَمْعُ فَيْكَ الشُّرْمُ وَاللُّومُ مَتَى يَعِشْشُ فِي أَزْكَائِكَ الْيَوْمُ
 يَوْمًا يَعِشْشُ فَيْكَ الْيَوْمُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنَعَاكَ مَرْغُومُ
 ثُمَّ إِنَّ الْخَادِمَ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
 سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ . فَقَالَ الْخَادِمُ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ
 ذَهَبَ بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَمَ بِمَا كَتَبَ . فَقَالَ
 لَهُ الْمُؤْمُونَ : وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا
 يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هَذَا مِنْ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالْحُلَى وَالْحُلَلِ
 وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفُرُشِ وَالْأَوَانِي وَالْأَمْتَعَةِ وَالْجَوَارِي وَالْخَدَمِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَضَعِي . وَيَعْجِزُ عَنْهُ فَهَمِي . وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ
 عَلَيْهِ الْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةِ مِنَ الْجُوعِ وَالْهَاقَةِ . فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي
 وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ . وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا قَائِدَةً لِي فِيهِ .
 فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدَمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَيْعُهُ
 وَاتَّقَوْتُ بِشَمْنِهِ . أَوْ مَا عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ اللَّهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ أَمْرِي نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ ثَمَنِي زَوَالَهَا

الْجُنُونُ : حَالَةُ النَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ الْمَلِكُ : قَبْلَ الدُّخُولِ
فِي النَّوْمِ . فَقَالَ الْجُنُونُ : كَيْفَ تَوْجَدُ لَذَّتَهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ
الْمَلِكُ : بَعْدَ النَّوْمِ . فَقَالَ الْجُنُونُ : تَوْجَدُ لَذَّتَهُ وَقَدْ انْتَضَى . فَتَحِيرَ
الْمَلِكُ وَزَادَ إعْجَابُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَا يَخْصُلُ مِنْ عُقْلَاءَ كَثِيرَةٍ
فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ نَدِيمِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَمْرًا أَنْ يُصَبَّ لَهُ تَحْتَ
بِازَاءِ شُبَّانِ الْجُنُونِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالْشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَنَاولَ الْكَاسَ
وَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَ الْجُنُونُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هَذَا لِتَصِيرَ
مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَاتَّعَظَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى الْقَدَحَ
بِمِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ
(للاتيادي)

الشاب السارق -

٣١٨ سَرَقَ شَابٌ سَرِقَةً فَأُتِيَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ
فَتَقَدَّمَ لِيُقَطَعَ يَدُهُ فَأَنشَدَ الشَّابُّ يَقُولُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعِذْهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نَكَالًا يَشِينُهَا
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا حَاجَةَ بِهَا إِذَا مَا شِمَالُ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا
وَكَاثَتْ أُمُّ الشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَحِيدِي . نَاشَدْتُكَ اللَّهُ الْإِلَهَ الرَّحْمَنِي وَهَدَّاتِ
لَوْعَتِي . وَجَدْتُ بِالْعَفْوِ عَمَّا اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا حَدٌّ
مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هَذَا
لَعَلَّيْ دَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا الْمَأْمُونُ وَعَفَّاعَهُ

فَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرَّتَبَةِ . فَلَمَّا دَارَتْ السُّئَلَةُ
الثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصُوبٍ مِنَ الْجَوَابَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . فَأَمَرَ
الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ . فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُنَاطَرَةُ أَحْضَرُوا الْمَاءَ
وَعَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَحْضَرُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوا . ثُمَّ نَهَضَ الْفُقَهَاءُ فَخَرَجُوا
وَمَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ الشَّخْصَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَذْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ
وَوَعَدَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَهَيَّأَ مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَحَضَرَ
الْثَدَمَاءُ الْمَلَأَحَ وَدَارَتْ الرِّاحُ . فَلَمَّا وَصَلَ الدَّوْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ
وَتَبَّ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ : إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ
كَلِمَةً وَاحِدَةً . قَالَ لَهُ : قُلْ مَا تَشَاءُ . فَقَالَ : قَدْ عَامَ الرَّأْيُ الْعَالِي
زَادَهُ اللَّهُ عُلُومًا أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ مِنْ
مَجَاهِيلِ النَّاسِ وَوُضِعَ الْجُلَاسُ . وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَبَهُ وَأَذْنَاهُ
بِيسِيرٍ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةٍ غَيْرِهِ . وَبَلَغَ بِهِ
الْعَالِيَةُ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ إِلَيْهَا هَمَّتُهُ . وَالْآنَ يُرِيدُ أَنْ يَفْرِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ
الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ الذُّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ .
وَحَاشَا وَكَفَلًا أَنْ يَحْسُدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي مَعَهُ مِنَ
الْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ . لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ تَبَاعَدَ عَنْهُ
الْعَقْلُ وَقَرَّبَ مِنْهُ الْجَهْلُ وَسَلَبَ أَدَبَهُ . وَعَادَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْخَمِيرَةِ
كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرًا مَجْهُولًا . فَارْجُوا مِنَ الرَّأْيِ الْعَالِي
أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَسَيَادَتِهِ وَحُسْنِ شَيْئِهِ .

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُرْجَى سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى ائْتِمَالَهَا
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي
 كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ
 وَأَنْشِدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهُ
 (اعلام الناس للتليدي)

الادب يرفع الحامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمُأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَافِيَةً أَعْلَمُ
 مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ يَوْمَانِ يُجْلِسُ فِيهِمَا
 لِمُنَازَرَةِ الْعُلَمَاءِ. فَيُجْلِسُ الْمُنَازِرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِحُضْرَتِهِ
 عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيَنْمُو هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مُجَاسِدِهِ رَجُلٌ
 غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضُ رَتَّةٍ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ
 الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مُجْهُولٍ. ثُمَّ ابْتَدَأُوا فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضَلَاتِ
 الْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْجُلُوسِ
 وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةَ لَطِيفَةٍ أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً
 ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ الْمَسْأَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ.
 فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوَبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَاسْتَحْسَنَ
 الْحَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْمُرُوجِ . وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ مُقْمَرَةً . فَتَمَّ يَتَمَشَّى وَقَدْ
مَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ . فَبَصُرَ ثَعْلَبٌ طَرِيحٌ وَقَدْ أَخَذَهُ الْهَرَمُ وَالْإِعْيَاءُ
وَضُمَفٌ عَنِ الْحَرَكَةِ . فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ :
كَيْفَ يُرْزَقُ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمُسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا .
فَإِنَّمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدْ أَفْتَرَسَ قَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى
قَرَّبَ مِنَ الثَّعْلَبِ . فَتَنَاولَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بِقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَحَمَّلَ الثَّعْلَبُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَائِلًا قَائِلًا حَتَّى أَتَاهُ
إِلَى مَا تَرَكَهُ الْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَالْغَلَامُ يُعْجَبُ مِنْ صُنْعِ
اللَّهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَاقَ لَهُذَا الْحَيَوَانِ الْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ قَدْ تَهَمَّلَ بِالْأَرْزَاقِ فَلَا يَشِيءُ اخْتِدَالُ
الْمُسَاقِ . ذُكُوبُ الْأَسْفَارِ وَأَفْتِحَامُ الْأَخْطَارِ . ثُمَّ أَنَّنِي رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ
فَأَخْبَرَهُ أَخْبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا ثَنَى عَزَمَهُ عَنِ السَّقَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ
أَخْطَأْتَ النَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ الثَّعَالِبُ
الْجِيَاعُ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَبًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ السِّبَاعِ . فَقَبِلَ نَصِيحَةَ
أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٢٣ قَالَ ابْنُ الْحَرْثِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أَعْطَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ
حَسَبٍ الدَّلَالَ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بَعُهُ لِي وَبَيِّنْ هَذَا الْعَيْبَ الَّذِي فِيهِ .
وَأَرَيْتُهُ خُرْقًا فِي الثَّوْبِ . فَحَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ الْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رَتْبَتِهِ
وَوَقَّرَهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا
فَآخِرَةً . وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ الْفُقَهَاءِ حَتَّى
صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً
(الف ليلة وليلة)

عدالة انوشروان في بناية الايوان

٣٢١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنْوِشِرَوَانَ
صَاحِبِ الْإِيوَانِ . فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ الْإِيوَانِ وَظَرَفَتَهُ وَعَظَمَةَ
مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مِيزَ الْإِيوَانِ فَرَأَى فِي
بَعْضِ جَوَانِبِهِ أَعْوَجَاجًا . فَسَأَلَ التَّرْجَمَانُ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ
هُنَاكَ بَيْتًا يُعْجِزُ كَرِهَتْ بَيْعُهُ عِنْدَ عِمَارَةِ الْإِيوَانِ . وَلَمْ يَرِ الْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا
عَلَى الْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ الْإِيوَانِ . فَذَلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ .
فَقَالَ الرُّومِيُّ : وَحَقَّ رَأْسِهِ إِنَّ هَذَا الْأَعْوَجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ
وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ لَمْ يُورَخْ فِيهَا مَضَى لِلْمَلِكِ وَلَا يُورَخُ فَبِمَا بَقِيَ
لِلْمَلِكِ . فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامُهُ وَرَدَّهُ مُسْرُورًا مُخْبِرًا (للابشيهي)

الغلام والثعلب

٣٢٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ التُّجَّارِ وَلَدٌ تُحِبُّ صَرَفُهُ مِنْ صَغَرِ سِنِهِ
فِي التِّجَارَةِ بَبْلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخُبْرَتِهِ فِيهَا . فَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ أَرَادَ أَنْ
يَعُودَهُ عَلَى الْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ الْأَفْطَارِ . فَجَهَّزَهُ تَجْهِيْزًا يَلِيقُ بِأَمْتَالِهِ
وَأَصْحَابِيهِ وَمَضَى الْغُلَامُ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ

لَكَ الْمُلْكُ بَعْدَ أَيْكَ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ .
فَقَالَ أَنْوِشِرَوَانُ : زِمَزِمَهُ وَرَقَعَ قَدْرَهُ
(للابشيهي)

الهادي والخارجي

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ السُّكَّرْدَانِ أَنَّ الْهَادِي كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانٍ
يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبَحْضَرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِالْبَابِ بَعْضَ الْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ
وَمَكَائِدُ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ الْقَوَادِ . فَأَمَرَ الْهَادِي بِإِدْخَالِهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ الْخَارِجِيُّ الْهَادِي
جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ وَاخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ الْهَادِي .
فَقَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ نَائِبٌ عَلَى حِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا
دَنَا مِنْهُ الْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَغْلُوهُ بِالسَّيْفِ أَوْمَأَ إِلَى وَرَاءِ الْخَارِجِيِّ
وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ أَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَظَنَّ الْخَارِجِيُّ
أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَالْتَفَتَ الْخَارِجِيُّ فَتَزَلَّ الْهَادِي مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ
فَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ الْخَارِجِيِّ وَذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى
ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ قَوْرِهِ . وَالْحَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مَلُوا
مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا . فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذَلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يَفَارِقِ
السَّيَاحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ
(اعلام الناس للتليدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلَيَّ بِجَعْفَرٍ . قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

وَقَالَ : بَعَثَهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ غَرِيبٍ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَارَيْتَهُ
 الْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنِّي نَسِيتُ ذَلِكَ . قُلْتُ : لَا جَزَاكَ
 اللَّهُ خَيْرًا إِمَضْ مَعِيَ إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصَدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ .
 فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ الْحُجَّاجِ . فَأَخَذْتُ صِفَّةَ
 الرَّجُلِ مِنَ الدَّلَالِ وَاكْتَرَيْتُ دَابَّةً وَلَحِقْتُ الْقَافِلَةَ . وَسَأَلْتُ عَنْ
 الرَّجُلِ فَدَلَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الثَّوْبَ الْفُلَانِيَّ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ
 أَمْسَ مِنَ الدَّلَالِ فَلَانَ يَكْذِبُ وَكَذًا فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ .
 فَقَامَ وَأَخْرَجَ الثَّوْبَ وَطَافَ عَلَى الْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ :
 يَا شَيْخُ أَخْرِجْ ذَهَبِي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمِيزْهُ وَلَمْ أَتَقَدَّهُ .
 فَأَخْرَجْتُهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا ذَهَبِي أَتَقَدُّهُ يَا شَيْخُ . فَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا
 هُوَ مَغْشُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذَهُ وَرَمَى بِهِ وَقَالَ لِي : قَدْ اشْتَرَيْتُ
 مِنْكَ هَذَا الثَّوْبَ عَلَى عَيْنِهِ بِهَذَا الذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ
 الذَّهَبِ الْمَغْشُوشِ ذَهَبًا جَيِّدًا وَعَدْتُ بِهِ

كسرى انوشروان والمؤدب .

٣٢٤ رُوِيَ أَنَّ كِسْرَى أَنْوْشِرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ
 يَعْلَمُهُ حَتَّى قَاقَ فِي الْعُلُومِ . فِضْرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ .
 فَحَقَّدَ أَنْوْشِرَوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى
 ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْتَعِبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ

الْيَوْمَ وَلَكَ الْجَزَاءُ عَلَى اللَّهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الظُّهْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ عَادَ
 إِلَيْهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الْعَصْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الْعَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ
 ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنْ الْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ الْغُرُوبِ .
 فَقَالَ لَهُ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ . فَرَجَعَ الْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بَاكِ
 الْعَيْنِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ . فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِيٍّ
 جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ . فَرَأَاهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ : لِمَ بَكَوْكَ يَا هَذَا . فَقَالَ لَهُ :
 لَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِي . فَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ يَا اللَّهِ أَنْ أَعْلِمَنِي بِحَالِكَ .
 فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : مَا هَذَا الْيَوْمُ عِنْدَكُمْ .
 فَقَالَ لَهُ : هُوَ يَوْمٌ عَاشُورَاءَ . فَرَفَّقَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ
 مِنَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ الدَّرْهَمَيْنِ . فَقَالَ لَهُ :
 خُذْ هَذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَّا لَكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَذَهَبَ بِهِ الْفَقِيرُ
 لِأَطْفَالِهِ فَرِحَ مَسْرُورًا . فَلَمَّا رَأَاهُ أَطْفَالُهُ فَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ نَادَوْا
 بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ : اللَّهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا السُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْفَرَحَ
 عَاجِلًا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَنَامَ الْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ : أَرْفَعُ
 رَأْسَكَ . فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قِصْرَيْنِ مُبْدِيَيْنِ لِنَهْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةٍ
 مِنْ فِضَّةٍ . فَقَالَ : إِلَهِي لِمَنْ هَذَانِ النَّصْرَانِ . فَأَجِيبَ إِنَّهُمَا كَانَا لَكَ
 لَوْ قَدْ نَبِيتَ حَاجَةَ الْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيَّيْنِ فَلَانَ . فَأَتَبَّهَ
 الْقَاضِي مَرْغُوبًا يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى النَّصْرَانِيَّيْنِ وَقَالَ لَهُ :
 مَا فَعَلْتَ الْبَارِحَةَ مِنَ الْخَيْرِ . فَقَالَ لَهُ : وَلَمْ ذَا سَأَلْتُكَ . فَأَخْبَرَهُ بِمَا

اللَّهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ ثُمَّ قَرُبَ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : لَا سَلَامَ
 اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ تَعْمَلُ عَلَى الْغَوَائِلِ فِي مُلْكِي . فَتَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَفُتِّكْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ . وَإِنَّ أَيُّوبَ
 ابْتُلِيَ فَقَصَرَ . وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ . وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مِنْ
 تَأْسِي بِهِمْ . فَتَكْسُ النَّصُورُ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَيَّ أَبَاعَبِدُ
 اللَّهُ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةُ . وَأَنْتَ ذُو الرَّحِمِ الْوَالِئَةُ . وَالسَّالِمُ
 النَّاحِيَةُ . الْقَلِيلُ الْغَالِئَةُ . ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَقَهُ بِشِمَالِهِ . وَاجْلَسَهُ
 مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يُسَالِلُهُ وَيُحَادِثُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَجَلُوا لِأَيِّ عَبْدٍ اللَّهُ
 إِذْنَهُ وَجَازَتَهُ وَكُسُوتَهُ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ الرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتَ
 قَدْ حَرَّكَتَ شَفَتَيْكَ فَأُتِجَلَى الْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ السُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي
 عَنْهُ فَعَلِمَنِي إِيَّاهُ . وَقَالَ : نَعَمْ . فُلْتُ : اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ .
 وَاكْفِنِي بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ . لَا أَهْلُكُ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ
 أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قُلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرَمْنِي . وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتُ بِهَا
 قُلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذُلْنِي . اللَّهُمَّ بِكَ أَدْرَأُ فِي تَحْرِيهِ وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّهِ

(للشريشي)

القاضي والنصراني المحسن

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّ فَقِيرًا جَاءَ إِلَى قَاضٍ فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ وَقَالَ لَهُ : أَعَزَّ
 اللَّهُ الْقَاضِي وَإِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِهَذَا
 الْيَوْمِ أَنْ تُعْطِيَنِي عَشْرَةَ أَمْنَانٍ حَلْمًا وَدِرْهَمَيْنِ لِأَشْبِعَ أَطْفَالِي فِي هَذَا

أَقْسِمُ عَلَيْكُمْ بَأَن لَّا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرُقُ . ثُمَّ إِنَّهُ سَادَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ اتَّجِرْ أَعْلَى . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَنَعَمْ أَيْضًا . وَقَدْ أَشَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقْدَمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِلَانِي وَحَسْبُ عَنَائِي . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَيْي . أَفَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا بِأَن يُوهَبَ لِي رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ بِوَهْمِهِ أَيْ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ هُوَ . فَمَرَّ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ : فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجْرَنَاهُ لَكَ يَا مَعْنُ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَجْمَعَ بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ صَلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جُنَايَاتِ الرَّعِيَةِ . وَإِنْ ذَنْبُ الرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْرُ لُصَلَّتِهِ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : عَجَّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَفْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا وَانْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ . وَقَالَ لِلرَّجُلِ : يَا رَجُلُ خُذْ صِلَتَكَ وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمَخَالَفَةُ الْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هَذِهِ (لِلأَبْشِيهِ)

ملك الفرس وصاحب المطنج

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ عَظِيمِ الْمَمْلَكَةِ شَدِيدِ الثِّقَمَةِ .

رَأَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِنِي هَذَا الْجَمِيلَ الَّذِي فَعَلْتَهُ الْبَارِحَةَ مَعَ الْفَقِيرِ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أْبِيعُ ذَلِكَ بِمِلْءِ
الْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ اللَّهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مِثْوَاهُ (للقليوبي)

لمبارة مع رجل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمه

٣٢٨ رُوي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى
بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ
جَاءَ بِهِ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ
يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ
فَأَخَذَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا الرَّجُلُ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَلِيلِ . فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعَهُ بَنُ زَائِدَةَ .
فَاسْتَعَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجْرَنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَالْتَفَتَ مَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ
الْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعُهُ .
وَقَالَ لِغُلَامِهِ : انْزِلْ عَن دَابَّتِكَ وَأَحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ الرَّجُلُ
الْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجَارَ بِالنَّاسِ وَقَالَ : أَيْمَالُ بَيْتِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : أَذْهَبَ قَتْلُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ
عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمُنْصُورِ وَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ الْمُنْصُورُ بِأَحْضَارِ
مَعْنٍ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْمُنْصُورِ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ
وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبَهُ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

عَلَامَ وَأَسْأَلُكَ الْبَرِّيَّةَ وَهَذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهَذِهِ قِيُودُ
 فَأَبْدَأُ بِالرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَيِّدْهُ وَجَنِّبْنِي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ
 بِهِ . أَنْتَ وَنَ مَمَّكَ لَيْلًا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ
 لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَأَقْبِضَا عَلَيْهِ وَجَنِّبْنِي بِهِ وَأَجْلُتْكَ لَذَهَابِكَ سِتًّا وَلَا أَبَاكَ
 سِتًّا وَيَوْمًا لِمَقَامِكَ . وَهَذَا مَحْمِلُ تَجْمَلُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيَّدْتَهُ وَتَقَعْدُ
 أَنْتَ فِي الشَّقَّةِ الْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ
 فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَقَفْ دَهَا
 وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَغُلَمَانِهِ وَقَدَّرْ نِعْمَتَهُ وَالْحَالَ وَالْحَالَ .
 وَاحْفَظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنَ الْأَقَاظِمِ مُنْذُ يُقَعُّ طَرْفَكَ
 عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَشُدَّ عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ .
 أَنْطَلِقْ . قَالَ مَنَارَةُ : فَوَدَّعْتُهُ وَأَنْطَلَقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ الْإِبِلَ
 وَبَرْتُ أَطْوِي الْمَنَازِلَ أَسِيرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ
 فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ السَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُقَهَا لَيْلًا
 فَتَبَّطَّاهِرُ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فُتِحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ
 أَتَيْتُ بَابَ الرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ
 وَدَخَلْتُ بَغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِيَ
 عَنِّي . قَالَ : هَذَا مَنَارَةُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . (قَالَ)
 فَلَمَّا صَرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ نَزَلْتُ وَدَخَلْتُ مُجْلِسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا
 جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَتَقَامُوا وَرَجَبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

وَكَانَ لَهُ صَاحِبُ مَطْبَخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
سَقَطَتْ نُقْطَةٌ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَزَوَّى لَهَا الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ
صَاحِبُ الْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ الصَّحْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . نَزَّالَ الْمَلِكُ : عَلَى
بِهِ . فَلَمَّا آتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ النُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا
يَدُكَ . فَمَا عُدْرُكَ فِي الثَّانِيَةِ . قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي
فِي سِتِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْظِمَ ذَنْبِي لِيَجْسَنَ بِهِ
قَتْلِي وَلَسْلَا يَنْسَبَكَ النَّاسُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنْ
لُطِفَ الْأَعْتِدَارُ بِنَجِيحِكَ مِنَ الْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْجِهِ اللَّهُ (لابن عبد ربه)

الرشيذ والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةٍ
عَظِيمُ الْمَالِ كَثِيرُ أَجْزَاءِ مُطَاعٍ فِي الْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِكُ
يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السَّلَاحَ وَيَغْزُونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمِعَ جَوَادُ
كَثِيرُ الْبَذْلِ وَالضَّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُ . فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ .
قَالَ مَنَادَةٌ : وَكَانَ وَقُوفُ الرَّشِيدِ عَلَى هَذَا وَهُوَ بِالْكَوْفَةِ فِي بَعْضِ
حَجَّجِهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَايَعَ
الْأَمِينُ وَالْمُسَامُونَ وَالْمُعْتَصِمُ أَوْلَادِهِ فَدَعَانِي وَهُوَ خَالٍ . وَقَالَ :
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ يَهْجِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمَ فَأَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . ثُمَّ
قَصَّ عَلَى خَبَرِ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ فَهَرَدَ أَعْدَدْتُ نَكَ
الْخِيُولَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَالْآلَةِ . وَتَضَمَّنْ إِلَيْكَ مِائَةً

قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنْ أَمْتَعَ مِنْ الشُّخُوصِ لَمْ أَطِقْ
إِسْتِخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بَيْنَ مَعِي وَلَا حِفْظَهُ إِلَّا أَنْ يُلْحِقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ .
وَجَزَعْتُ جَزَعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ اسْتِخْفَافُهُ وَتَهَاوُنُهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي
بِأَسْمَى وَلَا يُفَكِّرُ فِي أَمْتَاعِي مِنَ الْأَكْلِ . وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ
وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ
يَدَيْهِ دَعَا بِالْجُحُورِ فَتَجَرَّ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَكَثَّرَ مِنَ الدُّعَاءِ
وَالِإِبْتِهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ حَسَنَةً . فَلَمَّا أَتَقَلَّ مِنَ الْغُرَابِ أَقْبَلَ
عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَفَدَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَضَّهَ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا اسْتَمَّ قَرَأَتْهُ دَعَا أَوْلَادَهُ وَحَاشِيَتَهُ
فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي . فَلَمَّا
تَكَامَلُوا أَتَدَأُ فَخَلَفَ أَيْمَانًا عَلَيْهِ فِيهَا الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالْحُجُّ
وَالصَّدَقَةُ وَالْوَفْقُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ أَتْسَانٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَأَمَرَهُمْ
أَنْ يَنْصَرِفُوا وَيَدْخُلُوا مَنَازِلَهُمْ وَلَا يَظْهَرُوا إِلَيَّ أَنْ يُكْشَفَ لَهُمْ أَمْرٌ
يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ
أَقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً . فَاسْتَوْصُوا بَيْنَ وَرَائِي مِنَ الْحَرِيمِ
خَيْرًا . وَمَا لِي حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ . هَاتِ قِيُودَكَ يَا مَنَارَةَ .
فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ فَقَبَضَتْهُ وَأَمَرْتُ غُلَامًا بِي بِحِمْلِهِ
حَتَّى صَارَ فِي الْحِمْلِ وَرَكِبْتُ فِي الشَّقِ الْآخِرِ وَسَرْتُ مِنْ وَقْتِي . وَلَمْ
أَلْقِ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسَرْتُ بِالرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنْ

فَلَانُ. قَالُوا: لَا. نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ. فَقُلْتُ: اسْتَغْلِبُوهُ. فَمَضَى
بَعْضُهُمْ يَسْتَعْلِجُهُ وَأَنَا أَتَقَدُّ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَاجَتْ
بِأَهْلِهَا مَوْجًا كَثِيرًا. فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطَالَ
مَكْنَهُ. وَاسْتَرَبْتُ بِهِ. وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوَارَى إِلَى أَنْ
رَأَيْتُ شَيْخًا يَزِي الْحَمَامَ يَمْشِي فِي صُحْنِ الدَّارِ وَحَوْلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ كُفُولٌ
وَأَحْدَاثٌ وَصَبِيَانٌ. وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَمَانُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ. فَجَاءَ
وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلَامًا خَفِيفًا. وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتَقْلَمَهُ
أَمْرَ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجَبَ. وَمَا قَضَى كَلَامَهُ حَتَّى جَاؤُوا بِأَطْبَاقٍ
فَاكِهَةٍ فَقَالَ: تَقْدِمُ يَا مَنَارَةَ وَكُلْ مَعَنَا. فَقُلْتُ: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ
سَبِيلٍ. فَلَمْ يُعَاوِدْنِي فَأَكَلْتُ كُلَّ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا
بِالطَّعَامِ فَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَا يَدَّةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ. فَقَالَ: يَا مَنَارَةَ
سَاعِدْنَا عَلَى الْأَكْلِ. لَا يَزِيدُنِي عَلَى أَنْ يَدْعُوَنِي بِأَتَمِّي كَمَا يَدْعُوَنِي
الْخَلِيفَةُ. فَأَمْسَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي. فَأَكَلْتُ وَمِنْ مَعَهُ وَكَانُوا تِسْعَةً
مِنْ أَوْلَادِهِ. فَتَأَمَّلْتُ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ.
وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْإِضْطِرَابَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ
لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وَضَعَ عَلَى الْمَائِدَةِ إِلَّا تَهْنِئَةً غَيْرَهُ حَالًا
أَعْظَمَ وَأَحْسَنُ مِنْهُ. وَقَدْ كَانَ غُلَمَانُهُ أَخَذُوا لَمَّا نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَا لِي
وَعِلْمَانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارِ أُخْرَى. فَمَا أَطَاعُوا مُنَافَعَتَهُمْ وَبَقِيَتْ
وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةُ أَوْسَتَةِ غُلَمَانٍ وَقُوفٍ عَلَى رَأْسِي.

وَيَقُولُوا عَلَى الْأَقَاوِيلِ فَلَا يَسْتَحِلُّ دَمِي وَيَخْرُجُ مِنْ إِذْنَيْ وَإِنْ عَاجِي .
وَبَرِّدْ فِي مَكْرَمًا وَيُقِيمَنِي بِبِلَادِهِ مُعْظَمًا مُجَلًّا . وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي
عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُرُ إِلَيَّ مِنْهُ بَادِرَةٌ سَوَاءٌ وَقَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَكَانَ
سَفْكَ دَمِي عَلَى يَدِهِ . فَإِنِّي أَحْسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ الَّذِي خَاقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا
وَأَمَاتَ . وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَا نَ قَدْ عَرَفْتُ مَنَافِعَ فَهَمِّكَ .
فَإِنِّي لَا أَكَلِمَكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَنْرُقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ
طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بَعْدَ
الظُّهْرِ وَاللُّجُبُ قَدْ اسْتَقْبَلَنِي قَبْلَ سِتَّةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْكُوفَةِ يَتَجَسَّسُونَ
خَبْرِي . فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَهَمِّدِينَ بِالْخَيْرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَحَطَّطْتُ رَحْلِي . وَدَخَلْتُ عَلَى
الرَّشِيدِ وَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
يَا مَنَارَةَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ مِنْهُ عَنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَسَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ الْفَاكِهَةِ وَالطَّعَامِ وَالْفَسْلِ
وَالنَّجْوَرِ وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ نَفْسِي مِنْ امْتِنَاعِهِ . وَالنَّضْبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَرَايِدُ . حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ الْأُمُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالْتِهَاتِهِ إِلَيَّ وَسَوَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَارَكَاتِهِ
إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَافِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ

صِرْنَا بظَاهِرِ دِمَشْقَ . فَأَبْدَأُ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبِسَاطٍ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ
حَسَنِ فِي الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَتَرَى هَذَا . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي .
وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . ثُمَّ أَتَنَهَى إِلَى آخِرٍ فَقَالَ
مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَنَهَى إِلَى مَزَارِعِ حَسَّانَ وَقُرَى فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ :
هَذَا لِي . فَأَشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ . وَقُلْتُ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنْ أَنْتَرَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَا لَكَ
وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقِيدًا مَغْلُولًا مَا تَذَرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ . وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هَذَا حَتَّى تَصِفَ
ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِينِكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتِكَ . وَأَنْتَ لَا تُفَكِّرُ فِيمَ جِئْتَ بِهِ .
وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ الْفَكْرِ لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا . فَقَالَ
لِي مُجِيبًا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فَيْكَ . لَقَدْ
ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَلْتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هَذَا الْخَلْلَ
إِلَّا لَمَّا عَرَفُوكَ بِذَلِكَ . فَإِذَا كَلَامُكَ يُشَبِّهُ كَلَامَ الْعَوَامِّ . وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ . أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى
بَابِهِ عَلَى صَوْرَتِي هَذِهِ فَإِنِّي عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ
نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَخَافَهُ . وَبَعْدُ
فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَّتِي
سَرَحَنِي مُكْرَمًا . فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عَنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِي .

الَّذِي أَخَذَتْهُ مِنْهُ فَوَدَعَهُ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ مَنَارَةُ : فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى
 أَنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحْتُ بِهِ أَهْلُهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا وَأَنْصَرَفْتُ
 (لِلْإِثْلِيدِي)

استقامة رجل اشتكى عليه ظلمًا

٣٣١ نُقِلَ عَنِ الرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَاشَأً مِنْ رَجُلٍ سُمِّيَ بِهِ إِلَى الْمَنْصُورِ أَنَّ
 عِنْدَهُ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمِّيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ
 بِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَبَرُ الْوَدَائِعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي
 عِنْدَكَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثُ أَنْتَ
 لِبَنِي أُمِّيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ . قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ
 الرَّجُلُ : إِذَا فَمَا سَبَبُ سُؤَالِكَ عَمَّا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ . فَأُطْرَقَ
 الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ ظَلَمُوا
 الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكَيْلُهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأُرِيدُ أَنْ أَخْذَ
 هَذِهِ الْوَدَائِعَ وَأَرُدَّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَلُزِمُ فِي ذَلِكَ إِقَامَةُ الْبَيْعَةِ الْمَادِلَةِ عَلَى أَنَّ الَّذِي فِي يَدَيَّ هُوَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ
 وَلَهُمْ قَدْ خَانُوا بِهِ وَاعْتَصَبُوهُ ظُلْمًا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ
 كَانَ لَهُمْ أَمْوَالٌ غَيْرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَعَادَ الْمَنْصُورُ وَأُطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ
 سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالثَّفْتُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ مَا وَجَبَ عَلَى
 الرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ الثَّفْتُ إِلَى الرَّجُلِ وَبَشَّرَ بِهِ

وَصَرَفَهُ إِيَّاهُمْ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ فَقَيَّدَهُ . فَمَا زَالَ وَجْهُ الرَّشِيدِ يُسْفِرُ حَتَّى
 أَتَتْهُ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ تَوْبِخِي لَهُ لَمَّا رَكِبْنَا فِي الْحِمْلِ فَقَالَ :
 صَدَقَ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مُحْسُودٌ عَلَى النِّعَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ .
 وَأَمَرَنِي لَقَدْ أَرْعَجْنَاهُ وَأَذَيْنَاهُ وَرَعْنَا أَهْلَهُ . فَبَادَرَ بِنَزْعِ قِيودِهِ وَأَتَنِي
 بِهِ . (قَالَ) فَخَرَجْتُ وَزَعْتُ قِيودَهُ وَأَدْخَلْتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَمَا هُوَ إِلَّا
 أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاءِ يُجُولُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ . فَدَنَا الْأُمَوِيُّ
 وَسَلَّمُ بِالْخِلَافَةِ وَوَقَفَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ .
 فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَلَّغْنَا عَنْكَ
 فَضْلُ هَيْئَةٍ وَأُمُورُ أَحِبَّتَنَا مِمَّا أَنْ زَاكَ وَنَسَمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنُ إِلَيْكَ
 فَأَذْكُرُ حَاجَتَكَ . فَأَجَابَ الْأُمَوِيُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَا ثُمَّ قَالَ :
 لَيْسَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَّةٌ فَمَا
 هِيَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرُدُّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي . قَالَ :
 نَفْعَلُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ سَلْ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ
 فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَّالُكَ مُنْصِفُونَ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ بَعْدَهُمْ عَنْ مَسْأَلَتِي . فَأُمُورِي
 مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِالْعَدْلِ الشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَنْصَرِفْ مَحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَاكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ
 عَرَضَ لَكَ . فَوَدَّعَهُ الْأُمَوِيُّ . فَلَمَّا وَلَّى خَارِجًا قَالَ الرَّشِيدُ : يَا مُنَادُ
 اجْلِسْ مِنْ وَفَيْكَ وَسِرْ بِهِ رَجْعًا كَمَا جِئْتَ بِهِ حَتَّى إِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَجْلِسِهِ

وَأَنْصَرَفَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُهُ يُتَجَبُّ وَيَقُولُ لِي :
مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ يَا رَبِيعُ (للالتيدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ .
فَلَمَّا سَارُوا ثَلَاثًا جَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هَذَا لَعَلَّ
خَطَرَ مَا هُوَ قُدُومُنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ
بِأَلَدُهُ لَنَا بُتْجَرٌ . وَلَكِنْ أَتَيْكُمْ يَذْهَبُ بِالْعِيرِ فَإِنْ أُصِيبَ فَخَنُّ بُرَاءٍ مِنْ
دَمِيهِ وَإِنْ غَنِمَ فَلَهُ نِصْفُ الرِّبْحِ . فَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذَا
فَأَنَا لَهُمَا . . . فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَلَّقَ وَلَبِسَ ثَوْبَيْنِ أَضْفَرَيْنِ . وَشَهَرَ
أَمْرَهُ وَجَلَسَ بَابَ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شَبَاكٌ مِنْ
ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْجُمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : مَا أَذْخَلَكَ
بِالْأَدِيِّ بَغِيرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : لَسْتُ مِنْ أَهْلِ عِدَاوَةِكَ وَلَا
أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدِّهِ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ لَسْتُمْ تَبْتَغُونَ بِهَا .
فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَهِيَ لَكَ . وَإِنْ لَمْ تُرْزَدهَا وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرَعِيَّتِكَ بِعْتُهَا .
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذَلِكَ رَدَدْتُهَا . (قَالَ) فَجَعَلَ تَتَكَلَّمُ فَاذْ تَسْمَعُ صَوْتَ
كِسْرَى تَسْجُدُ . فَقَالَ لَهُ التَّرْجُمَانُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : لَمْ تَسْجُدْ .
فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتَنَا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْلُصَ صَوْتُهُ إِجْلَالًا
لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيَّ رَفَعَ الصَّوْتَ هُنَاكَ غَيْرُ الْمَلِكِ
فَسَجَدْتُ إِعْظَامًا لَهُ . (قَالَ) فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْقَةٍ

مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي
الشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَأَعَهُمْ إِشْتَخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ
أَسْأَلَكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ :
أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي إِلَيْهِ
فَوَاللَّهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمِّةٍ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدِي مَالٌ وَلَا وَدِيعةٌ وَلَا
فِي مَعْرِفَتِي أَنْ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْخُلَاصِ وَالنَّجَاةِ . فَالْتَفَتَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ اجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى
بِهِ . قَالَ الرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ الرَّجُلَ وَجْهَتُهُ بِالَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ
رَأَاهُ الرَّجُلُ قَالَ : هَذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ مِنْ مَالِي
وَأَبْقَى بِهَا مَنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ الْمُنْصُورُ ذَلِكَ هَدَّاهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ
بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقْرَأَ عِنْدَ ذَلِكَ الْعَلَامُ بِصِدْقِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ .
وَأَنَّهُ أَخَذَ أَمَالًا الَّذِي ذَكَرَهُ مُوَلَّاهُ وَأَبْقَى بِهِ . وَسَعَى بِمُوَلَّاهُ لِيَجْرِيَ
عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَالْتَفَتَ الْمُنْصُورُ إِلَى
الرَّجُلِ وَقَالَ : نَسَأَلَكَ الصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنْ أَمَالٍ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْمُنْصُورُ : مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنَ الْكُرَمِ مَزِيدٌ .
فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ كَأَمَلِكَ لِي وَعَفْوِكَ عَنِّي . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ

وَدِينَارٌ حَتَّى تَرُدُّوا تِلْكَ الْخُرَابَاتِ فَاسْتَرَوْا خَلْفَ بَعْضِ الْجُدُرِ . فَإِذَا
رَأَيْتُمُ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَيَكِي وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ آيَاتًا فَأَتُونِي بِهِ . (قَالَ)
فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى آتَيْنَا الْخُرَابَاتِ فَإِذَا نَحْنُ بِغَلَامٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ
بَسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ جَدِيدٌ . وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ
وَلُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَكِي وَيَنْتَحِبُ وَيَقُولُ هَذِهِ
الْآيَاتُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنْدَلَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْغَافِقَةِ فِي يَمِينِي
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسُفِي عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ الْآنَ لَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا
مَعَ آيَاتِ أَطَالِهَا . فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَفَزِعَ فِرْعَا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أُوصِيَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أَوْقُنُ
بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الدَّكَاكِينِ فَاسْتَقْتَحَ وَأَخَذَ وَرَقَةً
وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَسَلَّمَهَا إِلَى غُلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّ نَابَهُ قَالِمًا مِثْلَ بَيْنَ
يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ : مَنْ أَنْتَ وَبِمِ اسْتَوْجَبْتَ مِنْكَ
الْبَرَامِكَةَ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَائِبِ دُورِهِمْ . قَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ لِلْبَرَامِكَةِ أَيَادِي خَطِيرَةً عِنْدِي أَفْتَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِحَالِي
مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنْغِيرَةِ مِنْ
أَوْلَادِ الْمُلُوكِ . وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرَوْنَ عَنِ الرِّجَالِ . فَلَمَّا
رَكِبَنِي الدِّينُ وَأَخْتَبْتُ إِلَى بَيْعِ مَسْقُطِ رَأْسِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي وَبَيْتِي
الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ فَخَرَجْتُ مِنْ

تَوَضَّعُ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَتَى بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ
فَاسْتَجَبَ لَهُ كَسْرَى وَاسْتَحَقَّهُ . وَقَالَ لِلرَّجُلَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهَذِهِ
لِنَجْلِسَ عَلَيْهَا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ
الْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقُّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِي أَنْ يُجْلِسَ عَلَيْهَا . وَلَكِنْ كَانَ حَقُّهَا
الْعَظِيمُ فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ .
فَاسْتَحْسَنَ فِعْلُهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ
أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ . وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَالْغَائِبُ
حَتَّى يَوُوبَ . فَقَالَ كَسْرَى : زَهْ . مَا أَذْخَلَكَ عَلَيَّ وَدَلَّكَ عَلَى هَذَا
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَّا حَظُّكَ . فَهَذَا فِعْلُ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ
قَوْمٍ جُفَاءَةٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ الْبُرِّ . قَالَ : هَذَا
الْعَقْلُ مِنَ الْبُرِّ لَا مِنَ اللَّبَنِ وَالْتَمَرِ . ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ التِّجَارَةَ بِأَضْعَافِ
ثَمَنِهَا وَكَسَاهُ وَبَعَثَ مَعَهُ مِنَ الْفَرَسِ مَنْ بَنَى لَهُ أَطْعَامًا بِالطَّائِفِ فَكَانَ
أَوَّلَ أَطْعَمِ بُنْيَانِهَا

(للأصبهاني)

المأمون وراثي البرامكة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ الْمَأْمُونِ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ
الْذَّلِيلِ ثَلَاثُهُ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فَلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَاهَا لِي أَحَدُهُمَا عَلَيَّ
أَبْنُ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرُ دِينَارُ الْخَادِمِ . وَأَذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَحْضُرُ لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُشَدُّ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَأَمَضِ أَنْتَ وَعَلَيَّ

فَأَتَى بِي فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ تَلْتَمِئُ بَيْنَنَا وَشَمَالًا. فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي.
فَقَالَ لِلْخَادِمِ: أَتَدْنِي بَوْلَدِي مُوسَى. فَأَتَاهُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ هَذَا
رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ. فَهَبَّضَ مُوسَى
وَلَدَهُ عَلَى يَدَيَّ وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ. فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ
وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي الدَّعِيشِ وَأَتَمَّ سُرُورٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا
بِأَخِيهِ الْعَبَّاسَ وَقَالَ لَهُ: الْوَزِيرُ أَمَرَنِي بِالْعَطْفِ عَلَى هَذَا الْفَتَى وَقَدْ
عَلِمْتُ أَشْتِغَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَقْبَضَهُ إِلَيْكَ وَأَكْرَمَهُ.
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ. ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ سَلَّمَنِي
أَخُوهُ أَحْمَدُ. ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوَلُونَنِي عَلَى مُدَّةِ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَيْرَ عِيَالِي وَصِيبِيَانِي أَفِي الْأَمْوَاتِ هُمْ أُمٌّ فِي الْأَحْيَاءِ.
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْخَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُدَمِ.
فَقَالُوا: قُمْ فَأَخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ. فَقُلْتُ: وَأَوَيْلَاةٍ سُلِّبْتُ
الدَّانِيَةَ وَالصَّبِيَّةَ وَأَخْرُجْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ.
فَرَفَعَ السِّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ. فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ
السِّتْرَ الْأَخِيرَ قَالَ لِي: مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنَ الْخَوَانِجِ فَارْفَعْهَا إِلَيَّ.
فَأَنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ. فَلَمَّا رَفَعَ السِّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ
حُجْرَةً كَالسَّمْسِ حُسْنًا وَنُورًا. وَاسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَانِحَةٌ أَلْبَنُ وَأَلْوَدُ
وَنَهَضَتْ إِلَيْكَ. وَإِذَا بِصِيبِيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالْدَّبَالِجِ
وَحَمَلَنِي إِلَى أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. وَمَنْشُورًا بِضِعْمَتَيْنِ

دِمَشْقَ وَمَعِي نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا
 يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ . حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَزَبَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ .
 فَدَعَوْتُ بَعْضَ ثِيَابٍ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَرِ بِهَا فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ .
 وَتَرَكْتُهُمْ جِيَاعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ . وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ سَائِلًا عَنْ
 الْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
 وَزِينَةٍ . وَعَلَى الْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطَمَعْتُ فِي
 الْقَوْمِ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَأَنَا أَقْدَمُ رَجُلًا
 وَأَوَّخَرُ أُخْرَى . وَالْعَرَقُ يُسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ صَنَاعَتِي . وَإِذَا
 الْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ
 خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا بِيَتِيمٍ جَالِسٍ عَلَى دَكَّةٍ لَهُ وَسَطُ بُسْتَانٍ .
 فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يَعِدُنَا مِائَةً وَوَاحِدًا . وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَةٌ مِنْ وَلَدِهِ . وَإِذَا
 بِمِائَةٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ خَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِنِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى
 كُلِّ صِنِيَّةٍ أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ رَجُلٍ مِائَةَ صِنِيَّةٍ .
 فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمَشَاحِجَ يُصَبُّونَ الدَّنَانِيرَ فِي أَكْصَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ
 الصَّوَانِي تَحْتَ آبَاطِهِمْ وَيَقْرَأُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى يَبْقِيَ وَحْدِي لَا
 أَجْسِرُ عَلَى اخْتِذِ الصِّنِيَّةِ . فَمَمَزَنِي الْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ
 الذَّهَبَ فِي كُمِّي وَالصِّنِيَّةَ فِي يَدِي . وَقَمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَأَلَّفُ إِلَى
 وَرَائِي مَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ . فَوَصَلْتُ وَأَنَا صَكْدُكَ إِلَى
 صَحْنِ الدَّارِ وَيَحْيَى يُلَاحِظُنِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَتُنْيِي بِهَذَا الرَّجُلِ .

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْفَكَاهَاتِ

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى الْجَلِيزِ الْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ . فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ .
فَقَالَ : هُوَذَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ . قِيلَ : كَيْفَ . قَالَ : نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (لكمال الدين الحلبي)
٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الرَّشِيدِ وَرَبِيدُهُ فِي الْفَالَوُذَجِ
وَاللَّوْزِينِجِ أَيُّهُمَا أَطْيَبُ . فَقَالَ : أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى الْغَائِبِ . فَأَمَرَ
بِاتِّخَاذِهَا وَتَقْدِيمِهَا إِلَيْهِ . فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ مَرَّةً وَمِنْ ذَلِكَ أُخْرَى
حَتَّى نَصَفَ الْجُلَامَ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهُمَا
كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْجَلَ لِأَحَدِهَا أَذْلَى الْآخَرِ مُجْتَبًى (للأبشيحي)

العائد والمريض

٢٣٦ مَرَضَ صَدِيقُ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُهُ
يَعُودُهُ . فَأَوْصَاهُ وَقَالَ : إِذَا دَخَلْتَ فَأَجْلِسْ فِي أَرْفَعِ الْمَوْضِعِ وَقُلْ
لِلْمَرِيضِ : مَا تَشْكُوهُ . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا فَقُلْ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَقُلْ لَهُ : مَا يَجِئُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . فَإِذَا قَالَ : فَلَانُ . فَقُلْ : مُبَارَكُ
مَمُونٌ . وَقُلْ لَهُ : مَا غِذَاؤُكَ . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقُلْ : طَعَامٌ مَحْمُودٌ .
فَذَهَبَ الْإِبْنُ فَدَخَلَ عَلَى الْعَلِيلِ . وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارِدٌ فَجَلَسَ
عَلَيْهَا لِارْتِفَاعِهَا . فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ الْعَلِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ . ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

وَتِلْكَ الصَّيْنِيَّةُ الَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّانِيَةِ وَالْبَنَادِقِ . وَأَقَمْتُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ
النَّاسُ أَمِنْ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَزَلَّ
بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَجْحَفِي عَمْرُو بْنُ مُسْعِدَةَ
وَالزَّمَنِي فِي هَاتَيْنِ الصَّيْنَتَيْنِ مِنَ الْحَرَّاجِ مَا لَا يَنِي دَخْلُهُمَا بِهِ . فَلَمَّا
تَحَامَلَ عَلَى الدَّهْرِ كُنْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ
فَأَنْدُبُهُمْ وَأَذْكُرُ حَسَنَ ضَنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأَنْبِيَّ عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ
الْمَأْمُونُ : عَلَيَّ بِعَمْرٍو بْنُ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أَتَى بِهِ قَالَ لَهُ : تَعْرِفُ هَذَا
الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ
الزَّمَنَةُ فِي ضَيْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدِّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ
مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرِغْهُمَا لَهُ لِيَكُونَ لَهُ وَلِعَقِيهِ مِنْ بَعْدِهِ . (قَالَ) فَعَلَا
مُحِبُّ الرَّجُلِ . فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بَكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا قَدْ
أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يُبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنَائِعِ
الْبَرَامِكَةِ . لَوْ لَمْ آتِ خَرَابَاتُهُمْ فَأَبْكِيَهُمْ وَأَنْدُبُهُمْ حَتَّى أَتَّصَلَ خَبْرِي
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَرَأَيْتُ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ
وظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ وَقَالَ : لَعَمْرِي هَذَا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ فَعَلِيَهُمْ
فَأَبْكِي رِإْيَاهُمْ فَأَشْكُرُ وَلَهُمْ فَأَوْفٍ وَإِلْحِسَانِهِمْ فَأَذْكُرُ (لِلاتِلِيدِي)

أَبْنِ عَنقٍ وَأَنْتَ أَقْصَرُ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (لِلنَّوَاجِي)

الاعرابي وجرو الذئب

٣٣٩ حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَذَ جَرَوْ ذَيْبٍ فَرَبَّاهُ بِلَبَنِ شَاةٍ فَقَالَ : إِذَا رَبَّيْتُهُ مَعَ الشَّاةِ يَأْتِسُ بِهَا فَيَذْبُ عَنْهَا وَيَكُونُ أَشَدَّ مِنَ الْكَلْبِ . فَلَا يَعْرِفُ طَعْمَ أَجْناسِهِ . فَلَمَّا قَوِيَ وَتَبَّ عَلَى شَاتِهِ فَأَقْتَرَسَهَا . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

بُقِرْتُ شُوَيْهَتِي وَتَحَمَّتَ قَلْبِي وَأَنْتَ إِشَاتِنَا وَلَدُ رَبِيبٍ
غَذِيتَ بِدَرِّهَا وَرَبَّيْتَ فِينَا فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

عدل غريب

٣٤٠ جَاءَتْ أُمْرَأَةٌ إِلَى قَاضٍ فَقَالَتْ : مَاتَ زَوْجِي وَتَرَكَ أَبُوِيهِ وَوَلَدًا
وَأُمْرَأَةً وَأَهْلًا وَلَهُ مَالٌ . فَقَالَ لِأَبُوِيهِ الشُّكْلُ . وَلَوْلَدِهِ الْيَتَمُ . وَلِأُمْرَأَتِهِ
الْخُلْفُ . وَلِأَهْلِهِ الْقِلَّةُ وَالذِّئْبَةُ . وَالْمَالُ يُحْمَلُ إِلَيْنَا حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ بَيْنَكُمْ
خُصُومَةٌ (لِلشَّعَالِي)

ابو دلامة وابن سليمان في الصيد

٣٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ مُنْخَرِقًا عَلَى عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ فَأَتَفَقَ
أَنْ يَخْرُجَ الْمُهْدِيُّ إِلَى الصَّيْدِ مَعَهُ عَلِيٌّ وَأَبُو دُلَامَةَ . فَرَمَى الْمُهْدِيُّ ظَبْيًا
عَنْ لَهُ فَأَنْهَضَ مَقَاتِلَهُ . وَرَمَى عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ فَأَصْطَادَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ
الصَّيْدِ فَأَرْجَلَ أَبُو دُلَامَةَ :

قَدْ رَمَى الْمُهْدِيُّ ظَبْيًا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ

لِّلْعَلِيلِ : مَا تَشْكُو . فَقَالَ بِضُغْرَةٍ : أَشْكُو عِلَّةَ الْمَوْتِ . فَقَالَ : سَلِمَ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ يَحْيِيكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلِكُ الْمَوْتِ .
 قَالَ : مُبَارَكُ مَيُوءٍ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فَقَالَ : سَمُ الْمَوْتِ . قَالَ :
 طَعَامُ طَلِبٍ مُحَمَّدٍ

(لكمال الدين الحلبي)

الطبخ المفضّل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفٍ مَا اتَّفَقَ لِأَيِّ الرِّقْعَةِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانٌ
 أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أَنَادِيهِمْ فِي أَيَّامِ الْأَسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي
 يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كُنُوسَةٌ تُحَصِّنُنِي مِنَ الْبَرْدِ . فَقَالَ الرَّسُولُ :
 إِخْوَانُكَ يَفْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : اضْطَجِعْنَا الْيَوْمَ
 وَذَبَجْنَا شَاةً سَمِينَةً فَأَشْتِهِ مَا نَطْبُخُهُ لَكَ وَأَتْنَا عَاجِلًا . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ :
 إِخْوَانُنَا قَصَدُوا الصُّبُوحَ بِسُخْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خَصِيصًا
 قَالُوا اقْتَرَحْ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ أَطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا
 فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِالرِّقْعَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ
 خِطَمٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ فَلَيْسْتُ إِحْدَاهَا وَمَرَّتْ
 إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحَكِي أَنَّهُ أَتَى بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكْرَانٍ إِلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ فَأَمَرَ
 بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ طَوِيلًا وَالْجِلْدُ قَصِيرًا فَلَمَّ يَتَمَكَّنُ مِنْ
 ضَرْبِهِ . فَقَالَ الْجِلْدُ : تَقَاصَّرَ لِي نَالَكَ الضَّرْبُ . فَقَالَ لَهُ : وَبِكَ إِلَى
 أَكْلِ الْقَالُودِجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَطُولُ مِنْ عُوجِ

يَا سَيِّدِي نَظْمِي يُعَابُ بِثَرِكَا فَلِذَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكَ
 أَوْلَيْتَنِي فَضْلًا وَإِنِّي عَاجِزُ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكَ
 أَنَا فِي ضِيَاقِكَ الْعَمِيَّةِ كُلِّهَا فَأَجْعَلْ حِمَارِي فِي ضِيَاقَةِ مُهْرِكَ
 فَضَحَكَ الرَّجُلُ . وَقَالَ : مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي . وَدَعَا بِعَلَفٍ

لِلْحِمَارِ كَعَلَفٍ الْمُهْرَ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ (لَابَن خَلِيكَان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانَ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمَ . فَأَلْشَأَ يَقُولُ :
 وَقَالُوا تَقَدَّمَ قُلْتَ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تُحْطَمَا
 فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَلَفْتُ وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ رَأْسُ إِذَا رَاحَ أُعْقِمَا
 وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى السُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَخْضِلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
 فَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأَرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمَا

أبو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ الْمُهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجًا فَأَخِذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ .
 فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُجْبَسَ فِي بَيْتِ
 الدَّجَاجِ . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى
 نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ صَاحٍ : يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ . فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ
 وَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ . قَالَ : وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَانِي مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ :
 أَعْمَالُكَ الْحَنِيئَةُ . أَيُّ بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانُ . فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ
 سَاجِكَ وَحَبْسِكَ مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَرْقُبْ لِي سِرَاجًا
 وَجِئَنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ . فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى الْمُهْدِيِّ :

وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهَبْنَاهُ لَهُمَا كُلُّهُ فَتَيَّ يَأْكُلُ زَادَهُ

فَنَحَكَ الْمُهْدِيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ (بدائع البداهة لللازدي)

٣٤٢ يُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا اسْتَصَافَ حَاتِمًا فَلَمْ يُنْزِلْهُ. فَبَاتَ جَائِعًا
مَقْرُورًا. فَلَمَّا كَانَ فِي السَّعْرِ رَكِبَ رَاحِيَتَهُ وَأَنْصَرَفَ. فَتَقَدَّمَ حَاتِمٌ.
فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَقِيَهُ مُتَتَكِّرًا فَقَالَ لَهُ: مَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَالٍ
الْبَارِحَةَ. قَالَ: حَاتِمٌ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ مَبِيتُكَ عِنْدَهُ. قَالَ: خَيْرَ مَبِيتٍ.
فَنَحَرْتُ نَاقَةً فَأَطْعَمَنِي لَحْمًا عَيْطًا وَأَسْتَبَانِي الْحَمْرَ. وَعَافَ رَاحِيَتِي
وَسِرْتُ مِنْ عِنْدِهِ بِخَيْرِ حَالٍ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا حَاتِمٌ. وَإِنَّكَ لَا تَبْرَحُ
حَتَّى تَرَى مَا وَصَفْتُ قَرَدَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الْكُذْبِ. فَقَالَ لَهُ
الْأَعْرَابِيُّ: إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُنُونُ عَلَيْكَ بِالْجُودِ. وَلَوْ ذَكَرْتُ شَرًّا
كُنْتُ أَكْذَبُ. فَرَجَعْتُ مُضْطَرًّا إِلَى قَوْمِهِمْ إِبْنَاءً عَلَى نَفْسِي لَا
عَلَيْكَ (للشريشي)

الفق والحمار

٣٤٣ قِيلَ مَضَى فَتَى فِي طَرِيقٍ عَلَى حِمَارِهِ حَتَّى أَمْسَى فَزَلَّ فِي مَنْزِلٍ
بِالطَّرِيقِ. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى مُهْرٍ فَاسْتَقْبَلَهُ أَلْفَتَى وَحَيَّاهُ فَأَنْسَ
بِهِ. وَجَلَسَا يَتَحَادَثَانِ بَرْهَةً فَاسْتَطْفَهَ الرَّجُلُ. ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَخَضِرَ.
وَدَعَا بِعَلْفٍ لِمُهْرِهِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَالْفَتَى. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ
نَفَقَةٌ لِعَافٍ حِمَارِهِ فَظَنَرَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ:

بأيديها السَّمْعُ فَوَقَّعَتْ حَوْلَ السُّفْرَةِ فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : اُعْتَبِرْ خَطَأَكَ
وَضَعْفَ مَذْهَبِكَ مَتَى كَانَ أَبُو هَذِهِ السَّنَانِيرِ شَمَاعًا . فَسَكَتَ عَنْهُ
الْوَزِيرُ وَقَالَ : أَهْلَنِي فِي الْجَوَابِ إِلَى اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ . فَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ .
فَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَقَالَ : ائْتَسْ لِي فَأَرَا وَارْبُطْهُ فِي خَيْطٍ
وَجَنِّبِي بِهِ . فَأَتَاهُ بِهِ الْغُلَامُ فَمَقَّدَهُ فِي سِنِّيَّتِهِ وَطَرَحَهُ فِي كُمِّهِ . ثُمَّ رَاحَ
مِنَ الْغَدِ إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا حَضَرَتْ سَفَرَتُهُ أَقْبَلَتِ السَّنَانِيرُ بِالسَّمْعِ حَتَّى
حَفَّتْ بِهَا فَحَلَّ الْوَزِيرُ الْفَارَ مِنْ سِنِّيَّتِهِ ثُمَّ أَقْبَاهُ إِلَيْهَا . فَاسْتَبَقَتِ السَّنَانِيرُ
إِلَيْهِ وَرَمَتْ بِالسَّمْعِ حَتَّى كَادَ الْيَتُّ يَضْطَرُّ نَارًا . فَقَالَ الْوَزِيرُ :
كَيْفَ رَأَيْتَ غَلَبَةَ الطَّبَعِ عَلَى الْأَدَبِ وَرُجُوعَ الْفَرْعِ إِلَى أَصْلِهِ . قَالَ :
صَدَقْتَ . وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مَعَهُ . فَإِنَّمَا مَدَارُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى
طَبْعِهِ وَالتَّكَلُّفُ مَذْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

المستخبر عن وفاة أبيه

٣٤٧ بَيْنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَأْكُلُونَ عِنْدَهُ
حَيْثَانًا . إِذْ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ أَشْعَبُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ مِنْ شَأْنِ أَشْعَبَ
الْبَسْطَ إِلَى أَجْلِ الطَّعَامِ . فَاجْعَلُوا كِبَارَ هَذِهِ الْحَيْتَانِ فِي قِصْعَةٍ بِنَاحِيَةٍ
وَيَأْكُلْ مَعَنَا الصِّغَارُ . فَفَعَلُوا وَأَذِنَ لَهُ . فَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ
فِي الْحَيْتَانِ . فَقَالَ : إِنَّ لِي عَلَيْهَا حَرْدًا شَدِيدًا وَحَنَقًا لِأَنَّ أَبِي
مَاتَ فِي الْبَحْرِ وَأَكَلَتْهُ الْحَيْتَانُ . قَالُوا لَهُ : فَدُونَكَ خُذْ بِنَارِ أَيْتِكَ .
فَجَلَسَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حُوتٍ مِنْهَا صَغِيرٍ . ثُمَّ وَضَعَهُ عِنْدَ أُذُنِهِ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَنَكَ نَفْسِي عَلامَ حَبَسَتَنِي وَخَرَفَتَ سَاحِي
 أَقَادُ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ ذَنْبٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخُرَاجِ
 وَلَوْ مَعَهُمْ حُسَيْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ وَلَكِنِّي حُسَيْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
 دَجَلَجَاتُ يُطْفِئُ بَيْنَ دِيكَ يُنَادِي بِالصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
 وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي بَأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِي
 ثُمَّ قَالَ أَوْصَلَهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ السَّجَّانُ . فَلَمَّا قَرَأَهَا
 أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدَخَلَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بَتِ اللَّيْلَةُ أَبَا دَلَامَةَ . قَالَ :
 فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ . قَالَ :
 كُنْتُ أَقُورِي مَعَهُمْ حَتَّى أَضَبْتُ . فَصَحَّحَكَ الْمُهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ
 جَزِيلَةٍ وَحَلَعَ عَلَيْهِ كَسُوءَ شَرِيفَةٍ

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلَكًا مِنْ مَلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ
 يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ الْبَيْنَ فِي مَشُورَتِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ
 وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَأَعْجِبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ
 أَبَاكَ كَانَ لَا يَرَى طَعْمَ أَمْرٍ أَوْ دُونِهِ . فَقَالَ : كَانَ يَنْلُطُ فِيهِ وَسَأَمْتَعُهُ
 بِنَفْسِي . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهُمَا أَغْلَبَ عَلَى الرَّجُلِ الْأَدَبُ أَوْ
 الطَّيْعَةُ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : الطَّيْعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلُ وَالْأَدَبُ فُرْعٌ .
 وَكُلُّ فُرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ . فَدَعَا بِسُفَرَتِهِ فَلَمَّا وُضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

تَنْدُبَهَا فَإِنَّ أَلْيَاهُ الَّتِي كُنَّا نَخِطُهَا بِلَبِنِهَا اجْتَمَعَتْ فَعَرَقَتْهَا (اللاشيحي)

السائل والنجيل

٣٥٠ قِيلَ إِنَّ سَائِلًا أَتَى إِلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ أَصْهَبَانَ فَسَأَلَ شَيْئًا لِلَّهِ . فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لِعَبْدِهِ : يَا مُبَارَكُ قُلْ لِعَبْرٍ : يَقُولُ لَجَوْهَرٍ وَجَوْهَرٌ يَقُولُ لِيَأْقُوتٍ وَيَأْقُوتٌ يَقُولُ لِلْأَمَّاسِ وَالْأَمَّاسُ يَقُولُ لَفَيْرُوزٍ وَفَيْرُوزٌ يَقُولُ لِمَرْجَانٍ وَمَرْجَانٌ يَقُولُ لِهَذَا السَّائِلِ : يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَسَمِعَهُ السَّائِلُ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : يَا رَبِّ قُلْ لِحَبْرَائِيلَ يَقُولُ لِمِيكَائِيلَ وَمِيكَائِيلُ يَقُولُ لِدَرْدَائِيلَ وَدَرْدَائِيلُ يَقُولُ لِكِيكَائِيلَ وَكِيكَائِيلُ يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ وَإِسْرَافِيلُ يَقُولُ لِعِزْرَائِيلَ أَنْ يَزُورَ هَذَا النِّجِيلَ . فَحَجَلَ التَّاجِرُ وَمَضَى السَّائِلُ لِحَالِ سَبِيلِهِ (للميني)

٣٥١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ نَجِيلًا :

لَا يَخْرُجُ الزَّيْتُ مِنْ كَفِّهِ وَلَوْ ثَقَبْنَاَهَا بِمِصْرَارٍ
يُحَاسِبُ الدِّيكَ عَلَى تَقْدِيمِ وَيَطْرُدُ الْهَرَّ مِنَ الدَّارِ
يَكْتُبُ فِي كُلِّ رَغِيفٍ لَهُ يَخْرُسُكَ اللَّهُ مِنَ الْقَارِ

٣٥٢ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمٍ الْحَيَّاطُ فِي رَجُلٍ كَثِيرِ الْكَلَامِ :

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبَرَكَةُ يَزِيدُ عِنْدَ السَّكُونِ وَالْحَرَكَةِ
لَوْ قَالَ لَا فِي قَلِيلٍ أَحْرَفَهَا لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكَةً

٣٥٣ سَمِعْتُ دِعْبِلَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ يَوْمًا فَوَجَدْنَاهُ
يَتَضَوَّرُ جُوعًا . ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى غُلَامًا لَهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ أَيْنَ الْغَدَاءُ . فَجَاءَ

الْتَصَمَةُ الَّتِي فِيهَا الْحَيَاتَانُ فِي زَاوِيَةِ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَتَذَرُونَ مَا يَقُولُ
لِي هَذَا الْخَوْتُ . قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ مَوْتَ أَبِي
وَلَا أَدْرَكَهُ لِأَنَّ سِنِّهُ يَصْغُرُ عَنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ قَالَ لِي : عَلَيْكَ بِتِلْكَ
الْكِبَارِ الَّتِي فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَهِيَ أَذْرَكَتْ أَبَاكَ وَأَكَلَتْهُ

الحُبُّ الْإِيحَازُ

٣٤٨ اضْطَجَبَ نَحْوِيٌّ وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ . فَمَرَضَ النَّحْوِيُّ . وَارَادَ الرَّجُلُ
أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ . فَأَرَادَ النَّحْوِيُّ أَنْ يُحْمِلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ :
قُلْ لِأَهْلِي : لَقَدْ أَصَابَهُ صَدْعٌ فِي رَأْسِهِ . وَبَلَى بَوِجَعٍ أَضْرَاسِهِ . وَوَقَعَتْ
الْحُمْدَةُ فِي أَنْفَاسِهِ . وَقَدْ قَتَرَتْ يَدَاهُ . وَتَوَرَّمَتْ رِجْلَاهُ . وَشَخَصَتْ
عَيْنَاهُ . وَانْخَلَّتْ رُكْبَتَاهُ . وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهْرِهِ . وَضَرَبَانُ فِي صَدْرِهِ .
وَهَزَالٌ فِي طِحَالِهِ . وَتَقَطَّعَ فِي أَوْصَالِهِ . وَخَفَّتَانُ فِي قَلْبِهِ . وَالْمُ فِي صَلْبِهِ
وَمَاءٌ فِي عَيْنِهِ . وَرِيحٌ فِي سَاقِيهِ . وَارْتِخَاءٌ فِي حَنَاصِهِ . وَتَبْضَانُ فِي
صَدْرِيهِ . وَسُكُونٌ فِي نَبْضِهِ مِنْ تَوَاتُرِ غَشْيَانِهِ وَسَكَنَتُهُ فِي لِسَانِهِ .
فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي أَلَسْتُ بِأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُطِيلَ الْكَلَامَ وَلَكِنْ
أَقُولُ لَهُمْ : مَاتَ وَالسَّلَامُ

البقرة الغارقة

٣٤٩ حُكِمِي فِي الْأَحْيَاءِ أَنْ شَخْصًا كَانَ لَهُ بَقَرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ لَبَنَهَا
بِالْمَاءِ وَيَبْدِعُهُ . فَجَاءَ السَّيْلُ فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرْغَى فَرَّ
عَلَيْهَا فَفَرَّقَهَا . فَجَلَسَ صَاحِبُهَا لِيَنْدُبَهَا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ : يَا أَبْتَ لَا

فَأَمَرَ بِالْقَتْلِ فَكُسِرَ فَإِذَا فِيهِ سَفَطٌ آخَرُ مُقْلٌ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَنْ
يَشْتَرِي مِنِّي هَذَا السَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَتَرَايِدَ فِيهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ
آلَافٍ دِينَارٍ . فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ
إِلَّا حِمَاقَةٌ مِنْ حِمَاقَاتِ الْجَحِمِ . ثُمَّ أَنْفَذَ الْبَيْعَ وَعَزَمَ عَلَى الْمُشْتَرِي أَنْ
يَفْتَحَهُ وَيُرِيَهُ مَا فِيهِ . فَفَتَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا : مَنْ
أَرَادَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ فَلْيَشِطَّهَا مِنْ أَسْفَلِ (لابن عبد ربّه)

٣٥٦ دَخَلَ بَشَارُ الضَّرِيرِ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يُزَيْدُ بْنُ مَنْصُورٍ
الْحِمِيرِيُّ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً يَمْدَحُهَا . فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ يُزَيْدُ : مَا
صَنَعْتَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ . فَقَالَ لَهُ : أَتُثْبِتُ الْوُلُوءَ . فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ :
أَتَهْزَأُ بِحَالِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ جَوَائِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي
شَيْخًا أَعْمَى أَتَشِدُّ شِعْرًا . فَضَحِكَ الْمُهْدِيُّ وَأَجَارَهُ

٣٥٧ كَانَ أَبُو الشَّيْمَقِ الشَّاعِرُ الظَّرِيفُ الْمَشْهُورُ قَدْ لَزِمَ بَيْتَهُ
لِأَطْسَارِ رَثَّةٍ كَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يُخْرَجَ بِهَا إِلَى النَّاسِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
إِخْوَانِهِ يُسَلِّهِ عَمَّارَئِ مِنْ سُوءِ حَالِهِ : أَبَشِّرْ يَا أَبَا الشَّيْمَقِ فَقَدْ
رُويَ أَنَّ الْعَارِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ
كَانَ ذَلِكَ حَقًّا فَإِنِّي لَأَكُونُ بَرَّازًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (لبهاء الدين)

٣٥٨ قَالَ ابْنُ سُكْرَةَ الْمَاشِي فِي صَاحِبٍ يَعْرِفُ يَا بْنَ الْبَرْغوثِ :
بُلَيْتُ وَلَا أَقُولُ يَمْنُ لَأَيَّ مَتَى مَا قُلْتَ مِنْ هُوَ يَصْبُوهُ
خَلِيلٌ قَدْ نَنَى عَنِّي رُقَادِي فَإِنْ أَعْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ

بِقَصْعَةٍ فِيهَا دِيكٌ مَطْبُوخٌ . فَتَأَمَّلْهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الرَّأْسُ . فَقَالَ الْغُلَامُ :
رَمَيْتُهُ . قَالَ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يُرْمَى بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ . وَنَحَكَ أَمَّا
عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَأْسُ الْأَعْضَاءِ وَمِنْهُ يَصْرُخُ الدِّيكُ . وَلَوْلَا صَوْتُهُ
مَا أُرِيدَ . وَفِيهِ فَرْقُهُ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ . وَعِنْدَهُ أَلْتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ .
فَيُقَالُ شَرَابٌ كَمَيْنِ الدِّيكِ . وَدَمَاعُهُ مُفِيدٌ لَوَجَعِ الْبَطْنِ . وَلَمْ أَرَعْظَمًا
أَهْشَ تَحْتَ الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ . وَهَبَكَ ظَلَمْتُ أَنِّي لَا أَكُلُهُ
أَمَا قُلْتَ عِنْدَهُ مَنْ يَأْكُلُهُ . أَنْظُرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَمَيْتُهُ فَأُتِنِي بِهِ . فَقَالَ :
بِحِمَايَتِكَ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي وَأَعْرِفُ . رَمَيْتُهُ فِي
بَطْنِكَ اللَّهُ حَسْبُكَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ وَأَهْلِهِ (للقيرواني)

الاصبع المقطوعة

٣٥٤ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيَيْنِ ظَرِيفَيْنِ مِنْ شَيْطَاطِينَ
الْعَرَبِ حَطَمَتَهُمَا سَنَةً فَأَتَمَحَدَرًا إِلَى الْعِرَاقِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَمَاشِيَانِ فِي
السُّوقِ وَاسْمُ أَحَدِهِمَا خِنْدَانُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَوْطَأَ دَابَّتَهُ رَجُلٌ خِنْدَانُ
فَقَطَعَ إصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهِ . فَتَمَلَّقَا بِهِ حَتَّى أَخَذَا أَرْضَ الْإِصْبَعِ . وَكَانَا
جَائِعَيْنِ مَثْرُورَيْنِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ بِأَيْدِيهِمَا قَصَدَا إِلَى بَضِّ الْكَرَاجِ
فَأَبْتَا مِنَ الطَّعَامِ مَا أَشْتَهَيَا . فَلَمَّا شَبِعَ صَاحِبُ خِنْدَانٍ أَشْأَا يَقُولُ :
فَلَا عَرِثَ مَا دَامَ فِي النَّاسِ كُرْبُجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رَجُلٍ خِنْدَانُ إِصْبَعٌ

السفط الثقيل

٣٥٥ أَنِّي الْحَاجُّ بِسَفَطٍ قَدْ أَصِيبَ فِي بَضِّ خَزَائِنِ كِسْرَى مُعَقَّلٍ :

فَسَكَ بَعْنَانِ قَرَسِهِ وَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَضْرِبَ عُنُقِي .
فَبُهِتَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : أَمَعْتُوهُ أَنْتَ . قَالَ : لَا وَرَأْسُ الْأَمِيرِ . قَالَ :
فَمَا الْحَبْرُ . قَالَ : لِي خَصْمٌ أَلَدُّ قَدْ لَزِمَنِي وَأَلَحَّ وَضَيَّقَ عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي بِهِ
طَاقَةٌ . قَالَ : وَمَنْ خَصْمُكَ . قَالَ : الْفَقْرُ . فَالْتَفَتَ عَبْدُ اللَّهِ لِفَتَاهُ
وَقَالَ : أَدْفَعْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ خُذْهَا وَتَحْنُ
سَائِرُونَ . وَلَكِنْ إِذَا عَادَ إِلَيْكَ خَصْمُكَ مُتَغَشِّمًا فَأَتِنَا مُتَطَلِّمًا . فَإِنَّا
مُنْصِفُونَكَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنْ مَعِيَ مِنْ جُودِكَ مَا
أُدْحِضُ بِهِ حُجَّةَ خَصْمِي بَقِيَّةَ عُمْرِي . ثُمَّ أَخَذَ الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ

سليمان بن عبد الملك والاعرابي

٣٦٢ ذَكَرَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَكَانَ
كَثِيرَ التَّطْيِيرِ . فَبَيْنَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ لَقِيَهُ رَجُلٌ أَعْوَرُ . فَقَالَ :
أَوْثِقُوهُ . فَأَوْثَقُوهُ وَمَرُّوا بِهِ عَلَى بَيْرٍ خَرَابٍ قَدْ تَهَجَّمَ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ :
أَلْقُوهُ فِي هَذِهِ الْبُيْرِ فَإِنْ صَدَّنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا أَطْلَقْنَاهُ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ
لِتَعْرِضِهِ لَنَا مَعَ عِلْمِهِ بِتَطْيِيرِنَا . فَأَلْقَوْهُ فِي تِلْكَ الْبُيْرِ فَمَا رَأَى سُلَيْمَانُ
فِي عُمُرِهِ صَيْدًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَلَمَّا رَجَعُوا وَمَرُّوا عَلَى الرَّجُلِ
أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : يَا سَيِّحُ مَا رَأَيْتُ أَسْرَ
وَأَبْرَ مِنْ طَلْعَتِكَ . قَالَ السَّيِّحُ : صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أَنَا مَا رَأَيْتُ أَشَامَ
مِنْ طَلْعَتِكَ عَلَيَّ . فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ
٣٦٣ اِعْتَرَضَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ الْمَأْمُونُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

الحمار المحبوس

٣٥٩ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ طَائِفٌ يَقَالُ لَهُ صَفْوَانُ . فَجَاءَ الْحَزِينُ الدَّيْلِيُّ إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَمَارَهُ حِمَارَهُ وَذَهَبَ إِلَى الْعَقِيقِ فَشَرِبَ . وَأَقْبَلَ عَلَى الْحِمَارِ وَقَدْ سَكِرَ . فَجَاءَ الْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ كَمَا كَانَ صَاحِبُهُ عَوْدَهُ إِلَيْهِ . فَرَبَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ فَجَبَسَهُ وَجَبَسَ الْحِمَارُ فَأَصْبَحَ الْحِمَارُ مُحْبُوسًا مَعَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبِّرُونِي بِأَيِّ جَرِيرَةٍ حُبِسَ الْحِمَارُ
فَمَا لِلْعَيْرِ مِنْ جُرْمٍ إِلَيْكُمْ وَمَا بِالْعَيْرِ إِنْ ظَلِمَ أَنْتِصَارُ
فَرَدُّوا الْحِمَارَ عَلَى صَاحِبِهِ وَضَرَبُوا الْحَزِينُ الْحَمْدَ (الاثْنَانِ)

البرهان القاطع

٣٦٠ إِدْعَى رَجُلٌ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ ابْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْخَلِيلُ . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : إِنَّ مُعْجِزَةَ الْخَلِيلِ الْإِلْقَاءُ فِي النَّارِ . فَتَحْنُ نَفْسِيكَ فِيهَا لِتَرَى حَالَكَ . قَالَ : أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخَفَّ مِنْ هَذِهِ . قَالَ : فَبَرَهَانَ مُوسَى إِذْ أُلْقِيَ الْعَصَا فَصَارَتْ ثُعْبَانًا . قَالَ : هَذِهِ أَصْعَبُ عَلَيَّ مِنَ الْأُولَى . قَالَ : فَبَرَهَانَ عِيسَى وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى . قَالَ : مَكَانَكَ وَصَلْتَ . أَنَا أَضْرِبُ رَقَبَةَ الْقَاضِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَأُحْيِيهِ لَكُمْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ . فَقَالَ يَحْيَى : أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَّقَ . فَصَحَّحَ الْمَأْمُونُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً

المتظلم من خصمه

٣٦١ بَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ

لِيَفْرَأَ عَلَيْهِ قِرَاءَةَ أَبِي عَمْرٍو . فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ
عَلَى الشَّيْخِ النَّخْوِ . قَالَ : فَقُلْتُ : لَا . فَسَأَلَنِي آخَرُ كَذَلِكَ . فَقُلْتُ :
لَا . فَأَنشَدَ الشَّيْخُ وَقَالَ : قُلْ لَهُمْ :

لَسْتُ لِلنَّخْوِ جِسْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
خَلَّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ أَنِنَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِي أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ

الباهلي والاعرابي

٣٦٨ كَانَتِ الْعَرَبُ تَسْتَكْفُ الْأَنْتِسَابَ إِلَى قَبِيلَةٍ بَاهِلَةٍ وَتَضْرِبُ
بِهَا الْمَثَلَ فِي الْحَقِّ وَالْجَهْلِ . وَيُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ تَخْصَصًا فِي الطَّرِيقِ
فَسَأَلَهُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : مِنْ بَاهِلَةٍ . فَرَأَى لَهُ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ ذَلِكَ
الشَّخْصُ : وَأَزِيدُكَ أَنِّي لَسْتُ مِنْ صَمِيمِهِمْ وَلَكِنْ مِنْ مَوَالِيهِمْ . فَأَقْبَلَ
الْأَعْرَابِيُّ عَلَيْهِ يَقِيلُ يَدَيْهِ وَرِجَالَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ هَذَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَبْتَلَاكَ بِهَذِهِ الرِّزْيَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَيُعَوِّضُكَ الْجَنَّةَ
فِي الْآخِرَةِ (لَابَنُ خَلَّكَانَ)

• ابان بن عثمان والاعرابي

٣٦٩ حَدَّثَنَا ابْنُ زَبَّعٍ قَالَ : كَانَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ أَهْزَلِ النَّاسِ
وَأَعْبَثِهِمْ . فَبَيْنَا نَخْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ أَشْعَبٌ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ
وَمَعَهُ جَمَلٌ لَهُ . وَالْأَعْرَابِيُّ أَشْفَرُ أَزْرَقُ أَزْعَرُ غَضُوبٌ تَتَلَطَّى كَكَاةُهُ
أَفْعَى وَيَتَّبِعُ الشَّرَّ فِي وَجْهِهِ . مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَتَّمَهُ وَنَهَرَهُ . فَقَالَ

أَتَا رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ . قَالَ : لَا عَجَبَ . قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ . قَالَ :
الطَّرِيقُ وَاسِعَةٌ . قَالَ : لَيْسَ مَعِيَ نَفَقَةٌ . قَالَ : قَدْ سَقَطَ عَنْكَ
الْحَجُّ . قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ جِئْتُكَ مُسْتَجِدًّا لَا مُسْتَقْتِيًا . فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ
وَأَمَرَ لَهُ بِجَانِزَةٍ (للميت)

٣٦٤ كَانَ الْعِمَادُ بْنُ جَبْرِيلَ الْأَمْرُوفِيُّ بَابِنَ أَخِي الْعَلَمِ صَاحِبَ دِيوَانِ
بَيْتِ الْمَالِ بِمِصْرَ . وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فَأَنْكَسَرَتْ يَدُهُ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ
الْمُسْلِمِ الْعِرَاقِيُّ :

إِنَّ الْعِمَادُ بْنَ جَبْرِيلَ أَخِي عَالِمٍ لَهُ يَدٌ أَصْبَحَتْ مَذْمُومَةً الْأَثَرِ
تَأَخَّرَ الْقَطْعُ عَنْهَا وَهِيَ سَارِقَةٌ فَجَاءَهَا الْكَسْرُ يَسْتَقْصِي عَنْ الْخَبَرِ
٣٦٥ دَخَلَ الْعَبْسِيُّ عَلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فَمَنْعَهُ الْبُؤَابُ فَقَالَ :

حَمَدْتُ بَوَابَكَ إِذْ رَدَّنِي وَذَمَّمَهُ غَيْرِي عَلَى رَدِّهِ
لِأَنَّهُ قَلَدَنِي نِعْمَةً تَسْتَوْجِبُ الْإِغْرَاقَ فِي حَمْدِهِ
أُرَاحِنِي مِنْ قُبْحِ مَلَقَاكَ لِي وَكِبْرِكَ الزَّائِدِ فِي حَدِّهِ

٣٦٦ كَتَبَ سُبْطُ بْنُ التَّمَاوِيذِيِّ قَصِيدَةً وَسَّيَّرَهَا إِلَى مُجَاهِدِ الدِّينِ
الزَّيْنِيِّ فَأَجَارَهُ جَارِزَةً سَنِيَّةً . وَسَّيَّرَ مَعَهَا بَغْلَةً فَوصلَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ هَزِلَتْ
مِنْ تَعَبِ الطَّرِيقِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

مُجَاهِدَ الدِّينِ ذُمَّتْ ذُخْرًا إِكْلَ ذِي فَاقَةٍ وَكَثْرًا
بَعَثْتُ لِي بَغْلَةً وَلَكِنْ قَدْ مُسِخَتْ فِي الطَّرِيقِ عَنَّا

٣٦٧ ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْجُرُولِيِّ الْأَيْزِدَكِيِّ أَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ

فَكَادَ يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ غَيْظًا . وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ . ثُمَّ قَالَ :
هَاتِ قَلَنْسُوتِي فَأَخْرَجَ قَلَنْسُوتَهُ طَوِيلَةً خَلَقَةً قَدْ عَلَاهَا الْوَسْخُ وَالذَّهْنُ
وَتَحَرَّقَتْ نَسَاوِي نِصْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : قَوْمُ . قَالَ : قَلَنْسُوتُ الْأَمِيرِ تَعْلُو
هَامَتُهُ وَيُصَلِّي فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَيَجْلِسُ لِلْحُكْمِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا .
قَالَ : أَثْبِتْ . فَأُثْبِتَ ذَلِكَ وَوُضِعَتْ الْقَلَنْسُوتُ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ .
فَقَرَّبَ دُجْهَهُ وَحَجَّظَتْ عَيْنَاهُ وَهَمَّ بِالْوُثُوبِ ثُمَّ تَمَسَّكَ وَهُوَ مُتَمَلِّقٌ .
ثُمَّ قَالَ لِأَشْعَبَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ . فَأَخْرَجَ خَفَيْنِ خَلَقَيْنِ قَدْ نَقَبَا
وَتَقَشَّرَا وَتَفَتَّقَا . فَقَالَ : قَوْمُ . قَالَ : خِفَا الْأَمِيرَ يَطَأُ بِهِمَا الرُّوْضَةَ وَيَعْلُو
بِهِمَا الْإِنْبَرِ أَرْبَعُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعُفُهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَوَضَعَهُمَا ثُمَّ قَالَ
لِلْأَعْرَابِيِّ : أَضْمَمِ إِلَيْكَ مَتَاعَكَ وَقَالَ لِبَعْضِ الْأَعْوَانِ : أَذْهَبُ فَخُذِ
الْجَمْلَ . وَقَالَ لِآخَرَ : اْمْضِ مَعَ الْأَعْرَابِيِّ فَأَقْبِضْ مِنْهُ مَا بَقِيَ لَنَا عَلَيْهِ
مِنْ ثَمَنِ الْمَتَاعِ وَهُوَ عِشْرُونَ دِينَارًا . فَوُثِبَ الْأَعْرَابِيُّ فَأَخَذَ الْقَمَاشَ
فَضْرَبَ بِهِ وُجُوهَ الْقَوْمِ لَا يَأْلُو فِي شِدَّةِ الرَّمْيِ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْأَمِيرِ :
أَتَدْرِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَمُوتُ . قَالَ : لَا . قَالَ : لَمْ أَذْكُ
أَبَاكَ عُثْمَانَ فَأَشْرَكَ وَاللَّهِ فِي دَمِهِ إِذْ وَلَدَ مِثْلَكَ . ثُمَّ نَهَضَ مِثْلَ الْجُنُونِ
حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ . وَضَحَكَ أَبَانُ حَتَّى سَقَطَ وَضَحَكَ كُلُّ مَنْ كَانَ
مَعَهُ . وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا لَقِيَ أَشْعَبَ يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ الْحَيَاةِ
حَتَّى أَكْفَيْتَكَ عَلَى تَقْوِيمِكَ الْمَتَاعَ يَوْمَ قَوْمٍ فِيهِ رُبُّ أَشْعَبٍ مِنْهُ

(الاعرابي)

أَشْعَبُ لِأَبَانَ : هَذَا مِنْ الْبَادِيَةِ أَدْعُهُ . قَدِ عَيَّ وَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَانَ
 ابْنَ عُثْمَانَ يَدْعُوكَ . فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَسَأَلَهُ أَبَانَ عَنْ نَسَبِهِ فَأَنْتَسَبَ
 لَهُ . فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا خَالِي . حَيْبُ أَرْدَادٍ حُبًّا . فَجَلَسَ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي
 فِي طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلَ جَمَلِكَ هَذَا مِنْذُ زَمَانٍ . فَلَمْ أَجِدْهُ كَمَا أَشْتَهِي
 بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهَذِهِ الْقَامَةِ وَاللَّوْنِ وَالصَّدرِ وَالْوَرِكِ وَالْأَخْفَافِ .
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ ظَهْرِي بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أُحِبُّهُ . أَتَبِعُهُ . فَقَالَ :
 نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : فَإِنِّي قَدْ بَدَلْتُ لَكَ بِهِ مِائَةَ دِينَارٍ . وَكَانَ
 الْجَمَلُ يُسَاوِي عَشْرَةَ دَنَانِيرَ . فَطَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَسَرَّ وَأَتَمَّحَ وَبَانَ
 السُّرُورُ وَالطَّمَعُ فِي وَجْهِهِ . فَأَقْبَلَ أَبَانَ عَلَى أَشْعَبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ
 يَا أَشْعَبُ إِنَّ خَالِي هَذَا مِنْ أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ (يَعْنِي الطَّمَعَ) فَأَوْسَعَ لَهُ مِمَّا
 عِنْدَكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا أَبِي أَنْتَ وَزِيَادَةٌ . فَقَالَ لَهُ أَبَانَ : يَا خَالِي إِنَّمَا
 زِدْتُكَ فِي الثَّمَنِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَإِنَّمَا الْجَمَلُ يُسَاوِي سِتِينَ دِينَارًا . وَلَكِنْ
 بَدَلْتُ لَكَ مِائَةَ لِقْلَةٍ النَّقْدِ عِنْدَنَا . وَإِنِّي أُعْطِيكَ بِهِ عُرُوضًا يُسَاوِي
 مِائَةً . فَرَادَ طَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَاسْرَ
 إِلَى أَشْعَبٍ فَأَخْرَجَ شَيْئًا مَعْطَى . فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجْ مَا جِئْتَ بِهِ . فَأَخْرَجَ
 جَرْدَ عِمَامَةٍ خَزَّ خَلْقُ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَقَالَ لَهُ : قَوْمَهَا بَا أَشْعَبُ .
 فَقَالَ لَهُ : عِمَامَةُ الْأَمِيرِ تُعْرَفُ بِهِ وَيَشْهَدُ فِيهَا الْأَعْيَادُ وَالْجَمْعُ وَيُلْقَى فِيهَا
 الْحُلَّةَاءُ . خُمُسُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لِابْنِ زَبَّجٍ :
 أَتَيْتُ قِيَّتَهَا . فَكُتِبَ ذَلِكَ وَوُضِعَتِ الْعِمَامَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ .

الْإِنْكَارِ . فَلَمْ يَجِدُوا فِي بِلَادِ الدُّنْيَا مَا يَنْفِي لَهُ مُرَادَهُ مِنَ الْبَرِّ وَلَوْ
كَانَتْ الرِّمَالُ مِنْ أَمْدَادِهِ
(للقليوبي)

المريض والخنفساء.

٣٧٢ حَكِي الْقَزْوِينِي أَنَّ رَجُلًا رَأَى خُنْفَسَاءَ فَقَالَ : مَاذَا يُرِيدُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ حَاقِي هَذِهِ . أَحْسَنَ شَكْلَهَا أَوْ طِيبَ رِيحِهَا . فَأَتَتْ آلَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِقَرْحَةٍ عَجَزَ عَنْهَا الْأَطِبَّاءُ حَتَّى تَرَكَ عِلَاجَهَا . فَسَمِعَ يَوْمًا صَوْتَ
طَیِّبٍ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ يُنَادِي فِي الدَّرَبِ . فَقَالَ : هَاتُوهُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي
أَمْرِي . فَقَالُوا : وَمَا تَصْنَعُ بِطَرُوقِي . وَقَدْ عَجَزَ عَنْكَ حُدَاقُ الْأَطِبَّاءِ .
فَقَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنْهُ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ وَرَأَى الْقَرْحَةَ اسْتَدْعَى بَخُنْفَسَاءَ .
فَصَحَّكَ الْحَاضِرُونَ مِنْهُ . فَتَذَكَّرَ الْعَلِيلُ الْقَوْلَ الَّذِي سَبَقَ مِنْهُ . فَقَالَ :
أَحْضَرُوا لَهُ مَا طَلَبَ فَإِنَّ الرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . فَأَحْضَرُوا هَا لَهُ
فَأَحْرَقَهَا وَذَرَّ رِمَادَهَا عَلَى قَرْحَتِهِ فَبَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ
لِلْحَاضِرِينَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُعْرِفَنِي أَنَّ أَحْسَنَ الْخُلُوقَاتِ
أَعَزُّ الْأَدْوِيَةِ
(الدميري)

النعمان وسنمار

٣٧٣ بَنَى النُّعْمَانُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ قَصْرًا بِظَاهِرِ الْحِيرَةِ فِي سِتِّينَ
سَنَةً اسْمُهُ الْخُورْتَقُ . بَنَاهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ سِنِمَارُ . وَكَانَ
يَبْنِي عَلَى وَضْعٍ عَجِيبٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنْ يَبْنِيَ مِثْلَهُ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ
بَنَائِهِ كَانَ قَصْرًا عَجِيبًا لَمْ يَكُنْ لِلْمُلُوكِ مِثْلَهُ . فَفَرَّحَ بِهِ النُّعْمَانُ . فَقَالَ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي النُّوَادِرِ

٣٧٠ أَمْسِكَ عَلَى الثَّابِتَةِ الْجُعْدِيِّ الشَّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَنْطِقْ .
ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَعْدَةَ غَزَوْا قَوْمًا فَظَفَرُوا فَلَمَّا سَمِعَ فَرَحَ وَطَرَبَ فَاسْتَحَبَّهُ
الشَّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : بِحَيَاتِكَ لَنَحْنُ
بِإِطْلَاقِ لِسَانِ شَاعِرِنَا أَسْرُنَا مِنَ الظَّفَرِ بَعْدُونَا (لبهاء الدين)

وضع الشطرنج

٣٧١ لَمَّا أَفْتَحَرَ مُلُوكُ فَارِسَ عَلَى مُلُوكِ الْهِنْدِ بَوَضَعَ الْمَلِكُ زَرْدَشِيرَ
لِنَفْسِهِ الزَّرْدَ وَضَعَ صِصَّهُ الْحَكِيمُ الشَّطْرَنْجَ وَعَرْضَهَا عَلَى الْمَلِكِ وَأَظْهَرَ
خَفِيَّ أَمْرِهَا وَمَكْنُونِ سِرِّهَا . فَقَالَ لَهُ : اقْتَرَحْ مَا تَشْتَهِي . قَالَ : أَنْ
تَضَعَ حَبَّةً مِنَ الْبُرِّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَلَا تَرَالِ تَضَاعِفُهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ
إِلَى آخِرِ الْبُيُوتِ فَمَهْمَا بَلَغَ نُعْطِيَنِي . فَاسْتَخَفَّ الْمَلِكُ عَقْلَهُ وَأَحْتَقَرَ مَا
طَلَبَ وَقَالَ لَهُ : كُنْتُ أَظُنُّكَ بِرَجَاحَةِ عَقْلِكَ وَتَوَقُّدِ فِكْرِكَ تَطَالُبُ
شَيْئًا نَفِيسًا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمَّا أَمَرْتَنِي بِالتَّمَنِّي لَمْ يَخْطُرْ
بِبَالِي غَيْرُ ذَلِكَ وَلَا سَبِيلٌ إِلَى الرَّجُوعِ عَنْهُ . فَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَا سَأَلَ
وَتَقَدَّمَ بِأَحْضَارِ الْحُسَابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِسَابِ ذَلِكَ . فَأَعْمَلُوا فِي بُلُوغِ
قَصْدِهِ مَطَايَا الْأَفْكَارِ . حَتَّى لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ صِدْقِهِ فَعَرَفُوهُ بَعْدَ

فِي نَفْسِهِ : إِنْ لَمْ أَحْتَلْ عَلَى هَذَا الْبَدَوِيِّ فِي قَتْلِهِ أَخَذَ بِقَلْبِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْعَدَنِي مِنْهُ . فَصَادَ يَتَلَطَّفُ بِالْبَدَوِيِّ حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ
 فَطَبَّخَ لَهُ طَعَامًا وَكَثُرَ فِيهِ مِنَ الثُّومِ . فَلَمَّا أَكَلَ الْبَدَوِيُّ مِنْهُ قَالَ
 لَهُ : أَحْذَرِ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَشُمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ الثُّومِ
 فَتَأْذَى مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ رَائِحَتَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ فَخَلَا بِهِ . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْبَدَوِيَّ يَقُولُ عَنْكَ
 لِلنَّاسِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَجَرَّ وَهَلَكَتْ مِنْ رَائِحَتِهِ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَ
 الْبَدَوِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كَمَّهُ عَلَى فِيهِ خَافَةً أَنْ يَشُمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ
 الثُّومِ . فَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْتُرُ فِيهِ كَمَّهُ قَالَ : إِنَّ الَّذِي
 قَالَهُ الْوَزِيرُ عَنْ هَذَا الْبَدَوِيِّ صَحِيحٌ . فَكَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا إِلَى
 بَعْضِ عُمَّالِهِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَأَضْرِبْ رَقَبَةَ
 حَامِلِهِ . ثُمَّ دَعَا بِالْبَدَوِيِّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَقَالَ لَهُ : امْضُ بِهِ إِلَى
 فُلَانٍ وَأَتِنِي بِالْجَوَابِ . فَامْتَثَلَ الْبَدَوِيُّ مَا رَسَمَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخَذَ
 الْكِتَابَ وَخَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ بِالْبَابِ إِذْ لَقِيَ الْوَزِيرَ فَقَالَ :
 أَيْنَ تَرِيدُ . قَالَ : أَتَوَجَّهُ بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ فُلَانٍ . فَقَالَ
 الْوَزِيرُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الْبَدَوِيَّ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ مَالٌ
 جَزِيلٌ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَدَوِيُّ مَا تَقُولُ فَيَنْ يُرِيحُكَ مِنْ هَذَا التَّعَبِ
 الَّذِي يُلْحَمُكَ فِي سَفَرِكَ وَيُعْطِيكَ الْفَنَى دِينَارٍ . فَقَالَ : أَنْتَ الْكَبِيرُ
 وَأَنْتَ الْحَاكِمُ وَمَنْ مَرَأَتْهُ مِنَ الرَّأْيِ أَفْعَلَ . قَالَ : أَعْطِنِي الْكِتَابَ .

لَهُ سِنِمَارٌ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَوْضِعَ آجِرَةٍ لَوْ زَالَتْ لَسَقَطَ الْقَصْرُ كُلُّهُ .
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : هَلْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . قَالَ : لَا . فَأَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ
مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ إِلَى أَسْفَلِهِ فَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ . فَأَشْتَهَرَ ذَلِكَ حَتَّى
ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فَقَالَ الشَّاعِرُ :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَصِهِ الْبُلْبَانِ سِتِّينَ حِجَّةً يَمْلُ عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكَبِ
فَلَمَّا رَأَى الْبُلْبَانُ تَمَّ شُهُوقُهُ وَاضَّ كَمِثْلِ الطَّوْدِ وَالشَّامِخِ الصَّعْبِ
وَوَظَنَ سِنِمَارٌ بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
فَقَالَ أَقْذِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ فَبُذِلَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْخُطْبِ
فَصَعِدَ النُّعْمَانُ قَلْبَهُ وَنَظَرَ إِلَى الْبَحْرِ نُجَاهَهُ وَإِلَى الْبَرِّ خَلْفَهُ
وَالْبَسَاتِينَ حَوْلَهُ . وَرَأَى الظُّبْيَ وَالْحَوْتَ وَالتَّخْلَ فَقَالَ لَوْزِيرِهِ : مَا
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْبِنَاءِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : لَهُ عَيْبٌ عَظِيمٌ .
قَالَ : وَمَا ذَلِكَ . قَالَ : إِنَّهُ غَيْرُ بَاقٍ . قَالَ النُّعْمَانُ : وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي
هُوَ بَاقٍ . قَالَ : مُلْكُ الْآخِرَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ . قَالَ :
بِتَرْكِ الدُّنْيَا . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي طَلَبِ ذَلِكَ . قَالَ :
نَعَمْ . فَتَرَكَ الْمُلْكَ وَتَرَهَّدَ هُوَ وَوَزِيرُهُ

(للقرويني)

الوزير الحاسد

٣٧٤ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ فَقَرَّبَهُ وَأَذَنَاهُ
وَجَمَلُهُ نَدِيمُهُ . وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَاسِدٌ فَغَارَ مِنَ الْبُدُويِّ وَحَسَدَهُ وَقَالَ

أَخِرُ النَّهَارِ فَقَالَ يَا غُلَامَانُ أَدْرَكُونِي بِالْثُرْدَةِ فَلَمَّا وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
 أَوَمَّتِ الْخِزْسَاءُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْهَمْ مَا تَقُولُ . وَبَجَّ الْكَلْبُ وَصَاحَ فَلَمْ
 يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَبَجَّ فِي الصَّبَاحِ فَلَمْ يَعْلَمْ مُرَادَهُ . فَقَالَ لِلْغُلَامَانِ . تَحْوَهُ
 عَنِّي . وَمَا يَدُهُ إِلَى اللَّبَنِ بَعْدَ مَا رَمَى إِلَى الْكَلْبِ مَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ .
 فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْكَلْبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ اللُّقْمَةَ مِنَ اللَّبَنِ فِي فَمِهِ طَفَرَ إِلَى وَسْطِ الْمُنَادَةِ
 وَأَدْخَلَ فَمَهُ وَكَرَعَ مِنَ اللَّبَنِ وَسَقَطَ مَيْتًا وَتَثَرَّ لَحْمُهُ وَبَقِيَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا
 مِنَ الْكَلْبِ وَمِنْ فِعْلِهِ . فَأَوَمَّتِ الْخِزْسَاءُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوا مُرَادَهَا وَمَا
 صَنَعَ الْكَلْبُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : لِحَاشِيَّتِهِ هَذَا الْكَلْبُ قَدْ فَدَانِي بِنَفْسِهِ
 وَقَدْ وَجَبَ أَنْ نُكَافِيَهُ . وَمَا يَحْمِلُهُ وَيَدْفِنُهُ غَيْرِي . فَدَفَنَهُ وَبَنَى
 عَلَيْهِ قُبَّةً فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ

(للحموي)

ابراهيم الخواص والسبع

٣٧٦ حَكَى إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُ قَالَ : فِي بَعْضِ أَسْفَارِي أَنْتَهَيْتُ إِلَى
 شَجَرَةٍ قَعَدْتُ تَحْتَهَا فَإِذَا سَبْعُ هَائِلٍ يَأْتِي تَحْوِي . فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَأَيْتُهُ
 يَمْزُجُ . فَإِذَا يَدُهُ مُسْتَفْحَةٌ وَفِيهَا فَتْحٌ فَهَمَّهِمْ وَتَرَكَهَا فِي حُجْرِي . وَعَرَفْتُ
 أَنَّهُ يَقُولُ : عَاجِلُ هَذِهِ . فَأَخَذْتُ خَشَبَةً فَفَتَحْتُ بِهَا الْفَتْحَ ثُمَّ شَدَدْتُهَا
 بِخِرْقَةٍ خَرَقْتُهَا مِنْ ثَوْبِي . فَقَابَ ثُمَّ جَاءَ فِي وَمَعَهُ سِبْلَانٌ يُبْصِرُ
 وَرَغِيفٌ تَرَكَّهُ عِنْدِي وَمَشَى

(للقرظيني)

فَدَقَعَهُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ الْوَزِيرُ أَلْفِي دِينَارٍ وَسَارَ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَكَّانِ
الَّذِي هُوَ قَاصِدُهُ . فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ الْكِتَابَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَةِ
الْوَزِيرِ . فَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَّرَ الْخَلِيفَةُ فِي أَمْرِ الْبَدَوِيِّ وَسَأَلَ عَنِ الْوَزِيرِ
فَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَا أَيَّامًا مَظْهَرَ وَأَنَّ الْبَدَوِيَّ بِالْمَدِينَةِ مُقِيمٌ فَتَجَبَّبَ مِنْ ذَلِكَ
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْبَدَوِيِّ فَحَضَرَ . فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ الَّتِي
أَتَتْ لَهُ مَعَ الْوَزِيرِ مِنْ أَوْلِيَّهَا إِلَى آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قُلْتَ عَنِّي
لِلنَّاسِ إِنِّي أَبْخَرُ . فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِمَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُ وَحَسَدًا . وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ
دَخَلَ بِهِ بَيْتَهُ وَأَطْعَمَهُ الثُّومَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ :
قَاتِلِ اللَّهُ الْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ حَاجَّ عَلَى الْبَدَوِيِّ
وَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا وَرَاحَ الْوَزِيرُ بِحَسَدِهِ (للابشيهي)

كلبٌ جاد بنفسه

٣٧٥ كَانَ مَلَكٌ عَظِيمُ الشَّانِ يُحِبُّ التَّنَزُّهَ وَالصَّيْدَ . وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ
قَدْرَبَاهُ لَا يُفَارِقُهُ . فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مُنْتَزَعَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ
غُلَامَانِهِ : قُلْ لِلطَّبَّاخِ يُصْلِحْ لَنَا ثُرْدَةً بَلْبَنَ . فَجَاءُوا بِاللَّبَنِ إِلَى الطَّبَّاخِ
وَنَسِيَ أَنْ يُعْطِيَهُ بِشِيءٍ وَاشْتَغَلَ بِالطَّبْخِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ الشُّفُوقِ
أَفْعَى فَكَرَعَ فِي ذَلِكَ اللَّبَنِ وَنَفَثَ فِي الثُّرْدَةِ مِنْ سَمِّهِ . وَالْكَلْبُ رَابِضٌ
يَرَى ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى الْأَفْعَى . وَكَانَ هُنَاكَ جَارِيَةٌ
خَرَسَاءُ زَمَنِي قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ الْأَفْعَى . وَوَأَى الْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فِي

مُلُوكُهَا وَرَعِيَّتُهَا كَذَلِكَ حَتَّى تَنْصَرَ قُسْطَنْطِينُ وَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ النَّصَارَى
 فَتَنْصَرُوا عَنْ آخِرِهِمْ . وَبَيْنَ أُمَمِ النَّصَارَى (الْأَرْمَنُ) كَانُوا بِأَرْمِينِيَّةَ .
 وَقَاعِدَةُ مُلْكِهَا خِلَاطُ . وَلَمَّا مَلَكَ نَاغَمَا صَارُوا فِيهَا رَعِيَّةً . ثُمَّ تَغَلَّبُوا وَمَلَكَوا
 مِنَّا طَرْسُوسَ وَالْمَصِيصَةَ وَبِلَادَ سَيْسَ وَسَيْسَ مَدِينَةَ بَقْلَةَ حَصِينَةَ هِيَ
 كَرْبِي مُلْكُهُمْ فِي زَمَانِنَاهَذَا . وَمِنْهَا (الْكُرْجُ) بِلَادُهُمْ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ
 خِلَاطَ إِلَى الْخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ وَإِلَى نَحْوِ الشِّمَالِ . وَلَهُمْ جِبَالٌ
 مَنِيعَةٌ وَقِلَاعٌ حَصِينَةٌ . وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ . يَلِي مُلْكُهُمُ
 الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِالْوَرَاثَةِ . وَهُمْ خَلَقُوا كَثِيرٌ فِي صَلَاحِ التَّنَازُلِ الْيَوْمَ .
 وَمِنْهَا (الْجَرْكُسُ) عَلَى شَرْقِي بَحْرِ نِيطُسَ فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ
 غَالِبُهُمْ نَصَارَى . وَمِنْهَا (الرُّوسُ) لَهُمْ جَزَائِرٌ فِي بَحْرِ نِيطُسَ وَبَحْرِ
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَهُمْ بِلَادٌ شِمَالِي الْبَحْرِ . وَمِنْهَا (الْبُلْغَارُ) نِسْبَةٌ إِلَى
 مَدِينَةٍ يَسْكُونُهَا شِمَالِي نِيطُسَ كَانَ غَالِبُهُمْ نَصَارَى فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ .
 وَمِنْهَا (الْأَلَمَانُ) أَكْبَرُ أُمَمِ النَّصَارَى غَرْبِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى الشِّمَالِ
 جُنُودُهُمْ كَثِيرَةٌ . قَصَدَ مُلْكُهُمْ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلَةٍ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ
 أَيُّوبَ فَهَلَكَ هُوَ وَغَالِبُ عَسْكَرِهِ فِي الطَّرِيقِ . وَمِنْهَا (الْبَرْجَانُ) أُمَّةٌ
 بَلَّ أُمَمٌ طَائِعِيَّةٌ مُثَلَّثُونَ . بِلَادُهُمْ مُتَوَعِّلَةٌ فِي الشِّمَالِ . سِيرُهُمْ مُنْقَطِعَةٌ
 لِعَدِيهِمْ عَنَّا وَجَفَاءُ طِبَاعِهِمْ . وَمِنْهَا (الْفَرَنْجُ) أُمَمٌ أَصْلُهَا بِلَادُهُمْ
 فَرَنْجِيَّةٌ وَيُذَكَّرُ فَرَنْسَةَ جَوَارِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ شِمَالِيَّهَا يُقَالُ لِمُلْكِهِمْ
 الْفَرَنْسِيْسُ . قَصَدَ دِيَارَ مِصْرَ وَأَخَذَ دِمْيَاطَ . ثُمَّ أَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ

المطيب اسم الله

٣٧٧ كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الطَّرِيقِ وَرَقَةً
وَفِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ . وَقَدْ وَطِئَهَا الْأَقْدَامُ فَأَخَذَهَا وَاشْتَرَى
بِدِرَاهِمٍ كَانَتْ مَعَهُ غَالِيَةً . فَطَيَّبَ بِهَا الْوَرَقَةَ وَجَعَلَهَا فِي شِقِّ حَائِطٍ
فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : يَا بَشْرُ طَيِّبَتْ أَسْمِي لِأَطْيَبِنَ
اسْمِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَلَمَّا تَذَنَّبَ مِنْ نَوْمِهِ تَابَ (لابن خلكان)

الدواء الشافي

٣٧٨ قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ مَرَرْتُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى طَيْبٍ وَالْمَرْضَى
بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ لَهُمْ عِلَاجَهُمْ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : عَاجِلُ
مَرْضِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَتَأَمَّلَ فِي وَجْعِي سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : خُذْ عُرُوقَ الْفَقْرِ
وَوَرَقَ الصَّبْرِ مَعَ إِهْلِيلِجِ التَّوَاضُعِ . وَاجْمَعْ الْكُلَّ فِي إِنَاءٍ أَلْيَقِينَ
وَضُبَّ عَلَيْهِ مَاءَ الْحُشْيَةِ وَأَوْقِدْ تَحْتَهُ نَارَ الْحَزَنِ . ثُمَّ صَفِّهِ بِمَصْفَاةِ الْمُرَاقَبَةِ
فِي جَامِ الرِّضَا . وَأَمْزِجْهُ بِشَرَابِ التَّوَكُّلِ . وَتَنَاوَلْهُ بِكَفِّ الصِّدْقِ .
وَاشْرَبْهُ بِكَأْسِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَتَمَضَّضْ بَعْدَهُ بِمَاءِ الْوَرَعِ . وَاحْتَمِ عَنْ
الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ فَتَشْفَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . (لبهاء الدين العاملي)

ذكر الأمم التي دخلت في دين النصارى

٣٧٩ مِنْ الْأُمَمِ الْمُتَنَصِّرَةِ أُمَّةُ الرُّومِ . عَلَى كَثَرَتِهَا وَعِظَمِ مُلُوكِهَا
وَأَتْسَاعِ إِلَادِهَا . (وَمِنْ الْكَامِلِ وَغَيْرِهِ) أَنَّ الرُّومَ كَانَتْ تَدِينُ
بِإِثْنَيْنِ الصَّابَةِ وَيَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ . وَمَا زَالَتِ الرُّومُ

وَيَقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رِيَّاحِينَ يَقْطَعُهَا صَوَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ . وَهُوَ يُسْمِعُ وَيُفْهِمُ . وَإِذَا أَرَادَ الْإِنصِرَافَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ . ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَتَجَدَّ وَأَنْصَرَفَ . وَمِنْهُمْ (عِبَادُ النَّارِ الْأَكْنَوَاطِيَّةُ) . عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَخْفِرُوا وَأُخْدُوهُمْ مُرَبَّعًا وَيُوجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدْعُونَ طَعَامًا لَذِيذًا وَلَا تَوْبًا فَآخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عَطْرًا فَائِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا . وَحَرَّمُوا الْقَاءَ الْنُفُوسِ فِيهَا خِلَافًا لِطَائِفَةٍ أُخْرَى . وَمِنْهُمْ (الْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِالْفَلَكَ وَالنَّجْمِ . مُخَالَفُ طَرِيقَتِهِمْ مُتَّبِعِي الرُّومِ وَالنَّجْمِ . لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ بِاتِّصَالِ الثَّوَابِ دُونَ السَّيَّارَاتِ . يُعْظَمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ : هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ . وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ عَنِ الْمُحْسُوسَاتِ لِيَتَجَرَّدَ الْفِكْرُ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ . فَرُبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمَغِيبَاتِ

(لِلشَّهْرِسْتَانِي بِاخْتِصَارٍ)

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدِ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ . فَيَخْرُجُ أَهْلُ الْبَلَدِ جَمِيعًا مِنْ شَبْعٍ وَشَابٍ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى صَحْرَاءَ خَارِجِ الْبَلَدِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ . فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا يَصْعَدُ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْعِيدَ السَّابِقَ قَبْلَ هَذَا . فَرُبَّمَا جَاءَ السَّيِّحُ الْهَرَمُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوْ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ تَرَبُّصٌ مِنَ الْكِبَرِ . فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا وَرُبَّمَا لَا يَجِيءُ أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذَلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ . فَمَنْ صَعِدَ عَلَى ذَلِكَ

وَأَسْتَفْقَدُوا دِمَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ ابْنِ الْكَامِلِ .
 وَقَدْ غَلَبَ الْفَرَنْجُ عَلَى مُعْظَمِ الْأَنْدَلُسِ . وَلَهُمْ فِي بَحْرِ الرُّومِ جَزَائِرُ
 مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صَقِيلِيَّةٍ وَقَبْرُسٍ وَأَقْرِيطَرِ . وَمِنْهُمْ (الْجُنُودِيَّةُ) نِسْبَةً
 إِلَى جَنُودِ مَدِينَةِ عَظِيمَةٍ . وَبِلَادُهُمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّةُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى
 بَحْرِ الرُّومِ . وَمِنْهُمْ (الْبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ الْبُنْدُوقِيَّةُ عَلَى خَلِجٍ مِنْ بَحْرِ
 الرُّومِ تَمْتَدُّ لِحَوْسَبْعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ الشِّمَالِ وَالْغَرْبِ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ
 مِنْ جَنُودَ فِي الْبَرِّ . بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَّةُ أَيَّامٍ (لَاِبْنُ الْوَرْدِيِّ)

ذكر امم الهند وتقاسيمهم وعوائدهم

٣٨٠ أُمُّ الْهِنْدِ فِرْقٌ مِنْهُمْ (الْبَاسَوِيَّةُ) . زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا
 رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ أَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِ الثَّارِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِالطِّيبِ
 وَالذَّبَائِحِ . وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقَتْلِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ النَّارِ . وَسَنَ لَهُمْ أَنْ
 يَتَوَسَّحُوا بِحَيْطٍ يَفْقَدُونَهُ مِنْ مَنَاسِكِهِمْ الْأَيَّامِ إِلَى تَحْتِ شَمَائِلِهِمْ .
 وَعَظَّمُ الْبَقَرِ وَأَمَرَ بِالسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا . وَمِنْهُمْ (الْبُودِيَّةُ)
 يَقُولُونَ : الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صَنَعَ الْخَالِقُ فَلَا يَمَافُونَ شَيْئًا . وَيَتَقَلَّدُونَ
 بَعْظَامَ النَّاسِ وَيَتَمَسَّحُونَ رُؤُوسَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ بِالرَّمَادِ . وَمِنْهُمْ
 (عَبْدَةُ الْتَمَسِ وَعَبْدَةُ الْقَمَرِ) . وَمِنْهُمْ (عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ) وَهُمْ
 كَالصَّابِنَةِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ . وَأَشْكَالُ الْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادُ الْمَاءِ الْجَلْهَةِ كِنْدِيَّةُ) . يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَاءَ مَلِكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ
 شَيْءٍ . إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ عِبَادَةَ الْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ الْمَاءَ إِلَى وَسْطِهِ .

وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّنُوجُ دَائِرًا فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ احْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو
 قَرَابَتِهِ . وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ الرِّيحَانِ يَمْلَأُ جَمْرًا
 وَيَصُبُّ عَلَيْهِ السَّنْدْرُسُ وَهُوَ مَعَ النَّارِ كَالنَّفْطِ . وَيَمْشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ
 وَرَوَانِحُ لَحْمٍ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مَشْيَتِهِ . وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ
 جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ النَّارَ فَيُثَبِّ فِيهَا فَيَصِيرُ رَمَادًا . فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ
 حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ النَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ الْخَنْبَرَ
 فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فَوَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ . ثُمَّ ادْخَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَمَقَّبَضَ
 عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ . ثُمَّ قَطَعَ بِالْخَنْبَرِ مِنْهَا
 قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ أَسْتِهَانَةً بِالْمَوْتِ . وَصَبَرَ عَلَى الْأَلَمِ ثُمَّ رَجَعَ
 بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ . وَمِنْ عَوَانِدِهِمُ الْقِمَارُ بِالْذِّبْكَ وَاللَّزْدِ
 وَالْذِّبْكَ عَنْدهُمْ عَظِيمَةُ الْأَجْسَامِ وَافِرَةُ الصَّاصِي . يَسْتَعْمَلُونَ لَهَا مِنَ
 الْخَنَاجِرِ الصِّغَارِ الْمَرْهَفَةِ مَا يُشْدُّ عَلَى صِيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ . وَقِمَارُهُمْ فِي
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَرْضِيِّينَ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَيَبْلُغُ الدِّيَّكُ
 الْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ الذَّهَبِ .

• (كتاب سلسلة التواريخ)

• نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ إِنْ عَاصِمَةَ مَلِكِ السُّودَانِ تُسَمَّى بِالْغَابَةِ وَيَكْتَنِفُهَا الْحَدَائِقُ
 وَالْمَسَاكِنُ وَبَنَاءُ بُيُوتِهِمْ بِالْحِجَارَةِ وَخَشَبِ السَّنْطِ . وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ
 وَقِبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذَلِكَ كُلِّهِ حَائِطٌ كَالسُّورِ . وَحَوْلَ مَدِينَةِ الْمَلِكِ
 غَابَاتٌ وَشَعْرَاءُ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ . وَفِيهَا

أَتَجَرَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ : قَدْ حَضَرْتُ الْعَيْدَ السَّابِقَ وَأَنَا طِفْلٌ
صَغِيرٌ وَكَانَ مَلِكُنَا فَلَانًا وَوَزِيرُنَا فَلَانًا . ثُمَّ يَصِفُ الْأُمَّةَ السَّابِقَةَ مِنْ
ذَلِكَ الْقَرْنِ كَيْفَ طَحَنَهُمُ الْمَوْتُ وَأَهْلَكَهُمُ الْبَلَاءُ وَصَارُوا تَحْتَ الثَّرَى .
ثُمَّ يَقُومُ خُطْبَتَهُمْ فَيَعِظُ النَّاسَ وَيَذَكِّرُهُمُ بِالْمَوْتِ وَغُرُورِ الدُّنْيَا
وَتَقْلُقِهَا بِأَهْلِهَا . فَيَكْثُرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْبُكَاءُ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّاسُّفُ
عَلَى صُدُورِ الذُّنُوبِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذَهَابِ الْعُمُرِ . ثُمَّ يَتُوبُونَ وَيَكْثُرُونَ
الْصَّدَقَاتِ وَيَخْرُجُونَ مِنَ التَّيَبَاتِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ)

٣٨٢ وَمِنْ عَوَانِدِهِمْ فِي مَمْلَكَةِ بَلَهْرَا وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ مَنْ
يُحْرِقُ نَفْسَهُ بِالنَّارِ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِالتَّنَاسُخِ وَتَمَكُّنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ
وَزَوَالِ الشَّكِّ فِيهِ عَنْهُمْ . وَفِي مُلُوكِهِمْ مَنْ إِذَا قَعَدَ لِلْمَلِكِ طَبِخَ لَهُ أَرْزًا
ثُمَّ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى وَرَقِ الْمُوزِ . وَيَتَدَبُّ مِنْ أَصْحَابِهِ الثَّلَاثِمِائَةَ
وَالْأَرْبَعِمِائَةَ بِاخْتِيَارِهِمْ لَا أَنْفُسَهُمْ لَا بِإِكْرَاهٍ مِنَ الْمَلِكِ لَهُمْ . فَيَقْطِعُهُمُ
الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ الْأَرْزِ بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَيَتَقَرَّبُ رَجُلٌ رَجُلًا
مِنْهُمْ فَيَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا فَيَأْكُلُهُ . فَيَلْزِمُ كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذَا
الْأَرْزِ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ أَوْ قُتِلَ أَنْ يُحْرِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّارِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ . لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ وَلَا
أَثَرٌ . وَإِذَا عَزَمَ الرَّجُلُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهِ صَارَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَاسْتَأْذَنَ .
ثُمَّ دَارَ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ أَجَّتَ لَهُ النَّارُ فِي حَطَبٍ جَزَلٍ كَثِيرٍ . عَلَيْهَا
رِجَالٌ يَقُومُونَ بِإِقَادِهَا حَتَّى تَصِيرَ كَالْعَقِيقِ حَرَارَةً وَالتَّهَابَا . ثُمَّ يَنْدُو

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ الْفُرْشِ وَالْوِطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ
حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَتَيْتُهُ الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا
الْأَطْعَمَةَ وَالْأَشْرَبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رَجُلًا يَمِينُ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْخَصِرَ وَالْأَمْتَعَةَ .
ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدَمُوا قَوْفَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجَلْبِلِ الصَّخْمِ . ثُمَّ
يُخْنَدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ
يَذُبُّونَ لِمَوْتَاهُمْ الذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ الْحُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خصت به كل بلدة

٣٨٤ يُقَالُ : أَفَاعِي سِحْجِسْتَان . وَتَعَابِينُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلُ .
وَأَوْرُثُ غِيلَةٍ . وَيُقَالُ : بُرُودُ الْيَمَنِ . وَقُبَاطِي مِصْرَ . وَدِيْبَاجُ الرُّومِ . وَخَزُّ
السُّوسِ . وَحَرِيرُ الصِّينِ . وَمِلْحُ مَرْوَ . وَأَكْسِيَّةُ فَارِسَ . وَحَلَلُ
أَصْبَهَانَ . وَسَقْلَاطُونِي بَغْدَادَ . وَعَمَانِمُ الْأَبْلَةِ . وَيُقَالُ : سِنْجَابُ خِرْخِيزَ .
وَسُمُورُ بُلْغَارَ . وَتَعَالِبُ الْحَزَرِ . وَفَنَكُ كَاشْغَرِ . وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ . وَفَاقِمُ
التَّغْرِغُزِ . وَيُقَالُ : عَمَاقُ الْبَادِيَةِ . وَتَجَابِ الْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ .
وَبَرَاذِينُ طَخَارِسْتَانَ . وَيُقَالُ بَرْدَعَةٌ . وَيُقَالُ : سَكْرُ الْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ
أَصْفَهَانَ . وَقِصْبُ مِصْرَ . وَدِيسُ أَرْجَانَ . وَرَطْبُ الْعِرَاقِ . وَغَنَابُ
بَرْجَانَ . وَثَمْرُ كِرْمَانَ . وَاجَاصُ بُسْتِ . وَسَفَرَجُلُ نَيْسَابُورَ . وَتَفَاحُ
الشَّامِ . وَمِشْمِشُ طُوسَ . وَكُمَثْرَى نِهَازَنْدَ . وَنَارَنْجُ الْبَصْرَةِ . وَفَشُوشُ

دَكَاكِيرُهُمْ وَقُبُورُ مُلُوكِهِمْ . وَلِتِلْكَ أَلْفَابَاتِ حَرَسُ وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا
 دُخُولَهَا وَلَا مَعْرِفَةَ مَا فِيهَا . وَهُنَاكَ سُجُونُ الْمَلِكِ فَإِذَا سَجِنَ فِيهَا أَحَدًا
 انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ خَبَرُهُ . وَتَرَاجِمَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ صَاحِبُ
 بَيْتِ مَالِهِ وَكَثَرُ وَزَرَانِهِ . وَلَا يَلْبَسُ الْخِطَّ مِنْ أَهْلِ دِينِ الْمَلِكِ غَيْرُهُ
 وَغَيْرُ وَلِيِّ عَهْدِهِ . وَيَلْبَسُ سَائِرُ النَّاسِ مَلَا حِفَ الْفُطْنِ وَالْحَرِيرِ
 وَالذَّبِيجِ عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِمْ . وَهُمْ أَجْمَعُ يُخْلِقُونَ لِحَاظِهِمْ . وَمِلْكُهُمْ يَتَحَلَّى
 بِحُلِيِّ النِّسَاءِ فِي الْعُنُقِ وَالذَّرَاعَيْنِ . وَيَجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ الطَّرَاطِيرَ الْمَذْهَبَةَ
 عَلَيْهَا عِمَامَةُ الْفُطْنِ الرَّفِيعَةِ . وَهُوَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَالْمُظَالِمِ فِي قُبَّةٍ .
 وَيَكُونُ حِوَالِي الْقُبَّةِ عَشْرَةُ أَفْرَاسٍ بَنِيَابُ مَذْهَبَةٍ . وَوَرَاءَ الْمَلِكِ
 عَشْرَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَحْمِلُونَ الْحُجَفَ وَالسُّيُوفَ الْمَحَلَّةَ بِالذَّهَبِ . وَعَنْ
 يَمِينِهِ أَوْلَادُ مُلُوكٍ بَلَدِهِ قَدْ ضَفَرُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الذَّهَبَ وَعَلَانِيَةً
 أَلْيَابُ الرَّفِيعَةِ . وَوَالِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ جَالِسٌ فِي الْأَرْضِ
 وَحِوَالِيهِ أَوْلُزَرَاءُ . وَعَلَى بَابِ الْقُبَّةِ كِلَابٌ مَنْسُوبَةٌ لَا تَكَادُ تَفَارِقُ
 مَوْضِعَ الْمَلِكِ تَحْرُسُهُ . فِي أَغْنَاقِهَا سَوَاجِيرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَكُونُ فِي
 السَّاجُورِ عَدَدُ رُمَانَاتِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ . وَهُمْ يُنْذِرُونَ بِجُلُوسِهِ بِطَبَلٍ
 وَهُوَ خَشَبَةٌ طَوِيلَةٌ مَنْقُورَةٌ فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ . فَإِذَا دَنَا أَهْلُ دِينِهِ مِنْهُ
 جَسُوا عَلَى رُكْبَتِهِمْ وَنَثَرُوا التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَتَلَاكُ تَحِيَّتُهُمْ لَهُ .
 وَدِيَارَتُهُمْ الْحُجُوسِيَّةُ وَعِبَادَةُ الدَّكَاكِيرِ وَإِذَا مَاتَ مِلْكُهُمْ عَقَدُوا لَهُ
 قُبَّةً عَظِيمَةً مِنْ خَشَبِ السَّاجِ وَوَضَعُوهَا فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ . ثُمَّ اتَّوَابَهُ

٣٨٥ حَدَّثَ حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ
عَقَقْتُ قَدْ رَبَّيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ . فَسَرَقَ خَاتَمَ يَاقُوتٍ
كَانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ
غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي
دَارِنَا إِذْ أَبْصَرْتُ الْعَقَقَ قَدْ نَبَشَ تَرَابًا . فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ مِنْهُ وَلَعِبَ
بِهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ . فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسَرَّ بِذَلِكَ
وَقَالَ يَهْجُو الْعَقَقَ :

الأصهباني صاحب الأغاني في المحاضرة . أبو معشر في النجوم . الرازي في الطب . الفضل بن
يحيى في الجود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سعة العبارة . ابن القريّة في البلاغة .
الجاحظ في الأدب والبيان . الحريري في المقامات . البديع الحمّادي في الحفظ . ابو نواس في
المطاييب والهزل . ابن الججاج في تحف الألفاظ . المتني في الحكم والأمثال شعراً . الرّبعشري
في تعاويذ العربية . الأسدي في الجدل . جرير في العجاء الخبيث . حماد الراوية في شعر العرب .
معاوية في الحلم . المأمون في حب العفو . عمرو بن العاص في الدّهاء . الوليد في شرب الخمر .
ابو موسى الأشعري في سلامة الباطن . عطاء السّلي في الخوف من الله . ابن البوّاب في الكتابة .
القاضي الفاضل في الترسل . العماد الكاتب في الحيناس . ابن الجوزي في الوعظ . أنسب في
الطبع . ابو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء . ومعرفته وتفسيره . حذّبن بن اسحاق في ترجمة
اليوناني الى العربي . ثابت بن قرة في تهذيب ما نقل من الرياض الى العربي . ابن سينا في الفلسفة
وعلم الأوائل . الإمام فخر الدين في الاطلاع على العلوم . السيف الأمدي في التحقيق . الصبر
انطوس في الجسطي . ابن الهيثم في الرياضي . نجم الدين الكاتبي في المنطق . ابو العلاء المعري في
الاطلاع على اللغة . أبو العيّن في الأجوبة المسكّنة . مزّيد في النجل القاضي احمد بن ابي دؤاد في
المروءة وحسن التفاضل . ابن المعتز في التشبيه . ابن الرومي في النظم . الصولي في الشطرنج . ابو
محمد الغزالي في الجمع بين المنقول والمقول . ابو الوليد بن رشد في تفسير كتب الاقدمين
الفلسفة والطب . يحيى الدين بن عربي في التصوف (لهاه الدين)

هَرَاةَ . وَأُتْرُجُ طَبْرِسْتَانَ . وَتَيْنُ حُلَوَانَ . وَعَنْبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ الْيَمَنِ .
وَوَزْدُ جُورَ . وَتِيلُوفُ شِرْوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَّ . وَتَمْرُ حَنْئَا مَكَّةَ ^(١) . وَيُقَالُ :
طَوَاعِينُ الشَّامِ . وَطَحَالُ النُّجَرَيْنِ . وَحُمَى خَيْرَ . وَدَمَامِلُ الْجَزِيرَةِ .
وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبِرْسَامُ الْعِرَاقِ . وَقَرُوحُ بَلْخَ . وَالنَّارُ
الْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ : شِتَاءُ أَرْمِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ .
وَزَلْزَالُ الدَّيْلِ . وَيُقَالُ : شُقْرَةُ الرُّومِ . وَسَوَادُ الزَّيْجِ . وَغَلْظُ التُّرْكِ .
وَجَفَاءُ الْخُتْلِ . وَدَمَامَةُ الصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقِصْرُ يَأْجُوجَ . وَطُولُ
مَاجُوجَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبِلَادَةُ الشَّامِ . وَحَمَاقَةُ الْحَبَشِ . وَيُقَالُ :
رُطْبُ ثَوْتِ . وَرَمَانُ بَابَةَ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَتَمَكُّ كُنَيْهَكَ . وَلَبَنُ
مِهَاتَ . وَتَبَقُ بَشْنِسَ (*) (الكَنْزُ الْمَدْفُونُ)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَنَظَرْنَا أَنَّهُ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ كَلِمَةُ يَمِيدَ : تَمَرُ الْفَرْسِ وَحِثَاءُ مَعِيَّةُ

(٢) وَمِنْ قَبِيلِ تَغَرَّدَ الْبِلَادَ تَغَرَّدَ النَّاسَ . قَالَ الصَّنَدِيُّ : حِمَاةُ زُرُقُوا السَّعَادَةَ فِي أَسْبَابِ الْمَ
يَأْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ نَاهِيَتِهِمْ . عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَضَاءِ . أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْأَمَانَةِ . أَبُو ذَرٍّ فِي صِدْقِ
الْهَيْجَةِ . أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي الْقُرْآنِ . زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الْفَرَائِضِ . ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي التَّذَكِيرِ . وَهَبُ بْنُ مُنْبَهٍ فِي الْقِصَصِ . ابْنُ سَائِرٍ فِي التَّبَعِيرِ . نَافِعُ فِي
الْقِرَاءَةِ . أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ قِيَاسًا . ابْنُ اسْمَاعِيلَ فِي الْمَغَازِي . مُقَاتِلُ بْنُ الْأَوْيَلِ . ابْنُ الْكَلْبِيِّ
الضَّعِيفُ فِي النَّسَبِ . أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي الْأَخْبَارِ . مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ الطَّبْرِيِّ فِي عُلُومِ الْأَثَرِ .
الْخَلِيلُ فِي الْعَرُوضِ . الْفَضِيلُ بْنُ عِبَاضٍ فِي الْعِبَادَةِ . مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي الْعِلْمِ . الشَّافِعِيُّ فِي فِقْهِ
الْحَدِيثِ . أَبُو عُبَيْدَةَ فِي التَّرْيِيبِ . عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ فِي عِلَلِ الْحَدِيثِ . يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ .
أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي السُّنَنِ . الْجَعْفَرِيُّ فِي نَقْدِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . الْجَلْبُودِيُّ فِي الصُّوْفِ . مُحَمَّدُ بْنُ
نَصْرِ الْمُرُوزِيِّ فِي الْإِخْتِلَافِ . الْحِثَّانِيُّ فِي الْإِعْتِرَالِ . الْأَشْعَرِيُّ فِي الْإِكْلَامِ . أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ
فِي الدَّوَالِي . عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي رِجَالِ النَّاسِ إِلَيْهِ . ابْنُ مَنْدَهٍ فِي سَعَةِ الرِّحْلَةِ . أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي
سُرْعَةِ الْقِطَابَةِ . سَيِّدُوهُ فِي الْخَوِ . أَبُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ فِي الْكُذْبِ . أَبِياسٍ فِي التَّفَرُّسِ . عَبْدِ الْحَمِيدِ
فِي الْكِتَابَةِ . أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي عُلُوقِ الْهَمَّةِ وَالْخَزَمِ . الْمُوَصِّلِيُّ فِي النَّدَمِ فِي الْغِنَاءِ . أَبُو الْفَرَجِ

الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ . فَيَمَّا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشُّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ
 دَخَلُوا فِي مَصَلَّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَاجِدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَتَكَفَّئُونَ
 وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعُكُمْ أَنْ
 تَعْبُدُوا إِلَهَنَا فَاخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لِإِلَهِنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ . فَقَالَ
 مَكْسَلُمِنَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ : إِنَّ لَنَا إِلَهًا مَلَأَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَظَمَتُهُ
 لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا . أَمَّا الطَّوَاعِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا
 فَأَصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ فَنَزَعَ مِنْهُمْ الْمَلْبُوسَ الَّذِي
 كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ بُيُوسِ عَظَمَائِهِمْ وَقَالَ : إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي
 سَأُخْرِجُكُمْ وَأَفْرِغُ لَكُمْ وَأُنْجِزُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ
 أُعْجَلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَأَيْتُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانُكُمْ . فَلَا أُحِبُّ أَنْ
 أَهْلَكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ وَتَرَاجِعُونَ عَمَلَكُمْ . ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرِجُوا مِنْ عِنْدِهِ . وَأَنْطَلَقَ دِقْيَانُوسُ إِلَى مَدِينَةِ سَوَى
 مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ الْقَتِيلَةُ أَنَّ دِقْيَانُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ائْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ
 كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَرَدَّدُوا بِمَا
 بَقِيَ . ثُمَّ يَطْلُقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَمْكُنُونَ فِيهِ وَيَمْبُدُونَ
 اللَّهُ تَعَالَى . حَتَّى إِذَا جَاءَ دِقْيَانُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ
 مَا شَاءَ . فَلَمَّا جَنَّهِمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى الْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتَى
 مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَلِيحًا . فَكَانَ يَتَبَّعُ لَهُمْ طَعَامُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْفَعَقِ
طَوِيلُ الدَّنَابِ قَصِيرُ الْجَنَاحِ مَتَى مَا يَجِدْ غَفْلَةً يَسْرِقِ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زَيْتٍ
(الاعاني)

قصة اصحاب الكهف (سنة ٢٥١ للمسيح)

٣٨٦ كَانَ لِلرُّومِ مَلِكٌ اسْمُهُ دِفْيَاؤُسُ (دِسْيُوس) وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
وَيَذْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ . وَكَانَ يَنْزِلُ قُرَى الرُّومِ وَلَا يَتْرِكُ فِيهَا أَحَدًا مُؤْمِنًا
إِلَّا قَتَلَهُ حَتَّى يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . فَتَزَلَّ يَوْمًا مَدِينَةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَهِيَ
أَفْسُوسُ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا عَلَى دِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ . فَهَرَبَ
مِنْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ . وَكَانَ حِينَ قَدِيمِ الْمَدِينَةِ اتَّخَذَ شُرْطَةً مِنَ الْكُفَّارِ
مِنْ أَهْلِهَا يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي أَمَاكِنِهِمْ . فَمَنْ وَقَعَ بِهِ الْمَلِكُ خَيْرُهُ
بَيْنَ الْقَتْلِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . فَهُمْ مِنْ يَرْغَبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْبَى قِتْلَهُ .
ثُمَّ يُؤْمَرُ بِأَجْسَادِهِمْ أَنْ تَعْلَقَ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ
فَأَتَّفَقَ أَنَّ سَبْعَةَ فِتْيَانٍ مِنْ أَوْلَادِ الْبَطَارِقَةِ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ
خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى الْمُعَذِّبِينَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ . فَفَتَحَ اللَّهُ
أَبْصَارَهُمْ فَكَانُوا يَرَوْنَ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ هَبَطَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ
السَّمَاءِ وَعَرَّجُوا بِرُوحِهِ . فَأَمَّنُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : رَبَّنَا
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَّا مَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا .
اللَّهُمَّ اكْشِفْ عَنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْقِتَّةَ وَأَذِقْ الْبَلَاءَ وَالْغَمَّ عَنْ

أَلْبَابُ أذنَ اللهُ ذُو الْقُدْرَةِ وَالْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ مُجِيبِي الْمَوْتَى أَنْ يَقُومَ
 الْقِسْمَةُ . فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبَشِرَةً وَجُوهَهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ . فَسَلَّمَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . حَتَّى كَانُوا اسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
 يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلِهِمُ الَّتِي يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا . ثُمَّ قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ فَصَلَّوْا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ
 وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ . إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا . وَهُمْ يَرَوْنَ
 أَنَّ مَلَكَهُمْ دَقِيَّا نُوسَ الْجَبَّارِ فِي طَلَبِهِمْ . فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ
 مَكْسَلُمِينَ : يَا إِخْوَانَاهُ أَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوا اللهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ
 إِذَا دَعَاكُمْ عَدَا . ثُمَّ قَالَ تَمْلِيحًا : أَنْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاسْمَعْ مَا يَقُولُهُ
 النَّاسُ فِي شَأْنِنَا . فَتَلَطَّفَ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَابْتَغِ لَنَا طَعَامًا وَأَتِنَا
 بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا الْجُوعُ . فَأَخَذَ تَمْلِيحًا الدَّيَابِ الَّتِي كَانَ يَتَكَبَّرُ فِيهَا وَأَخَذَ
 وَرَقًا مِنْ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ الَّتِي ضَرَبَتْ بِطَاعِمِ دَقِيَّا نُوسَ .
 فَأَنْطَلَقَ تَمْلِيحًا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ الْكَهْفِ رَأَى الْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنْ
 بَابِ الْكَهْفِ . فَهَجَّبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ قَامَ يُبَالِي بِهَا . حَتَّى أَتَى بَابَ الْمَدِينَةِ
 مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنْ الطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ
 فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دَقِيَّا نُوسَ الْجَبَّارِ . وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دَقِيَّا نُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ
 هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيحًا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ
 فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ أَلْبَابِ عِلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَجِبَ
 وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا . فَظَرَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا مِنْ يَعْرِفُهُ .

مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ لَيْسَ ثِيَابَ الْمَسَاكِينِ
 وَاشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ . فَلَمَّ شَاوُا كَذَلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ
 أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ يَطْلُبُهُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ
 يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ . فَوَقَفَ
 الْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطْشًا . وَقَدْ تَوَقَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ وَفَاةَ النَّوْمِ . ثُمَّ عَمِدَ
 رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ الْقِتِيَّةِ وَأَسْمَاءَهُمْ
 وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقْعٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَا لَهُ فِي
 الْبَلْبَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثًا ثَلَاثَةً سَنَةً وَازْدَادُوا تِسْعًا وَفَقَدَهُمُ الْمَلِكُ وَقَوْمُهُمْ . قَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ
 نَاوُذُ سِيسُورُ . وَتَحَزَّبَ النَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْذِبُ . فَحَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا لِمَا رَأَى
 أَهْلَ الْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيُظْهِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ
 إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ
 ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَانَ الرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ الْقِتِيَّةَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ وَيُجْعَلَهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ
 حَظِيرَةً لِنَعْمِهِ . فَاسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَا يَنْزِعَانِ تِلْكَ الْأَخْجَارَ وَيَبْنِيَانِ
 بِهَا تِلْكَ الْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَّغَ مَا عَلَى فَمِ الْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

أَكْسَى بِي . فَدَنَا مِنَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ الطَّعَامَ فَأَخْرَجَ الْوَرَقَ الَّتِي كَانَتْ
 مَعَهُ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بَعْضُ هَذِهِ الْوَرَقِ طَعَامًا .
 فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ وَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ الْوَرَقِ وَنَفْسَهَا وَعَجِبَ مِنْهَا . ثُمَّ
 طَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَارَحُونَهَا بَيْنَهُمْ
 مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ
 وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَنْزًا خَيْرًا فِي الْأَرْضِ
 هَذَا زَمَانٌ وَدَهْرٌ طَوِيلٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ فَرَّقَ قَرَفًا
 شَدِيدًا وَحَزَنَ حُزْنًا عَظِيمًا . وَجَعَلَ يَرْتَعِدُ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ قَطَنُوا بِهِ
 وَعَرَفُوهُ وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى مَلِكِهِمْ دَقِيَّا نَوْسَ . وَجَعَلَ النَّاسُ
 آخِرُونَ يَأْتُونَهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ . فَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ شَدِيدُ الْفَرَقِ : اقْضُوا لِي
 حَاجَتِي فَقَدْ أَخَذْتُمْ وَرَقِي وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا طَعَامَكُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . فَقَالُوا
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا قَتِي وَمَا شَأْنُكَ . إِنَّكَ لَقَدْ وَجَدْتَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ
 الْأَوَّلِينَ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُخْفِيَهُ عَنَّا فَأَنْطَلِقْ مَعَنَا وَشَارِكْنَا فِيهِ يُخَفِّ
 عَلَيْكَ مَا وَجَدْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِي بِكَ السُّلْطَانُ فَتُسَلِّمُكَ إِلَيْهِ
 فَيَمُوتُكَ . فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ عَجِبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : قَدْ وَقَعْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 أَحْذَرُ مِنْهُ . ثُمَّ قَالُوا : يَا قَتِي إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْتُمَ شَيْئًا وَجَدْتَهُ وَلَا
 تَظُنُّ فِي نَفْسِكَ أَنْ تُخْفِيَ عَلَيْكَ فَأَطْرَقَ تَلْمِيحًا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ وَمَا
 يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَفَرَّقَ حَتَّى لَمْ يُحِجْ إِلَيْهِمْ جَوَابًا . فَلَمَّا رَأَوْهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَخَذُوا
 كِسَاءَهُ فَطَوَّقُوهُ فِي عُنُقِهِ . ثُمَّ جَعَلُوا يَقُودُونَهُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ مُكَبَّلًا

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذَلِكَ .
فَجَعَلَ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِالَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا . وَرَأَى نَاسًا
كَثِيرِينَ مُتَحَدِّثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ . فَجَعَلَ يَمِشِي وَيَتَجَبَّبُ
مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانٌ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي
آتَى مِنْهُ . فَجَعَلَ يَتَجَبَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ لَهُ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَ شِعْرِي
أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةُ أَمْسٍ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُخَفُّونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ وَيَسْتَحْفِقُونَ
بِهَا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لِعَلِّي حَالِمٌ . ثُمَّ بَدَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ
كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمِشِي بَيْنَ ظَهْرَانِي سُوقِهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا
كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ثُمَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ . فَرَأَاهُ عَجَبًا وَرَأَى أَنَّ
حَيْرَانٌ . فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي
نَفْسِهِ : مَا أَذْرِي مَا هَذَا أَمَا عَشِيَّةُ أَمْسٍ فَإِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قَتَلَ . وَأَمَّا الْغَدَاةُ فَأَسْمَعُ كُلَّ إِنْسَانٍ
يَذْكُرُ أَمْرَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ هَذِهِ
لَيْسَتْ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا لَكِنِّي
مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا . ثُمَّ قَامَ كَالْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهَ وَجْهًا . ثُمَّ
لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : يَا فَتَى مَا أَسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ :
أَفْسُوسُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ بِي مِسَاءٌ أَوْ أَمْرٌ أَذْهَبَ عَقْلِي . ثُمَّ إِذْ
أَفَاقَ فَقَالَ : لَوْ عَجَلْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَنْفُطَنَ بِي لَكُنَّ

تَوَافِقُنَا لَنَكُونَنَّ مَعًا لَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا نَعْبُدُ الطَّوَاعِيتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . فُرِقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَمْ أَرَهُمْ وَلَمْ يَرُونِي . وَقَدْ كُنَّا تَوَافِقًا أَنْ
لَا تَفْتَرِقُ فِي حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ أَبَدًا . يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ بِي
أَقَاتِلِي أَمْ لَا

ثُمَّ انْتَهَى بِهِ إِلَى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحِينَ أَرْمُوسَ وَإِصْطَفُوسَ فَلَمَّا
رَأَى تَعْلِيخًا أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ إِلَى دِقْيَا نُوسَ أَفَاقَ وَسَكَنَ عَنْهُ الْبُكَاءُ
فَأَخَذَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ الْوَرَقَ فَنَظَرَا إِلَيْهَا وَعَجِبَا مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَيْنَ الْكَتَرُ الَّذِي وَجَدْتَهُ يَا فَتَى . فَهَذَا الْوَرَقُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ
أَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ كَتَرًا . فَقَالَ لَهُ تَعْلِيخًا : مَا وَجَدْتُ كَتَرًا وَلَكِنْ هَذَا
الْوَرَقُ وَرَقُ آبَائِي وَنَقَشُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَضَرْبُهَا . وَلَكِنِّي مَا أَذْرِي
مَا أَقُولُ لَكُمْ . قَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ تَعْلِيخًا : أَمَّا مَا أَرَى فَإِنِّي
كُنْتُ أَرَى أَنِّي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ يَعْرِفُكَ
بِهَا . فَأَنْبَأَهُمْ بِأَسْمِ أَبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ وَلَا أَبَاهُ . فَقَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَنْتَ رَجُلٌ كَذَّابٌ لَا تُخْبِرُ بِالْحَقِّ . فَلَمْ يَذَرِ تَعْلِيخًا مَا يَقُولُ
لَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ نَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ : هَذَا
الرَّجُلُ مَجْنُونٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِمَجْنُونٍ وَلَكِنَّهُ يُحَقِّقُ نَفْسَهُ عَمْدًا
لَكِنِّي يُفَلِتُ مِنْكُمْ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرًا شَدِيدًا : أَتَظُنُّ أَنَا
نُزِيلُكَ وَنُصِدِّقُكَ أَنَّ هَذَا مَالُ أَبِيكَ . وَلِنَقَشِ هَذِهِ الْوَرَقَ وَضَرْبُهَا
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . وَأَنْتَ غَلَامٌ شَابٌ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنَا وَتَسْخَرُ

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا فَقِيلَ : أَخَذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَثْرًا . وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ : مَا هَذَا
 أَلْقَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَاهُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ . فَجَعَلَ تَمْلِيحًا
 مَا يَذَرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
 فَرَّقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدَّقْ .
 وَكَانَ مُسْتَفْتًى أَنَّ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَّ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا . وَقَدْ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةُ
 أَمْسٍ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا
 فَيَمْنًا هُوَ قَائِمٌ كَالْخَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا
 أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَالِصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذْ اخْتَطَفُوهُ فَأَتَافَقُوا بِهِ إِلَى
 رَئِيسِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرَيْهَا الَّذِينَ يُدَبِّرَانِ أَمْرَهَا . وَهُمَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ
 اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرُ إِصْطَفُوسُ . فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهِمَا ظَنَّ
 تَمْلِيحًا أَنَّهُ يَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى دَقْيَانُوسَ الْجَبَّارِ مَلِكِهِمْ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ .
 فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ
 الْجُنُونِ وَالْخَيْرَانِ . وَجَعَلَ تَمْلِيحًا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :
 اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّمَاءِ وَإِلَهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْجِ مَعِيَ رُوحًا
 مِنْكَ تُوَيْدُنِي بِهِ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ . وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
 فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَقِيتُ وَأَيْنَ يَذْهَبُ بِي .
 فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَتَقُومَ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْجَبَّارِ . فَإِنَّا كُنَّا

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُحَمِّدُونَهُ .
 ثُمَّ قَالَ الْفَتِيَّةُ لِتَاوُدُوسِئُوسَ : نَسْتَدْعُكَ اللَّهُ وَنَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ
 حَفَظَكَ اللَّهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنَعَيْدَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ .
 فَيَنِمَّا الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَكَامُوا وَتَوَفَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ .
 وَقَامَ الْمَلِكُ فَعَجَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ
 ذَهَبٍ . فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ وَقَالُوا : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ مِنْ
 ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ . فَأَثَرَكُنَا
 كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ
 بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فُجِعِلُوا فِيهِ . وَحُجِّبَهُمُ اللَّهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ
 بِالرَّغَبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ فُجِعَلَ عَلَى بَابِ
 الْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلِّي فِيهِ . وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدِّمِيرِيِّ تَلْخِصُ)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٨٧ السَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي يَهَيِّئُهَا قَوَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ .
 وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ . وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ .

الْجَبَّارِ خَافَةَ أَنْ يَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ قَدْ خَلَوْا فِي هَذَا الْكَهْفِ . فَلَمَّا أَخْبَرَ
يَمَكَانَهُمْ أَمْرَ بِهَذَا الْكَهْفِ قَسَدَ عَلَيْهِمُ بِالْحِجَارَةِ . وَإِنَّا كُنَّا شَاهِنَهُمْ
وَخَبَرَهُمْ لَيَعْلَمَنَّ مِنْ بَعْدِهِمْ إِنْ عَثَرُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا قَرَّوْهُ عَجَبُوا وَحَمَدُوا
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ الْبَعْثِ فِيهِمْ . ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ
اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ . ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى الْفَتِيَّةِ الْكَهْفِ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ
ظَهْرِ آتِيهِ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ وَلَمْ تَبَلْ ثِيَابُهُمْ . فَحَرَّ أَرْمُوسُ وَأَصْحَابُهُ
سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى وَحَمَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ . ثُمَّ كَلَّمَ
بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ الْفَتِيَّةُ عَنِ الَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دَقْيَانُوسَ
الْجَبَّارِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا بَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ
تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ عَجَلَ لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَهَا
اللَّهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ . وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ نُورًا وَضِيَاءً
وَتَصْدِيقًا بِالْبَعْثِ . فَأَعَجَلَ عَلَى فِتْنَةٍ بَعْثَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مِنْذُ
أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . فَلَمَّا أَتَى الْمَلِكُ الْخَبْرُ قَامَ مِنَ السُّدَّةِ الَّتِي
كَانَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ . وَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأُسَبِّحُكَ . تَطَوَّلْتُ عَلَيَّ وَرَحِمْتَنِي
بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْفِئِ النُّورَ الَّذِي كُنْتُ جَعَلْتَهُ لِأَبَائِي
فَلَمَّا أَنْبَأَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكِبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعِدُوا
نَحْوَ الْكَهْفِ وَاتَّوَّهُ فَلَمَّا رَأَى الْفَتِيَّةُ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرِحُوا بِهِ وَخَرُوا
سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ . وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسُ قُدَّامَهُمْ ثُمَّ اعْتَمَنَهُمْ وَبَكَى .

وَقَالَ أَيْضًا:

بِلَادُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ بَضَاءُ وَرِزْقُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَسِيحُ
قُلُوبُ النَّاسِ عِدِينَ عَلَى هَوَانٍ إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا
قَالَ غَيْرُهُ:

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ مَقَامُ حَرٍّ عَلَى هَوَانٍ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعِنَهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ
وَأِنْ نَبَا مَنْزِلُ بَحْرٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
قَالَ آخَرُ:

سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَنْ تَفَارِقِهِ

وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَعَزَةٌ فَأُتْرِكِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ

إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يُجَرِّ لَمْ يَطِبْ
وَالْبَدْرُ لَوْ لَا أَفُولُ مِنْهُ مَا نَظَرْتُ

إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنٌ مُرْتَقِبٌ
وَالْأَسَدُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا قَنَصَتْ

وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يَصِبْ
وَالْتَبَرُ كَالْتَرَبِ مُلْقَى فِي مَعَادِنِهِ

وَمَحَاسِنِ الْأَثَارِ مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا . وَيُفِيدُهُ فَهْمًا . بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ .
 وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَيُسْمِعُ الْعَجَائِبِ . وَيَكْسِبُ التَّجَارِبِ .
 وَيَقْنَعُ الْمَذَاهِبِ . وَيَجْلِبُ الْمَكَاسِبِ . وَيَشْدُ الْأَبْدَانِ . وَيَشِطُّ
 الْكَسْلَانَ . وَيُسْلِي الْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ الْأَسْقَامَ . وَيَشْهِي الطَّعَامَ .
 وَيَحْطُ سَوْرَةَ الْكَبِيرِ . وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ الذِّكْرِ . وَقَالَ حَاتِمُ طَيِّبٍ :
 إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ الْأَخْبَارِ خَرَقَ الْمَكَاسِبِ
 ٣٨٨ وَفِي الْمُبْهَجِ : مَنْ آثَرَ السَّفَرَ عَلَى الْقُعُودِ . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَمُوتَ
 مُورِقُ الْعُودِ . وَرَبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفَرِ . وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاهُ
 الْوَطَرِ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَلْبٌ جَوَالُ خَيْرٍ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَغْرَبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
 تَفْرَجُ هَمَّ وَأَكْتَسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَأَذَابٌ وَصُحْبَةٌ مَا جِدِ
 فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطَعَ الْفَيَافِي وَأَرْتَكَبُ الشَّدَائِدِ
 فَمَوْتُ أَلْقَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ بَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ
 ٣٨٩ قَالَ الْمُمَمُونُ : لَا شَيْءَ الَّذِي مِنَ السَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ
 كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَةٍ لَمْ تَحُلْهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ . وَفِي كِتَابِ
 الْهِنْدِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَلِ الرِّغَابَ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 لَا يَمْنَعُكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
 تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وَقَدْ شَرِبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهَرُ . وَذَابِلٌ لَا يُثْمَرُ . وَيُقَالُ : الْغَرِيبُ
كَالْوَحْشِ الْتَائِي عَنْ وَطْنِهِ فَهُوَ لِكُلِّ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبْعٍ فَرِيْسَةٌ .
وَقَالَ آخَرُ : الْغَرِيبُ كَالْيَتِيمِ الْفَطِيمِ الَّذِي تُكَلِّلُ أَبُوَيْهِ فَلَا أُمَّ تَرَامُهُ
وَلَا أَبَ يَرَأْفُ بِهِ . وَيُقَالُ : عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يَسْرِكَ فِي
غُرَبَتِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَفْسِ وَيْحَكَ فِي التَّغْرُبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسَ الْأَذَى وَهَوَانٍ
وَإِذَا تَرَأْتَ بَدَارَ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَمَرُّزُ الْأَوْطَانِ
قَالَ الطَّرِيفِيُّ :

أَرَى وَطَنِي كَمُشِّي لِي وَكِنِّ أَسَافِرُ عَنْهُ فِي طَابِ الْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنْ كَسَبَ الْقُوْتَ فَرَضُ لَمَّا بَرَحَ الْقِرَاحُ مِنَ الْعِشَاشِ
(للمقدسي)

سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية (سنة ١٣٣٤م)

٣٩٣ رَغِبَتِ الْخَنَاتُونُ بَيْلُونُ ابْنَةُ مَلِكِ الرُّومِ مِنَ السُّلْطَانِ أَوْزْبَكِ
زَوْجَهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا . فَسَافَرْنَا فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَوَالٍ فِي
صُحْبَةِ الْخَنَاتُونِ بَيْلُونُ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا . وَرَحَلَ السُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا
مَرَحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَالْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ . وَسَافَرَ سَائِرُ الْخَوَاتِنِ فِي
صُحْبَتِهَا مَرَحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ . وَسَافَرَ صُحْبَتَهَا الْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ فِي خَمْسَةِ
آلَافٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ . وَكَانَ عَسَاكِرُ الْخَنَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ .
مِنْهُمْ خُدَامُهَا مِنَ الْمَمَالِيكِ وَالرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَالْبَاقُونَ مِنَ التُّرْكِ .

وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ .

وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى الرُّتَبِ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ : إِنَّكَ
تَدْخُلُ بِلَدًا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فْتَمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تُنْفِقُ بِهَا فِيهِ .
عَلَيْكَ بِنِظَافَةِ الْبِرَّةِ فَإِنَّهَا تُبْنِي عَنْ النَّسِ فِي النِّعْمَةِ . وَالْأَدَبِ
الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ الْحُبَّ . وَلَكِنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ
فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ . وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنْ
اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفُظَاظَةِ اجْتَنَبْتَ الْحَسَّاسَةَ . وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْغُلْبَةِ
لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

لَنْ تَنْقَلُتَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتَ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارٍ
فَالْحُرُّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ نَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بَرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ
٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَبْنَاهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ
الْغُرَبَاءَ . وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ . وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ . فَخَالَطَ
النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ . وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعِلَاقَةِ وَالسِّرِّ . وَمَثَلُ بِنَفْسِكَ
مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ . وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ
فَاجْتَنِبْهُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ
(للقيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَايَلَتْ أَرْضُهُ

تَعْظِيمًا لَهَا لِأَخَوَفِهَا عَلَيْهَا . لِأَنَّ تِلْكَ الْبِلَادَ آمَنَتْ . ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى الْبَلَدَةِ
الْمَعْرُوفَةِ بِأَسْمِ سَلْطُوقَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ عِمَالَةِ الرُّومِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا
فِي بَرِّيَّةٍ غَيْرِ مَعْمُورَةٍ . مِنْهَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لَا مَاءَ بِهَا يُتَرَوَّدُ لَهَا الْمَاءُ وَيُجْمَلُ فِي
الرَّوَايَا وَالْقُرْبَ عَلَى الْعَرَبَاتِ . وَكَانَ دُخُولُنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ الْبَرْدِ فِي
مُتَّصِفِ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمْ نَخْتِجْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ الْمَاءِ . وَرَحَلْنَا فِي هَذِهِ
الْبَرِّيَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُضْغًى وَمُشًى . وَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حِصْنٍ مَهْتُولِي وَهُوَ أَوَّلُ عِمَالَةِ الرُّومِ .
وَكَانَتْ الرُّومُ قَدْ سَمِعَتْ بِمُدُومِ هَذِهِ الْخَاتُونِ عَلَى بِلَادِهَا فَوَصَّاهَا إِلَى
هَذَا الْحِصْنِ كَفَالِي نَقُولُهُ الرُّومِيُّ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وَضِيَافَةٍ عَظِيمَةٍ .
وَجَاءَتِ الْخَوَاتِينُ مِنْ دَارِ أَبِيهَا مَلِكِ الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَبَيْنَ مَهْتُولِي
وَالْأُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسِيرَةُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى
الْحَلِيجِ وَسِتَّةَ مِنْهُ إِلَى الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَا يُسَافِرُ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ إِلَّا
بِالْخَيْلِ وَالْبَعَالِ . وَتُتْرَكُ الْعَرَبَاتُ بِهِ لِأَجْلِ الْوَعْرِ وَالْجِبَالِ . وَجَاءَ
كَفَالِي الْمَذْكُورُ بِبَعَالٍ كَثِيرَةٍ وَبَعَثَتْ إِلَى الْخَاتُونِ سِتَّةَ مِنْهَا . وَأَوْصَتْ
أَمِيرَ ذَلِكَ الْحِصْنِ بِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَصْحَابِي وَغُلَامِي مَعَ الْعَرَبَاتِ
وَالْأَثْقَالِ فَأَمَرَ لَهُمْ بِدَارٍ . وَرَجَعَ الْأَمِيرُ بِدَرَةٍ بِمَسَافِرِهِ وَلَمْ يُسَافِرْ
مَعَ الْخَاتُونِ إِلَّا نَاسَهَا . ثُمَّ وَصَلْنَا حِصْنَ مُسَلِّمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ
بِسَفْحِ جَبَلٍ عَلَى نَهْرِ رَخَّارٍ يُقَالُ لَهُ إِصْطَقِيلِي . وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ
إِلَّا آثَارُهُ وَبِحَارِجِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ . ثُمَّ سَرْنَا يَوْمَيْنِ وَوَصَلْنَا إِلَى الْحَلِيجِ

وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ
 الْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبَةٍ وَنَحْوُ أَلْفِي فَرَسٍ لِحَرْبِهَا وَلِلرُّكُوبِ .
 وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْقَتِيَانِ الرُّومِيِّينَ عَشْرَةَ وَمِنَ الْهِنْدِيِّينَ مِثْلَهُمْ
 وَقَائِدُهُمُ الْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسُبُلِ الْهِنْدِ وَيَقَائِدُ الرُّومِيِّينَ يُسَمَّى
 بِمِخَايِيلَ . وَيَقُولُ لَهُ الْأَتْرَاكُ لَوْلَوْ . وَهُوَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْكِبَارِ . وَتَرَكْتُ
 أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَثَرَهَا بِحَلَّةِ السُّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرِسْمِ
 الزِّيَارَةِ . وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أَكَّكْ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ الْعِمَارَةِ
 كَثِيرَةُ الْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 جِبَالُ الرُّوسِ . وَهُمْ شَقَرُ الشُّعُورِ زُرْقُ الْعْيُونِ قَبَاحُ الصُّوَرِ أَهْلُ غَدِرٍ
 وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ الْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُؤْتَى بِسَبَايِكِ الْفِضَّةِ الَّتِي يَبْهَا
 يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَوَزْنُ السَّبِيكَةِ مِنْهَا خَمْسُ أَوَاقٍ
 ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سُرْدَاقَ وَهِيَ
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَرَسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَاسِي وَأَحْسَنِهَا . وَبِخَارِجِهَا
 الْبَسَاتِينُ وَالْمِيَاهُ وَيَنْزِلُهَا التُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ .
 وَهُمْ أَهْلُ الصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بُيُوتِهَا خَشَبٌ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ كَبِيرَةً
 فَخَرِبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ قِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ . وَكَانَتْ الضِّيَافَةُ
 تُحْمَلُ إِلَى الْخَاتُونِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنَ الْخَيْلِ وَالنَّعَمِ
 وَالْبَقَرِ وَالْبَنَانِ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ . وَالسَّفَرُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مُضْحَى وَمُعَشَى .
 وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ الْبِلَادِ يَضْحَبُ الْخَاتُونُ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

وَتِلْكَ الْخَيْلُ الْمُقَوَّدَةُ هِيَ مَرَاكِبُ ابْنِ السُّلْطَانِ وَقَسَمَ فُرْسَانُهُ عَلَى
أَفْوَاجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ . وَلَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَلَهُ عَشْرَةَ مِنْ
الْفُرْسَانِ شَاكِينَ فِي السِّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا . وَحَافَهُ
عَشْرَةُ مِنْ الْعَلَامَاتِ مُلَوَّنَةٌ بِأَيْدِي عَشْرَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَعَشْرَةُ
أَطْبَالٍ يَتَقَلَّدُهَا عَشْرَةُ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ الْأَبْوَاقَ
وَالْأَنْفَارَ وَالصِّرْنَائَاتِ وَهِيَ الْغَيْطَاتُ . وَرَكِبَتْ الْخَاتُونُ فِي مَمَالِكِهَا
وَجَوَارِيهَا وَفَتَاتِهَا وَخَدَّامِهَا . وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَرْبِ
الْمُرْزُكَةُ بِالذَّهَبِ الْمُرْصَعَةِ . وَعَلَى الْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا النَّعْجُ أَوِ النَّسِيجُ
مُرْصَعَةٌ بِالْجَوْهَرِ . وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرْصَعٌ وَفَرَسُهَا مُجَلَّلٌ بِجُلٍّ حَرِيرٍ
مُرْزُكَشٍ بِالذَّهَبِ . وَفِي يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ خَلَائِلُ الذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ
قَلَانِدٌ مُرْصَعٌ . وَعَظْمُ السَّرَجِ مَكْسُودٌ ذَهَبًا مُكَلَّلٌ جَوْهَرًا . وَكَانَ
الْقَاوِمُ فِي بَسِيطٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ الْبَلَدِ . وَتَرَجَّلَ لَهَا
أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْغَرُ سَنًا مِنْهَا وَقَبْلَ رِكَابِهَا وَقَبْلَ رَأْسِهِ . وَتَرَجَّلَ الْأَمْرَأَةُ
وَأَوْلَادُ الْمُلُوكِ وَقَبَلُوا جَمِيعًا رِكَابَهَا وَأَنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا . وَفِي غَدٍ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَا أَثْنَتُ إِلَّا أَنْ اسْتَمَحَا
ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ تَزْنَانَا بِخَارِجِهَا . وَوَصَلَ أَخُو الْخَاتُونِ وَلِيُّ الْعَهْدِ فِي
تَرْتِيبٍ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مُدْرَعٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ
تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ نَحْوُ عَشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ . وَقَدْ
رَبَّ فُرْسَانَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَخِيهِ سِوَاهُ إِلَّا أَنَّ الْخَلْلَ أَعْظَمَ وَالْجَمْعَ أَكْثَرُ .

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فَوَجَدْنَا فِيهِ الْمَدَّةَ . فَأَقْنَمْنَا حَتَّى كَانَ الْجَزُرُ .
وَحُضْنَاهُ وَعَرَضُهُ نَحْوُ مِيلَيْنِ . وَمَشَيْنَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالٍ . وَوَصَلْنَا
الْحُلَيْجَ الثَّانِيَ فَحُضْنَاهُ وَعَرَضُهُ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . ثُمَّ مَشَيْنَا نَحْوَ مِيلَيْنِ
فِي حِجَارَةٍ وَرَمَلٍ وَوَصَلْنَا الْحُلَيْجَ الثَّالِثَ وَقَدْ أَبْتَدَأَ الْمَدُّ . فَتَعَبْنَا فِيهِ
وَعَرَضُهُ مِيلٌ وَاحِدٌ . فَعَرَضُ الْحُلَيْجِ كُلِّهِ مَائَتُهُ وَبِأَسْفَلِهِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .
وَتَصِيرُ مَاءٌ كُلُّهَا فِي أَيَّامِ الْمَطَرِ فَلَا تَخَاضُ إِلَّا فِي الْقَوَارِبِ . وَعَلَى
سَاحِلِ هَذَا الْحُلَيْجِ الثَّالِثِ مَدِينَةُ الْفَنِيكَةِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لَكِنَّهَا حَسَنَةٌ
مَانِعَةٌ . وَكَتَابَتُهَا وَدِيَارُهَا حَسَنٌ وَالْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَالْبَسَاتِينُ تَحْفُهَا
وَيَدْخُرُ بِهَا الْغُبُ وَالْإِجَاصُ وَالشُّفَاحُ وَالسَّقَرَجَلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى
الْأُخْرَى . وَأَقْنَمْنَا فِيهِ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا وَالْخَاتُونُ فِي قَصْرِ لِأَيُّهَا هُنَالِكَ .
ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَأَسَمُهُ كِفَالِي قَرَّاسُ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ قَارِسٍ
شَاكِينَ فِي السَّلَاحِ . وَلَمَّا أَرَادُوا لِقَاءَ الْخَاتُونِ رَكِبَ أَخُوهَا الْمَذْكُورُ قَرَّسًا
أَشْهَبَ وَلَبَسَ ثِيَابًا بَيْضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مِطْلَبًا مَكْلَلًا بِالْجَوْلَاهِرِ .
وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ لِأَيُّسِينَ
الْبَيَاضِ أَيْضًا . وَعَلَيْهِمْ مِطْلَاطُ مُزَكَّشَةٌ بِالذَّهَبِ . وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
مِائَةً مِنَ الْمُسَائِينَ وَمِائَةً قَارِسٍ قَدْ أَسْبَعُوا الدَّرُوعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَلِيهِمْ .
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَفُودُ قَرَّسًا مُسْرَجًا مُدْرَعًا عَلَيْهِ شِكَّةُ قَارِسٍ مِنْ
النَّبْضَةِ الْمُجَوَّهَرَةِ وَالْدَّرَعِ وَالْقَوْسِ وَالسِّيفِ . وَبِيَدِهِ رُمْحٌ فِي طَرَفِ
رَأْسِهِ رَايَةً . وَكَثُرَتْ تِلْكَ الرِّمَاحُ مَكْسُوءَةٌ بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ .

الْخَاتُونِ قَبِثَ مَنْ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيِ وَالِدِهَا . فَذَكَرَتْ
لَهُ شَأْنَهَا فَامْرَأَةٌ دَخَلْنَا وَعَبْنٌ لَنَا دَارًا بِمَهْرَةٍ مِنْ دَارِ الْخَاتُونِ . وَكُتِبَ
لَنَا أَمْرًا بِأَنْ لَا نَعْتَرِضَ حَيْثُ نَذْهَبُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي
الْأَسْوَاقِ . وَأَقَمْنَا بِالْأَدَارِ ثَلَاثًا تَبَعَتْ إِلَيْنَا الضَّيَافَةُ مِنَ الْغَنَمِ وَالْهَاجَةِ
وَالدَّرَاهِمِ وَالْفَرَسِ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دَخَلْنَا عَلَى السُّلْطَانِ

٣٩٤ (ذِكْرُ سُلْطَانِ الْفُسْطَاطِيَّةِ) وَأَسْمُهُ نِكْفُورُ ابْنِ السُّلْطَانِ
جِرْجِسٍ وَأَبُوهُ السُّلْطَانُ جِرْجِسُ بَقِيدِ الْحَاةِ لَكِنَّهُ تَزَهَّدَ وَتَرَهَّبَ
وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ فِي الْكَلْبَسِ وَتَرَكَ الْمَلِكَ لَوْلَدِهِ وَسَمَّاهُ . وَفِي
الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ وُضُوعِنَا إِلَى الْفُسْطَاطِيَّةِ بَعَثَ إِلَيَّ الْخَاتُونُ الْهَتَى
سُئِلَ الْهِنْدِيُّ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَانِي إِلَى الْقَصْرِ فَخَزْنَا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ
فِي كُلِّ بَابٍ سَقَافٌ بِهَا رِجَالٌ وَأَسْلَحَتُهُمْ وَقَانِدُهُمْ عَلَى دُكَّانَةٍ
مَقْرُوشَةٍ . فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْخَامِسِ تَرَكْنِي الْهَتَى سُئِلَ وَدَخَلَ
ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْفَتَيَانِ الرُّومِيِّينَ فَفَتَّشُونِي لِئَلَّا يَكُونَ مَعِيَ
سِكِّينٌ وَقَالَ لِي الْقَائِدُ : تِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ لَا بُدَّ مِنْ تَفْتِيشِ كُلِّ مَنْ
يَدْخُلُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ غَرِيبٍ أَوْ بَلَدِيٍّ وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ
بِأَرْضِ الْهِنْدِ . ثُمَّ لَمَّا فَتَّشُونِي قَامَ الْمُؤَكَّلُ بِالْبَابِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَفَتَحَ
الْبَابَ وَأَحَاطَ بِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ أَمْسَكَ اثْنَانِ بِيَدَيَّ وَاثْنَانِ
مِنْ وَرَائِي فَدَخَلُوا بِي إِلَى مَشُورٍ كَبِيرٍ . حِيطَانُهُ بِالْهَسَنِيسَاءِ قَدْ نُقِشَ
فِيهَا صُورُ الْخُلُوقَاتِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادِ . وَفِي وَسْطِهِ سَاقِيَةٌ مَاءٍ

وَتَلَقَّتْ مَعَهُ أُخْتَهُ فِي مِثْلِ زِينَتِهَا الْأَوَّلِ وَتَرَجَلَا جَمِيعًا . وَأَوْتِي نِجْبَاءَ حَرِيدٍ
فَدَخَلَا فِيهِ . وَتَرَلْنَا عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصَبِيَّانِ رُكْبَانًا
وَمُشَاةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ الصُّبْحِ الْأَطْبَالُ
وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَادُ وَرَكِبَتِ الْعَسَاكِرُ . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَرَوْجَتُهُ أَمُّ
هَذِهِ الْحَاثُونَ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْخَوَاصُّ . وَعَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ رَوَاقٌ يُجْمَلُهُ
جَمَلَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عَصِيٌّ طَوَالٌ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصَا
شِبْهُ كُرَّةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرْفَعُونَ بِهَا الرِّوَاقَ . وَفِي وَسْطِ الرِّوَاقِ مِثْلُ الثَّمَةِ
يَرْفَعُهَا الْفَرَسَانُ بِالْعَصِيِّ . وَلَمَّا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ اخْتَلَطَتِ الْعَسَاكِرُ
وَكَثُرَ الْعَجَاجُ . وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أَثْقَالَ
الْحَاثُونَ وَأَصْحَابَهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي . وَذُكِّرَ لِي أَنَّهَا لَمَّا قَرُبَتْ مِنْ
أَبْوَيْهَا تَرَجَلَتْ وَقَبَلَتِ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . ثُمَّ قَبَلَتْ حَافِرِي
فَرَسَيْهِمَا . وَفَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذَلِكَ . وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ
الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظْمَى . وَقَدْ ضَرَبُوا نَوَاقِيسَهُمْ
حَتَّى ارْتَجَّتِ الْأَفَاقُ لِاخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا . وَلَمَّا وَصَلْنَا الْبَابَ الْأَوَّلَ مِنْ
أَبْوَابِ قَصْرِ الْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدُهُمْ فَوْقَ
دُكَّانَةٍ وَتَتَبِعَهُمْ يَقُولُونَ : سَرَاكِنُو سَرَاكِنُو وَمَعْنَاهُ الْمُسْلِمُونَ .
وَمَمْنُونًا مِنَ الدُّخُولِ . فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْحَاثُونَ : إِنَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ .
فَقَالُوا : لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْإِذْنِ . فَأَقْنَأَ الْبَابَ وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

يَلْبَسُ خِلْعَةً الْمَلِكِ وَيَرْكَبُ قَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِالْأَبْوَابِ وَالْأَنْفَاقِ
وَالْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ النَّاسُ إِلَّا يُؤْذُوهُ . فَطَافُوا بِي فِي الْأَسْوَاقِ

٣٩٥ (ذِكْرُ الْمَدِينَةِ) . وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْكِبَرِ مُنْقَسِمَةٌ بِقِسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا
نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَنْطَرَةٌ مَبْنِيَّةٌ
فَخَرِبَتْ وَهُوَ الْآنَ يُعْبَرُ فِي الْقَوَارِبِ . وَاسْمُ هَذَا النَّهْرِ الْأَسْيُ . وَاحِدُ
الْقِسْمَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِالْعُدْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ .
وَفِيهِ سَكَنَتِ السُّلْطَانُ وَأَرْبَابُ دَوْلَتِهِ وَسَائِرُ النَّاسِ . وَأَسْوَاقُهُ
وَسُورُهُ مَفْرُوشَةٌ بِالْصَّفَاحِ مُتَّسِعَةٌ . وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ
لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ . وَعَلَى كُلِّ سُوقِ أَبْوَابٍ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَكَثُرُ
الصَّنَاعِ وَالْبَاعَةِ بِهَا النِّسَاءُ . وَالْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي الْبَحْرِ
تَحْوَ تِسْعَةَ أَمْيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ . وَفِي أَعْلَاهُ قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ
وَقَصْرُ السُّلْطَانِ . وَالسُّورُ يُحِيطُ بِهَذَا الْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لَأَسْبِيلٍ لِأَحَدٍ
إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ . وَفِيهِ تَحْوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَرْيَةً عَامِرَةً . وَالْكَنِيسَةُ
الْعَظِيمَى هِيَ فِي وَسْطِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي
مِنْهَا فَيُسَمَّى الْعَلَطَةَ وَهُوَ بِالْعُدْوَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ شَدِيدُهُ بِرِبَاطِ الْقَنْجِ
فِي قُرْبِهِ مِنَ النَّهْرِ . وَهَذَا الْقِسْمُ خَاصٌّ بِنَصَارَى الْإِفْرِجِ يَسْكُونُونَهُ .
وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْجَنْوِيُّونَ وَالْبَنَادِقَةُ وَأَهْلُ رُومَةٍ وَأَهْلُ إِفْرَنْسَةٍ
وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ الْفُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَضُونَهُ
وَيُسَمُّونَهُ الْفَيْصَ . وَعَلَيْهِمْ وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ لِلْمَلِكِ الْفُسْطَنْطِينِيَّةِ

وَمِنْ جِهَتِهَا الْأَشْجَارُ . وَالنَّاسُ واقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سَكُوتًا لَا يَنْكَلِمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَفِي وَسْطِ الْمَشُورِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ . فَأَمْسَكُوا يَدَيَّيْ كَمَا فَعَلَ الْأَخْرُونِ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ فَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا . فَقَالَ لِي بِالْعَرَبِيِّ : لَا تَخَفْ فَهَكَذَا عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِالْوَارِدِ . وَأَنَا التَّرْجَمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ الشَّامِ . فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أَسْلِمَ . فَقَالَ : قُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةِ عَظِيمَةٍ وَالسُّلْطَانِ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هَذِهِ الْخَاتُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَأَسْفَلَ السَّرِيرِ الْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا . وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِالسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ السَّلَامِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ هَنِيئَةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي عَنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَعَنْ الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَنْ الْقِسْمَةِ وَعَنْ مَهْدِ عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنْ مَدِينَةِ الْحَلِيلِ . ثُمَّ عَنْ دِمَشْقٍ وَمِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَالْيَهُودِيِّ يُتَرَجِّمُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : اكْرُمُوا هَذَا الرَّجُلَ وَأَمْنُوهُ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسَرَّجٍ مُلْجَمٍ وَمِظْلَةٍ مِنْ أَلْتِي يُجْعَلُهَا الْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ الْأَمَانِ . وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ مِنْ يَزْكُبُ مَعِيَ بِالْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أَشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي . فَعَيَّنَ لِي ذَلِكَ . وَمِنْ أَلْوَانِدٍ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي

فَسَمِينٍ أَحَدُهُمَا يَمُرُّ بِسُوقِ الْعَطَّارِينَ وَالْآخَرُ يَمُرُّ بِالسُّوقِ حَيْثُ الْقَضَاءُ
وَالْكِتَابُ . وَعَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ سَقَافٌ يُجْلِسُ بِهَا خُدَّاءُهَا الَّذِينَ يَقُمُونَ
طُرُقَهَا وَيُوقِدُونَ سُرُجَهَا وَيَغْلِقُونَ أَبْوَابَهَا . وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا
حَتَّى يَسْجُدَ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَقِيَّةٌ مِنْ
الْحَشَبَةِ الَّتِي صَلَبَ عَلَيْهَا عِيسَى . وَهُوَ عَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ جَمْعُولٌ فِي
جَمْعَةٍ ذَهَبٍ طُولُهَا ثَمَانُ عَشْرَةِ أَذْرُعَ . وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهَا جَمْعَةً ذَهَبٍ
مِثْلَهَا حَتَّى صَارَتْ صَلِيبًا . وَهَذَا الْبَابُ مُصَفَّحٌ بِصَفَاحِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ
وَحَلَقَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَذَكَرَ لِي أَنَّ عَدَدَ مَنْ يَهْدِيهِ الْكَنِيسَةُ
مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقَسَيسِينَ يَنْتَهِي إِلَى مِائَاتٍ . وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ
الْحَوَارِيِّينَ وَأَنَّ يَدْخُلُهَا كَنِيسَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ . وَمِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ
وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْتُوا كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا إِلَى زِيَارَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ

٣٩٧ (ذِكْرُ الْمَانِسْتَارَاتِ بِمُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَالْمَانِسْتَارُ عِنْدَهُمْ شِبْهُ
الزَّوَايَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ . وَهَذِهِ الْمَانِسْتَارَاتُ بِهَا كَثِيرَةٌ فِيهَا مَانِسْتَارُ
عَمْرِهِ الْمَلِكِ جَرَجِيسُ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ خَارِجَ الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَنْ
يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا وَهُمَا فِي دَاخِلِ بُسْتَانٍ يَشْقُهُمَا نَهْرُ مَاءٍ وَأَحَدُهُمَا
لِلرِّجَالِ وَالْآخَرُ لِلنِّسَاءِ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَنِيسَةٌ وَيَدُورُ بِهِمَا
الْبُيُوتُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُتَعَبِّدَاتِ وَقَدْ حُسِبَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحْبَاسُ
لِكُسُوفِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَنَفَقَتِهِمْ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ عَنْ يَسَارِ الدَّاخِلِ
إِلَى الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَلَى مِثْلِ هَذَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَيُطِيفُ بِهِمَا

وَرَبَّمَا اسْتَمَضُوا عَلَيْهِ فَيُكَارِبُهُمْ حَتَّى يُصْلِحَ بَيْنَهُمُ الْبَابَا . وَجَمِيعُهُمْ أَهْلُ
تِجَارَةٍ . وَمَرَسَاهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَايِي رَأَيْتُ بِهِ نَحْوَ مِائَةِ جَفْنٍ مِنْ
الْفَرَاقِرِ وَسِوَاهَا مِنْ السُّفْنِ الْكِبَارِ . وَأَمَّا الصِّغَارُ فَلَا تُحْصَى كَثْرَةٌ .
وَأَسْوَاقُ هَذَا الْقِسْمِ حَسَنَةٌ يَشْتَبُهَانِ نَهْرُ صَغِيرٍ قَدِيرٌ

٣٩٦ (ذِكْرُ الْكَنِيسَةِ الْعَظْمَى) وَإِنَّمَا نَذْكُرُ خَارِجَهَا وَأَمَّا دَاخِلُهَا فَلَمْ
أَشَاهِدْهُ . وَهِيَ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ أَيَا صُوفِيًّا . وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ كُنَائِسِ
الرُّومِ وَعَلَيْهَا سُورٌ يُطِيفُ بِهَا فَكُنَّهَا مَدِينَةٌ . وَأَبْوَابُهَا ثَلَاثَةٌ عَشَرَ بَابًا .
وَلَهَا حَرَمٌ هُوَ نَحْوُ مِيلٍ عَلَيْهِ بَابٌ كَبِيرٌ وَلَا يُنْعَى أَحَدٌ مِنْ دُخُولِهِ وَقَدْ
دَخَلْتُهُ مَعَ وَالِدِ الْمَلِكِ . وَهُوَ شَبُهَ مَشُورٍ مُسَطَّحٌ بِالرُّخَامِ وَتَشَقُّهُ سَاقِيَةٌ
تَخْرُجُ مِنَ الْكَنِيسَةِ . لَهَا حَائِطَانِ مُرْتَفِعَانِ نَحْوَ ذِرَاعٍ مَضْنُوعَانِ
بِالرُّخَامِ الْمُجَزَّعِ الْمُتَفُوشِ بِأَحْسَنِ صَنْعَةٍ . وَالْأَشْجَارُ مُنْتَظِمَةٌ عَنْ
جِهَتِي السَّاقِيَةِ . وَمِنْ بَابِ الْكَنِيسَةِ إِلَى بَابِ هَذَا الْمَشُورِ مُعَرَّشٌ مِنْ
الْحَشَبِ مُرْتَفِعٌ عَلَيْهِ دَوَالِي الْعِنَبِ وَفِي أَسْفَلِهِ الْيَاسْمِينُ وَالرَّيَاحِينُ .
وَخَارِجُ بَابِ هَذَا الْمَشُورِ قُبَّةٌ خَشَبٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا طَبَلَاتُ خَشَبٍ
يَجْلِسُ عَلَيْهَا خُدَّامُ ذَلِكَ الْبَابِ . وَعَنْ يَمِينِ الْقُبَّةِ مَصَاطِبُ وَحَوَائِثُ
أَكْثَرُهَا مِنَ الْحَشَبِ يَجْلِسُ بِهَا قَضَاتُهُمْ وَكُتَّابُ دَوَائِيهِمْ ، وَفِي وَسْطِ
تِلْكَ الْحَوَائِثِ قُبَّةٌ خَشَبٌ يُضَعَدُ إِلَيْهَا عَلَى دَرَجٍ خَشَبٍ . وَفِيهَا كُرْسِيٌّ
كَبِيرٌ مُطَبَّقٌ بِالْمَلَفِّ يَجْلِسُ فَوْقَهُ قَاضِيهِمْ . وَعَنْ يَسَارِ الْقُبَّةِ الَّتِي عَلَى
بَابِ هَذَا الْمَشُورِ سُوقُ الْعَطَّارِينَ . وَالسَّاقِيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَقْسِمُ

وَوَجْهَهُ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْفُهُ وَأَمَامُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَيَدُهُ
عُكَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبُجَةٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ الرُّومِيُّ زَلَّ وَقَالَ لِي : أُنْزِلْ فَهَذَا وَالِدُ
الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرُّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَحُتُّ إِلَيْهِ
فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ لِذَلِكَ الرُّومِيِّ وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ : قُلْ
لِي بِذَا السَّارِكِ يُعْنِي الْمُسْلِمَ أَنَا أَصَاحِبُ الْبَيْتِ الَّتِي دَخَلْتَ بَيْنَ الْمَقْدِسِ
وَالرَّجُلِ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى الَّتِي تُسَمَّى
قُمَامَةً وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَعَلَ يَدُهُ عَلَى قَدَمِي وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَجِبْتُ مِنْ
اعْتِقَادِهِمْ فَمِنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ
السُّؤَالَ وَدَخَلَتْ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ
الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَسْبِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ
وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرُّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَأَاهُمْ أَرْسَلَ يَدِي فَقُلْتُ لَهُ أَرِيدُ
الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهِمَا مِنَ
السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنْ هَذَا مِمَّا سَمَّيْتُهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمَكِّنُ خِلَافَهُ
فَقَرَّكُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا... وَلَمَّا ظَهَرَ لِي كُنْتُ فِي صُحْبَةِ
الْحَاثُونَ مِنْ الْأَتْرَاكِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمَقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ
فِي الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنَتْ لَهُمْ . وَأَعْطَتْهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا وَأَجْزَاتٍ
عَلَى الْعَطَاءِ وَأَوْصَتْ بِي أَحَدَ أَمْرَائِهَا فَوَدَّعْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ . فَكَانَ مَدَّةُ
مُقَامِي عَنْدهُمْ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظار في عجائب الاسفار)

يُوتُ. وَاحِدُهُمَا يَسْكُنُهُ الْعِمْيَانُ وَالثَّانِي يَسْكُنُهُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخِدْمَةَ مِمَّنْ بَلَغَ السَّيْنَ أَوْ نَحْوَهَا : وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
كَسْوَتُهُ وَنَفَقَتُهُ مِنْ أَوْقَافٍ مَعِينَةٍ لِذَلِكَ . وَفِي دَاخِلِ كُلِّ مَانِسْتَارٍ
مِنْهَا دُورَةٌ لِتَعْبُدَ الْمَلِكَ الَّذِي بَنَاهُ وَكَثُرَ هَوْلَاءُ الْمُلُوكِ إِذَا بَلَغَ السَّيْنَ
أَوِ السَّعْيَيْنَ بَنَى مَانِسْتَارًا وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَهِيَ ثِيَابُ الشَّعْرِ وَقَدْ وَلَدَهُ
الْمَلِكُ وَاشْتَقَلَ بِأَعْبَادَةٍ حَتَّى يَمُوتَ . وَهُمْ يَحْتَفِلُونَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ
الْمَانِسْتَارَاتِ وَيَعْمَلُونَهَا بِالرَّخَامِ وَالْفَسْفَسَاءِ وَخِي كَثِيرَةٍ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ .
وَدَخَلْتُ مَعَ الرُّومِيِّ الَّذِي عَيْنَهُ الْمَلِكُ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ إِلَى مَانِسْتَارٍ لِسَمْعِهِ
نَهْرٌ وَفِيهِ كَنِيسَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْكَارِ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ وَرُؤُوسُهُنَّ مَحْلُوقَةٌ
فِيهَا قَلَانِيسُ اللَّبَدِ وَعَلَيْهِنَّ أَثَرُ الْعِبَادَةِ . وَقَالَ لِي الرُّومِيُّ : إِنَّ هَوْلَاءَ
الْبَنَاتِ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لَخِدْمَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ . وَدَخَلْتُ
مَعَهُ إِلَى كَنَائِسٍ فِيهَا الرُّهْبَانُ يَكُونُ فِي الْكَنِيسَةِ مِنْهَا مِائَةُ رَجُلٍ وَكَثُرُ
وَأَقَلُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُتَعَبِدُونَ وَقَسِيسُونَ وَكَنَائِسُهَا لَا تُحْصَى
كَثْرَةً . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يَجْعَلُونَ عَلَى
رُؤُوسِهِمُ الْمِظَلَّاتِ الْكُبَارَ شِتَاءً وَصَيْفًا . وَالنِّسَاءُ لهنَّ عَمَائِمُ كُبَارُ
٣٩٨ (ذَكَرَ الْمَلِكُ الْمُتَرَهَّبُ جَرَجِيسَ) وَهَذَا الْمَلِكُ وَلَّى الْمَلِكُ لِابْنِهِ
وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَبَنَى مَانِسْتَارًا كَمَا ذَكَرْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاحِلِهَا .
وَكَنتُ يَوْمًا مَعَ الرُّومِيِّ الْعَيْنِ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ فَإِذَا بِهَذَا الْمَلِكِ مَاشِيًا عَلَى
قَدَمَيْهِ . وَعَلَيْهِ الْمُسُوحُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوءَةٌ لَبْدٌ وَلَهُ لَحْيَةٌ بَيْضَاءُ طَوِيلَةٌ

وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمْ
الْمُعَقَّبَاتُ . وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ
بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَمِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ
بِالْكَائِنَاتِ هُمْ مَلَائِكَةُ شَأْنِهِمْ إِصْلَاحُ الْكَائِنَاتِ وَدَفْعُ الْفَسَادِ عَنْهَا .
وَقَدْ وَكَّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ

في حقيقة العناصر وطبائعها وترتيبها

٤٠٠ ذهبوا إلى أَنَّ العنصرَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ
الْأَجْسَامُ الَّتِي دُونَ فَلَكِ الْقَمَرِ . وَتِلْكَ الْأَجْسَامُ أَمْهَاتُ وَمَوْلِدَاتُ
الْمُعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَيُقَالُ لِلْأَمْهَاتِ الْأَرْكَانُ . وَالْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ
النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ . فَالنَّارُ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ
تَحْتَ أَلْفَلَكَ وَفَوْقَ الْهَوَاءِ . وَالْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ الطَّبِيعِيُّ تَحْتَ
الْهَوَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ . وَالْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ الْوَسْطَى
فصل في فوائد الجبال وعجايبها

٤٠١ أَمَّا فَايِدَتِهَا الْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ لَمْ تَكُنِ الْجِبَالُ لَكَانَ
وَجْهُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ . وَكَانَتْ مِيَاهُ الْبِحَارِ تَغْطِيهَا مِنْ جَمِيعِ
جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةً كُرَّةِ الْهَوَاءِ بِالْمَاءِ فَتَبْطُلُ الْحِكْمَةُ الْمَوْدَعَةُ
فِي الْمُعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . فَأَقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَجُودَ
الْجِبَالِ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحِكْمَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْجِبَالَ سَبَبُ
لِوُجُودِ الْمَاءِ الْعَذْبِ السَّائِحِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ

في سكان السموات وهم الملائكة

٣٩٩ إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ جَوَاهِرُ مُقَدَّسَةٍ عَنْ ظُلْمَةِ الشَّهْوَةِ وَكُدُورَةِ
الْغَضَبِ. لَا يَمُوتُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. طَعَامُهُمُ
السَّنْبِجُ وَشَرَابُهُمُ التَّقْدِيسُ. وَأَنْسُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَفَرَحُهُمْ بِعِبَادَتِهِ.
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي فُضَاءِ الْأَفْلَاقِ وَسِعَةٌ
السَّمَاوَاتِ خَلْقُ فُكَيْفٍ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ الْبَارِي تَعَالَى تَرَكَهَا فَارِعَةً خَاوِيَةً
مَعَ شَرَفِ جَوْهَرِهَا. وَإِنَّهُ لَمْ يَتْرِكْ قَعْرَ الْجَارِ الْمَالِحَةِ الْمُظْلَمَةِ فَارِعًا حَتَّى
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرَهَا. وَلَمْ يَتْرِكْ جَوْهُهُ الرِّقِيقِ
حَتَّى خَلَقَ لَهُ أَنْوَاعَ الطَّيْرِ تَسْبِجُ فِيهِ كَمَا تَسْبِجُ السَّمَكُ فِي الْمَاءِ. وَلَمْ
يَتْرِكْ الْبَرَارِي الْيَاسِيَّةَ وَالْأَجَامَ الْوَحِلَةَ وَالْجِبَالَ الرَّاسِيَّةَ الصُّلْبَةَ حَتَّى
خَلَقَ فِيهَا أَجْنَاسَ السِّبَاعِ وَالْوُحُوشِ. وَلَمْ يَتْرِكْ ظُلُمَاتِ التُّرَابِ حَتَّى
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْهُوَامِّ وَالْحَشَرَاتِ

وَالْمَلَائِكَةُ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْكَرُوبِيُّونَ وَهُمْ الْعَاكِفُونَ فِي حَضْرَةِ
الْقُدْسِ لَا انْتِفَاقَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِاسْتِعْرَاقِهِمْ بِجَمَالِ الْحَضْرَةِ
الرُّبُوبِيَّةِ وَجَلَالِهَا يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ. وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مُدَاوِمُونَ عَلَى السَّنْبِجِ وَالتَّهْلِيلِ فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ

الزَّمانَ . وَهُوَ لَيْنٌ أَصْفَرُ بَرَّاقٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ثَقِيلُ رَزِينٌ . فَصْفَرُهُ لَوْنُهُ مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَلَيْنُهُ مِنْ ذَهْنِيَّتِهِ . وَبَرِّيقُهُ مِنْ صَفَاءِ مَا بَيْنَتِهِ . وَثِقَلُهُ مِنْ تَرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قِوَامُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَنِظَامُ أَحْوَالِ الْخَلْقِ لَا ضَظْطَارِهُمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُتَحَاجٌّ إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلِلَّهِ مَمْلُوكٌ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ الثِّيَابَ وَهُوَ مُتَحَاجٌّ إِلَى الْبَرِّ . وَلَعَلَّ صَاحِبَ الْبَرِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الثِّيَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ . فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّرَاهِمَ وَالذَّنَابِيرَ مُتَوَسِّطِينَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يُبْذَلَ فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهَلَا كَالْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ يَفْضِيَانِ حَوَاجَّ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا

٤٠٤ (الْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِيرُ الْمَادَّةِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ . وَهُوَ أَكْثَرُ فَايِدَةٍ مِنْ سَائِرِ الْفَلَازَاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ . فَالْبَأْسُ فِي النُّصُولِ الْمُتَخَذَةِ مِنْهُ . وَالْمَنَافِعُ فِي الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (الشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ بِمِثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْعِظَامِ وَالنُّجُومُ بِمِثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ . وَالْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق انما يحصل بتركيب الأكسجين في الغالب مع المادة أو مع جزء منها

النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَذَلِكَ لِأَنَّ سَبَبَ هَذَا الْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ انْتِعَادُ النَّجَارِ فِي الْجَوِّ أَغْنَى السَّحَابَ . وَالْجِبَالُ الشَّامِخَةُ الطُّوَالُ عَلَى بَسِطِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَجَنُوبًا وَشِمَالًا تَمْنَعُ الرِّيحَ أَنْ تَسُوقَ النَّجَارَ بَلْ تَجْعَلَهَا مُنْخَصِرَةً بَيْنَهَا حَتَّى يَلْحَقَهَا الْبَرْدُ قَصِيرَ مَطَرًا وَثَلْجًا . فَلَوْ فُرِضَتْ الْجِبَالُ مُرْتَفِعَةً عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ لَكَانَتْ الْأَرْضُ كُرَةً لَا غُورَ فِيهَا وَلَا نَتْوً . فَالنَّجَارُ الْمُرْتَفِعُ لَا يَبْقَى فِي الْجَوِّ مُنْخَصِرًا إِلَى وَقْتِ يَضْرِبُهُ الْبَرْدُ بَلْ يَتَخَلَّلُ وَيَسْتَحِيلُ هَوَاءً فَلَا يَجْرِي الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا قَدَرًا مَا يَنْزِلُ مِنَ الْمَطَرِ ثُمَّ تَنْسِفُهُ الْأَرْضُ . فَكَانَ يَعْزِضُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ النَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ يَعْذَمُ الْمَاءُ فِي الصَّيْفِ كَمَا فِي الْبُوَادِي الْبَعِيدَةِ . فَأَقْنَضَى التَّدْبِيرُ الْإِلَهِيُّ وُجُودَ الْجِبَالِ لِتُخَصَّرَ النَّجَارُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَغْوَارِهَا وَتَمْنَعَهُ مِنَ السَّيْلَانِ وَتَمْنَعُ الرِّيحَ أَنْ تَسُوقَهُ

المعدنيات

٤٠٢ الْمَعَادِنُ لَا تَكَادُ تُخَصَّى لَكِنَّ مِنْهَا مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَمِنْهَا مَا لَا يَعْرِفُونَهُ وَهِيَ مَشْهُومَةٌ إِلَى مَا يَذُوبُ وَإِلَى مَا لَا يَذُوبُ . وَالَّذِي أَشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْمَعَادِنِ سَبْعَةٌ وَهِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْقَصْدِيرُ وَالْأَسْرُبُ وَالْحَارَصِينِيُّ

٤٠٣ (الذَّهَبُ) . طَبْعُهُ حَارٌّ لَطِيفٌ لَا يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ لِأَنَّ النَّارَ لَا تَقْدِرُ عَلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ (*) . وَلَا يَبْلَى فِي التُّرَابِ وَلَا يَصْدَأُ عَلَى طُولِ

(٠) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على افتراق الاجزاء وقد اتفق المحدثون

سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا كَمَا تَرَى فِي الرَّمَانَةِ
الَّتِي أَحْرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَانِبِ . ثُمَّ إِذَا فُرِغَتِ الثَّمَرَةُ تَنَازَلَتْ
الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا تَجْدِبَ مَائِيَةِ الشَّجَرَةِ فَتَضَعُ قُوَّتَهَا (للقزويني)
٤٠٦ (الْبَلْسَانُ) . لَا يُوْجَدُ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَّا بِمَضَرٍ بَيْنَ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحَفَظٌ بِهِ مَسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنَةٍ . وَارْتِفَاعُ
شَجَرَتِهِ نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قَشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ
وَالْأَسْفَلُ أَخْضَرُ نَحِينٌ . وَإِذَا مُضِغَ ظَهَرَ فِي الْقَهْمِ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَائِحَةٌ
عَظِيمَةٌ . وَوَرَقُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ السَّدَابِ وَيُجْتَنَى دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِى
بِأَنَّهُ تُشَدَّخُ السُّوقُ بَعْدَ مَا يُحْتَمَلُ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا . وَشَدَّخُهَا يَكُونُ
مِجْرَةً تُتَّخَذُ مُحَدَّدَةً وَيَتَقَرُّ شَدَّخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ بِحَيْثُ يَقْطَعُ الْقِشْرُ
الْأَعْلَى وَيَشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْفُذُ إِلَى الْخَشَبِ . فَإِنْ نَفَذَ إِلَى
الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . فَإِذَا شَدَّخَهُ كَمَا وَصَفْنَا أَهْلَهُ رَيْثًا يَسِيلُ
لَشَاهٍ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِإِصْبَعِهِ مَسْنَحًا إِلَى قَرْنٍ . فَإِذَا أُمْتَلَأَ صَبَّهُ فِي
قَنَائِي زَجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لَئَاهُ . كُلَّمَا
كَثُرَ النَّدَى فِي الْجَوِّ كَانَ لَئَاهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ . وَفِي الْجُدْبِ وَقَلَّةُ
النَّدَى يَكُونُ اللَّيْلُ أَزْرَ . ثُمَّ تُوْخَذُ الْفَنَائِي فَتُدْفَنُ إِلَى الْهَيْظِ وَحِمَارَةٍ
الْحَرِّ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ . ثُمَّ تَتَفَقَّدُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُوجَدُ
الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَرَقَ رُطُوبِيَّةٌ مَائِيَّةٌ وَأَثَالُ أَرْضِيَّةٌ فَيُطْفَأُ الدَّهْنُ .
ثُمَّ تَمَادَى إِلَى الشَّمْسِ . وَلَا يَزَالُ يُسَمَّىهَا وَيُطْفَأُ دُهْنُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى

الْعِظَامُ لَا تَمُرُّ لَهَا كَالسَّاجِ وَالذَّلْبِ وَالْعَرَعِ (*) لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ
إِلَى نَفْسِ الشَّجَرَةِ . وَلَا كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُشْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ
إِلَى الشَّجَرَةِ وَالشَّرَةِ . وَقَدْ يُشَارِكُ النَّبَاتُ الْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ .
فَإِنَّ الْغِذَاءَ كَمَا يَجْرِي فِي بَدَنِ الْحَيَوَانِ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ
مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي صُبَّ فِي أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ إِلَى
الْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ الْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُبْشِرَ فِي
جَمِيعِ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَوْرَاقِ وَيُعْذِي كُلَّ جُزْءٍ
مِنْ كُلِّ وَرْقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقِ شَعْرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ تَرَى فِي
أَصْلِ الْوَرَقِ وَكَأَنَّ الْعِرْقَ الْكَبِيرَ نَهْرٌ . وَمَا يَتَشَعَّبُ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي
جَمِيعِ عَرْضِ الْوَرَقِ فَيَصِلُ الْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْوَرْقَةِ . وَكَذَلِكَ
إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْفَوَاكِه (*) . وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلَقَ
الْأَوْرَاقَ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوَفَايَةً لِمَمَارِهَا مِنْ نِكَايَةِ الشَّمْسِ
وَالْهَوَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفَعَةً عَنِ الشَّجَرِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ التَّفَرُّقِ
لَا مُتَكَائِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً مَعَهَا لِتَأْخُذَ الشَّمْسُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنْ
الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى . وَلَوْ تَكَائِفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةُ النَّسِيمِ
وَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَبْقِيَتْ عَلَى فُجَاجَتِهَا غَلِيظَةً الْجِلْدِ قَلِيلَةَ الْمَاءِ . وَإِذَا

(*) يَرُدُّ قَوْلَ الْقَزَوِينِيِّ أَنَّ الْجُوزَ وَالنَّارَجِيلَ يَتِمَرَانِ بِكُلِّ مَاءٍ عَنِ الْأَشْجَارِ الْعِظَامِ وَالصَّحِيفِ
أَنَّ ثَمَرِ الْأَشْجَارِ الْعِظَامِ أَصْغَرُ مِنْ ثَمَرِ الْأَشْجَارِ الصَّغَارِ

(*) كَانَ قَدَمَاءُ الطَّبِيعِيِّينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الشَّجَرَةَ لَا تَعْزِي الْأَبْصَالَهَا وَفَرْعُهَا وَإِنَّمَا غِذَاؤُهَا
يَكُونُ أَيْضًا بِأَوْرَاقِهَا الَّتِي هِيَ فِيهَا بِمِثْلَةِ الْمَسَامِ فِي الْجَسَدِ

وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ الْكِبَارُ فَلَيْسَ فِيهَا تَصْبِرُ عَلَى الْبَرْدِ وَكَذَلِكَ الْأَشْجَارُ . ثُمَّ إِنَّ
عُقُولَ الْمَعْلَاءِ مُتَحَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا . وَأَفْهَامُ الْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ
عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَفَوَائِدِهَا . وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ صُورِ
قَضَائِبِهَا وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْرَاقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَوُّعِ كُلِّ
لَوْنٍ مِنْهَا . كَالْحُمْرَةِ مَثَلًا فَلَيْسَ قَدْ تَكُونُ أَرْجَوَانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي السُّوسَنِ .
وَقَدْ تَكُونُ مُشَبَّعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ النُّعْمَانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً
كَالْأَذْرَبُونِ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَالْوَرْدِ هَكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا .
ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمَخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِي الطَّيِّبِ .
ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَرَقًا وَزَهْرًا وَيَعْرِقُ شَكْلًا
وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلَّ خَاصِّيَّاتٍ لَا يَرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ . وَالَّتِي
عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِاللِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ (الْقُرُونِي)
٤١٢ (الْبَلَامِيَّةُ) . وَهِيَ ثَمَرٌ يَقْدَرُ إِيَّاهُ الْيَدُ كَأَنَّهُ جِرَاءُ الْفَتَاءِ
شَدِيدِ الْخُضْرَةِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زَنْبَرًا مَشُوكًا وَهُوَ مُحْمَسُ الشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ
حِمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شَقَّ أَشَقَّ عَنْ خَمْسَةِ أَيْتٍ يَبْنِيهَا حَوَاجِزُ . وَفِي
تِلْكَ الْأَيْتِ حَبٌّ مُصْطَفًى مُسْتَدِيرٌ أَيْضًا أَصْغَرُ مِنَ الْأُوبِيَاءِ هَشٌّ
يَضْرِبُ إِلَى الْحَلَاوَةِ . وَفِيهِ أَلْعَابِيَّةٌ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ اللَّحْمَ
بِأَنْ يَقْطَعَ مَعَ قُشُورِهِ صِغَارًا وَيَكُونُ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ . أَلْعَابُ عَلَى
طَبْعِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَلَا يَظْهَرُ فِي طَبْعِهِ قَبْضٌ بَلْ لَرُوحَةٌ

٤١٣ (الْمُقَلِّسُ) . هُوَ أَصُولٌ يَقْدَرُ الْحَيَارُ . وَهُوَ صِغَارٌ كَالْأَصَابِعِ

فِي الشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِالْأَنْبِ عِنْدَ تَرْبِيهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقْلِبُونَهُ حَتَّى
يَسْتَحْكِمَ يَبْنَاهُ وَيَسْوَدَّ . ثُمَّ يَبْعُونَهُ مِنَ التُّجَارِ . وَلَقَدْ رَأَتْهُ مَدِينَةٌ
فَالْهُوَ طَافَ يَصُبُّ لِلْكَائِلِ كَالذَّرَّةِ بِيَلَادِنَا (لابن بطوطة)

النجوم

٤١١ (النجوم) كُلُّ نَبْتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مَرْتَفِعٌ كَالزُّرْعِ وَالْبَقُولِ
وَالرِّيَّاحِينَ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ
يُنْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُجْرِي يَا بَسَ أَنْهَارَهَا وَيَنْشُرُ رُفَاتِ نَبَاتِهَا
حَتَّى تَرَى مِنَ الْأَوْرَاقِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ الْأَزْهَارِ مُحْمَرَّةً وَمُضَفَّرَةً .
لِيَسْتَدِيلَ بِهِ ذُو الطَّعْمِ السَّلِيمِ . وَالْفَهْمُ الْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ .
وإِعَادَةِ الْعِظَامِ الرُّفَاتِ

وَمِنَ الْأُمُورِ الْمُحْيِيَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْحَيِّ فَإِنَّهَا
إِذَا وَقَعَتْ فِي بطنِ الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ الَّتِي
تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءٌ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مِمَّا حَوْلَ إِلَيْهَا . كَشَعْلَةِ نَارٍ
السِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِي السِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ خَلْقِهَا اللَّهُ
تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ الْحَيِّ صَارَتْ
غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا . وَالنُّجُومُ فِي جِنْسِ
النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغَارِ فِي جِنْسِ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارُ الْكِبَارُ
كَالْحَيَوَانَاتِ الْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

الطَّيْرِ فَقَدْ يَطِيرُ الْجَعْلَانُ وَالذُّبَابُ وَالزَّنَابِيرُ وَالْجَرَادُ وَالنَّمْلُ وَالْقَرَّاشُ
وَالْبَعُوضُ وَالْأَرْضَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَلَا تُسَمَّى طُيُورًا (للدميمي)

الانسان

٤١٥ (إِنْسَانُ). قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ الْإِمَامُ
الْعَلَّامَةُ : لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقٌ أَحْسَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
خَلَقَهُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا وَهَذِهِ صِفَاتُ الرَّبِّ
جَلَّ وَعَلَا . قَالَ تَعَالَى : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَهُوَ
أَعْبَدَالُهُ وَتَسْوِيَةُ أَعْضَائِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مُنْكَبًا عَلَى وَجْهِهِ
وَخَلَقَهُ سَوِيًّا . وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِيقٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَدٌ وَأَصَابِعٌ يَفْضُ بِهَا . مُؤَدِّبًا
بِالْأَمْرِ مُهْدِّبًا بِالتَّمْيِيزِ . يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ وَمَشْرُوبَهُ بِيَدِهِ . وَأَفْتَحَ ابْنَ
بُخْتِشُوعَ الطَّبِيبَ النَّصْرَانِيَّ كِتَابَهُ فِي الْحَيَوَانِ بِالْإِنْسَانِ وَقَالَ : إِنَّهُ
أَعْدَلُ الْحَيَوَانِ مِزَاجًا وَأكْمَلُهُ أَفْعَالًا وَالطُّفْهُ حِسًّا وَأَنْفَذَهُ رَأْيًا . فَهُوَ
كَأَمَلِكِ الْمُسَاطِطِ الْقَاهِرِ لِسَانِ الْخَلِيقَةِ وَالْأَمْرِ لَهَا . وَذَلِكَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ
تَعَالَى لَهُ مِنْ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ يُمَيِّزُ عَلَى كُلِّ الْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيِّ فَهُوَ
بِالْحَقِيقَةِ مَلِكُ الْعَالَمِ . وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ قَوْمٌ مِنَ الْأَقْدَمِينَ الْعَالَمِ الْأَصْغَرَ

النعيم

٤١٦ النَّعِيمُ وَهِيَ تَشْمَلُ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالنَّعَمَ هِيَ كَثِيرَةٌ أَفْعَالَةٌ
سَهْلَةٌ الْإِنْقِيَادِ . لَيْسَ لَهَا شِرَاسَةُ الدَّوَابِّ وَلَا نَفْرَةُ السِّبَاعِ . وَلِشِدَّةِ
حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا يُخْلَقُ اللَّهُ مُجَانَهُ وَتَعَالَى لَهَا سِلَاحًا شَدِيدًا كَأَنْيَابِ

يَضْرِبُ إِلَى حَرَّةٍ خَفِيفَةٍ يُقَشِّرُهُمْ يُشَقِّقُ عَلَى مِثْلِ السَّجْمِ . وَهُوَ كَيْفُ
 مَكْنَزٍ يُشَابِهُ الْوَزَّ الْأَخْضَرَ الْفَجَّ فِي طَعْمِهِ . وَفِيهِ قَبْضٌ يَسِيرٌ مَعَ
 حَرَاةٍ قَوِيَّةٍ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَيَتَسَبَّحُ . فَإِذَا سَلِقَ زَالَتْ حَرَاةُهُ
 جُمْلَةً وَحَدَّثَ لَهُ مَعْمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ الْيَسِيرِ لِرُوحَةٍ مُغَرَّيَّةٍ كَانَتْ فِيهِ
 بِالْقُوَّةِ . إِلَّا أَنَّ حَرَاةَهُ كَانَتْ تُخَفِّفُهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذَلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ
 غَلِيظًا بَطِيءُ الْهَضْمِ ثَقِيلًا فِي الْمِعْدَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ
 وَالْعُصَّةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمِعْدَةِ
 (لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

١٤٤ الحيوانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ . قَالَ الْجَالِظُ : الْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ
 أَقْسَامٍ . شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَمْشِي وَيَطِيرُ وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ .
 فَأَمَّا النَّوْعُ الَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : نَاسٌ وَبَهَائِمٌ وَسِبَاعٌ .
 وَالطَّيْرُ كُلُّهُ سَبْعٌ وَبَهِيمَةٌ وَهَمَجٌ . وَالْحَشَّاشُ مَا لَطَفَ جَرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ
 وَكَانَ عَدِيمَ السِّلَاحِ . وَالْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ الطُّيُورِ وَلَكِنَّهُ يَطِيرُ . وَهُوَ فِيمَا
 يَطِيرُ كَالْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي . وَالسَّبْعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خَالِصًا .
 وَالْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ الْحَبَّ خَالِصًا . وَالْمُشْتَرِكُ كَالْمُضْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي
 مَخْلَبٍ وَلَا مَنَسَرٍ وَهُوَ يَلْقُطُ الْحَبَّ وَمَعَ ذَلِكَ يَصِيدُ النَّمْلَ وَيَصِيدُ الْجُرَادَ
 وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ وَلَا يَزُقُّ فِرَاحَهُ كَمَا يَزُقُّ الْحَمَامُ فَهُوَ مُشْتَرِكٌ الطَّبِيعَةِ .
 وَأَشْبَاهُ الْمُصَافِيرِ مِنَ الْمُشْتَرَكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجُنَاحَيْنِ مِنْ

فِي رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ . فَأَلَا إِنْسَانٌ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ السَّبَاعِ . وَلِأَنَّ
 حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَمَبَ ضَبْطُهُ .
 وَالْبَقَرُ الْأَجَمُ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَمِيلُ عَمَلُ الْقَرْنِ كَمَا تَرَى
 مِنَ الْحَاجِلِ قَبْلَ تَبَاتِ الْقَرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا . وَذَلِكَ لِمَعْنَى حُقَاقِ
 لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِالطَّبَعِ . وَلَمْ يُخْلَقِ لِلْبَقَرِ الثَّنَائِيَا الْقَوَائِيَّةُ فَيَقْلَعُ
 الْحَشِيشَ بِالسُّفْلَانِيَّةِ (للقرويني)

٤١٩ (ظُنِّي الْمَسْكُ) . هُوَ كَسَائِرِ الطَّبَاءِ عِنْدَنَا فِي الْقَدِّ وَالْوَنِّ
 وَدِقَّةِ الْقَوَائِمِ وَأَفْتِرَاقِ الْأَظْلَافِ وَأَنْتِصَابِ الْقُرُونِ وَأَنْتِطَافِهَا .
 وَلَهُ نَابَانِ دَفِيقَانِ أَبْيَضَانِ فِي الْفَكَّيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ الظَّنْبِيِّ . طُولُ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْقَالُ فِترٍ وَدُونُهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ الْفِيلِ فَهُوَ الْفَرْقُ
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ الطَّبَاءِ . وَأَجُودُ الْمَسْكِ كَأَنَّ مَا حَمَكَهُ الظَّنْبِيُّ عَلَى
 أَحْجَارِ الْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةَ تَصْيِيرٍ فِي سُرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دِمَاعِيْطًا
 كَأَجْتِمَاعِ الدَّمِّ فِيمَا يَغْرِضُ مِنَ الدَّمَامِلِ . فَإِذَا أَدْرَكَ حَكْمَهُ وَأَضْيَرَهُ
 فَيَفْرُغُ إِلَى الْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرُقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَفٌّ
 وَأَنْدَمَلٌ وَعَادَتِ الْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَيْنَ ذِي قَبْلِ . وَبِأَثْبَتِ رِجَالٍ
 يُخْرِجُونَ فِي طَلَبِ هَذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ . فَإِذَا وَجَدُوهُ الْقَطُوءَ وَجَمَعُوهُ
 وَأَوْدَعُوهُ النَّوَاجِحَ وَحَمَلُوهُ إِلَى مُلُوكِهِمْ . وَهُوَ نَهَايَةُ الْمَسْكِ إِذَا كَانَ قَدْ
 أَدْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ . وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ
 مِنَ الثِّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (للمسودي)

السباع وربانيتها وأنياب الحشرات وإبرها. وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذلولاً تقاد بالأيدي فيها ركوبهم ومنها يأكلون. وجعل الله قرنها سلاحاً لتأمن به من الأعداء. ولما كان مآكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواه واسعة وأسناناً حاداً وأضراساً صلاباً لتطحن بها الحب والتوى

٤١٧ (الجاموس) . هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس . وهو مع ذلك أخرج خلق الله يفرق من عصب بعوضة ويهرب منها إلى الماء والأسد يخافه . وهو مع شدته وغلظه ذكي . ويقال إنه لا ينام أصلاً لكثرة حراسته لنفسه وأولاده . وإذا أجمت ضربت دائرة وتجعل رؤسها خارج الدائرة وأذنانها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها . والذكر منها يناطح ذكراً آخر . فإذا غلب أحدها دخل أجمه فيقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوي فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده . وهو يتنفس في الماء غالباً إلى خرطوميه . والجاموس يقتل التمساح مع عظم بدنه وهول جسده . يمشي إلى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجاش . وليس في قرنيه حدة كما في قرن البقر فضلاً عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابه (للدميري)

٤١٨ (بقر) . حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولاً مُنقاداً للناس . ولما لم يُخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

الْفَيْلُ يَضْرِبُ بِهِمَا . وَرَأْسُهُ كَرَأْسِ الْجَمُوسِ . وَلَهُ ظِلْفٌ كَمَا لِلْبَقَرِ
يُلَطِّخُ بِهِ بِالطَّيْنِ وَالْأَشْيَاءَ اللَّزْجَةَ حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ كَالْجَوْشَنِ لَا
تَعْمَلُ فِيهِ أَنْيَابُ الْخَنَازِيرِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ . وَأَنْثَاهُ أَنْسَلُ الْحَيَوَانَاتِ لِأَنَّهَا
تَضَعُ عِشْرِينَ خَنُوصًا . فَالْخَنَزِيرُ يَأْكُلُ الْحَيَّةَ أَكْلًا ذَرِيْعًا وَسَمُ الْحَيَّةِ لَا
يَعْمَلُ فِي الْخَنَزِيرِ . وَهُوَ أَرْوَعُ مِنَ الثَّعْلَبِ . يَهْرُبُ مِنَ الْفَارَسِ حَتَّى
يَطْمَعُ فِيهِ الْفَارَسُ وَيَعْدُو خَلْفَهُ وَيَتَبَّ ثُمَّ يَكْرَعُ عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ الْفَرَسَ
أَوْ الْفَارَسُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً يَنَابِهَ فِيَقْتُلُهُ (للقزويني)

٤٢٣ (الذَّبُّ) . حَيَوَانٌ كَثِيرُ الْخَبَثِ ذُو غَارَاتٍ وَخُصُومَاتٍ
وَمَكَابِرَةٍ وَخَتَلٍ شَدِيدٍ . وَقَلَّمَا يُخْطِئُ فِي وَثْبَتِهِ . وَعِنْدَ اجْتِمَاعِهَا لَا
يَنْفَرِدُ أَحَدٌ مِنْهَا إِذْ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا . وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهَا جَرَحَةٌ
أَوْ ضَرْبَةٌ عَلِمَتْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ فَاجْتَمَعَتْ وَأَكَلَتْهُ . وَإِذَا نَامَتْ الذَّنَابُ
وَأَجَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يَنَامُ خَلْفُهُ حَتَّى يَنْظُرَ أَحَدُهَا إِلَى الْآخَرِ وَقِيلَ
إِنَّهُ يَنَامُ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ وَيَفْتَحُ الْآخَرَى . قَالَ حَمِيدُ الْهَلَالِيِّ :

يَنَامُ بِإِحْدَى مُثْلَيْهِ وَيَتَّقِي الْمَنَايَا بِآخَرَى فَهُوَ يَقْضَانُ هَاجِعُ
وَإِذَا عَجَزَ عَنْ غَلَبَةِ مَنْ يَقَاوِمُهُ يَعْوِي حَتَّى يَأْتِي مَا يَسْمَعُ عَوَاءَهُ مِنْ
الذَّنَابِ يُعَاوِنُهُ . وَإِذَا مَرِضَ أَنْفَرَدَ عَنِ الذَّنَابِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا إِنْ أَحْسَتْ
بِمَرَضِهِ أَكَلَتْهُ . وَفِيهِ مِنْ قُوَّةِ حَاسَةِ الشَّمِّ أَنَّهُ يُذْرِكُ الشُّبُومَ مِنْ
فَرَسَخٍ . وَكَثُرَ مَا تَعَرَّضَ لِلْغَنَمِ فِي الصَّبْحِ وَإِنَّمَا يَتَوَقَّعُ فِتْرَةَ الْكَلْبِ
وَنَوْمَهُ وَكَوَلَالَهُ لِأَنَّهُ يَظَلُّ طَوْلَ لَيْلِهِ حَارِسًا مُتَّقِظًا . وَمِنْ غَرِيبِ

٤٢٠ (فَرَسٌ) . مِنْ أَحْسَنِ الْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ الْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدَّ الدَّوَابِّ عَدُوًّا وَذَكَاءً . وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ . مِنْ ذَلِكَ حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدُوهِ وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِقَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ أَنْتَادَلَهُ . وَمِنْهَا مَا يَلْبَسُ الْفَارِسُ عَلَى ظَهْرِهِ بِالْكُرَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ الرَّكَّابُ أَنْ يَضْرِبَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى الْكُرَّةِ كُلَّمَا رَأَى الْكُرَّةَ يَعْدُو خَلْفَهَا . وَمِنْ الْقَرَسِ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَهُ فَلَا يُمْكِنُ غَيْبُهُ مِنْ رُكُوبِهِ . وَمِنْ الْخَيْلِ مَا يَلْتَقِ الظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ رَاكِبَهُ الظَّبْيَ بِالسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (إِبْنُ آوَى) . جَمْعُهُ بَنَاتٌ آوَى وَتُمْنَى ابْنُ آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَى عُوَاءِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْلًا . وَذَلِكَ إِذَا اسْتَوْحَشَ وَبَقِيَ وَحْدَهُ . وَصِيَاحُهُ يُشَبِّهُ صِيَاحَ الصَّبَّيَّانِ . وَهُوَ طَوِيلُ الْمَخَالِبِ وَالْأُظْفَارِ يَعْدُو عَلَى غَيْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا بَصِيدُ مِنَ الطُّيُورِ وَغَيْرِهَا . وَخَوْفُ الدَّلَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ الثَّلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّتْ تَحْتَهَا وَهِيَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوْ الْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا . وَابْنُ آوَى يُفْسِدُ الْكُرُومَ وَالْأَشْجَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ الْمَاءِ جَمَعَ حَزْمَةً مِنَ الْحَشِيشِ وَزَمَمِيهَا فِي الْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ الطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعُ عَلَيْهَا . فَإِذَا رَأَى اسْتَأْنَسَ الطَّيْرُ بِهَا جَعَلَ يَمْشِي خَلْفَهَا وَيَضْطَاطِدُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ

٤٢٢ (الْحَنْزِيرُ) . حَيَوَانٌ سَمِجٌ الشَّكْلُ صَغْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابِي

تأكلها. وَالسَّنُورُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ . أَهْلِيٌّ وَوَحْشِيٌّ وَسَنُورُ الزَّبَادِ .
وَكُلُّهُ مِنَ الْأَهْلِيِّ وَالْوَحْشِيِّ لَهُ نَفْسٌ غَضُوبَةٌ وَيَقْتَرِسُ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ
الْحَيَّ . وَأَمَّا سَنُورُ الزَّبَادِ فَهُوَ كَالسَّنُورِ الْأَهْلِيِّ لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنْبًا
وَأَكْبَرُ جُثَّةً وَوَبَرَهُ إِلَى السَّوَادِ أَمِيلٌ وَرُبَّمَا كَانَ أَثَرٌ . وَيَجِبُ مِنْ بِلَادِ
الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ . وَالزَّبَادُ فِيهِ شَيْءٌ بِالْوَسْخِ الْأَسْوَدِ اللَّزْجِ وَهُوَ ذِفْرُ
الرَّائِحَةِ يُخَاطِطُهُ طَيْبٌ كَطَيْبِ الْمِسْكِ (الدميري)

٤٢٥ (التمر) . ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْأَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ
أَصْغَرُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَسَطْوَةٍ صَادِقَةٍ وَوَثْبَاتٍ شَدِيدَةٍ وَهُوَ
أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْحَيَوَانَاتِ . وَهُوَ ذُو وَشْيٍ وَأَلْوَانٍ حَسَنَةٍ لَا يَرُدُّعُهُ
سَطْوَةُ أَحَدٍ وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْمَسْكِ الدَّهْمِ . وَخَلَقَهُ فِي غَايَةِ الضِّيقِ
لَا يَسْتَأْنِسُ الْبَتَّةَ وَعِنْدَهُ كِبَرٌ وَغَجَبٌ بِنَفْسِهِ إِذَا شَمِعَ نَامَ أَيَّامًا فَإِذَا
أَنْتَبَهَ جَانِمًا خَرَّ شَدِيدًا يَعْرِفُ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ
الصَّيْدَ . وَالنَّمْرُ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ حَيَوَانٍ رَأَاهُ فِي جُوعِهِ وَشَبَعِهِ بِخِلَافِ
الْأَسَدِ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا عِنْدَ جُوعِهِ

الطيور

٤٢٦ (أَبُو بَرَاقِشَ) . طَائِرٌ حَسَنُ الصُّورَةِ طَوِيلُ الرِّقَبَةِ وَالرِّجْلَيْنِ
أَحْمَرُ الْمَنْقَارِ فِي حَجْمِ الْفَلَقِ . يَتَلَوَّنُ كُلَّ سَاعَةٍ بِلَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَحْمَرَ
وَأَصْفَرَ وَأَخْضَرَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي التَّنْقُلِ وَالتَّحْوِيلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
كَأَيِّ بَرَاقِشَ كُلِّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَقَلَّبُ

أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا كَدَّ الْجُوعُ عَوَى فَيَجْتَمِعُ لَهُ الذَّبَابُ وَيَقِفُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَمِنْ وَلَّى مِنْهَا وَتَبَّ إِلَيْهِ الْبَاقُونَ وَآكَلُوهُ . وَإِذَا عَرَضَ لِلْإِنْسَانِ وَخَافَ أَنْ يَجْزَّ عَنْهُ عَوَى عَوَاءً اسْتِغَاثَةً فَتَسْمَعُهُ الذَّبَابُ فَتَقْبِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سَوَاءٌ فِي الْحِرْصِ عَلَى أَكْلِهِ . فَإِنْ أَدْمَى الْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَتَبَّ الْبَاقُونَ عَلَى الْمَدْمَى فَمَزَقُوهُ وَتَرَكَوا الْإِنْسَانَ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالَ عَنْهُ :

وَكُنْتُ كَذِبُ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ ٤٢٤ (السَّنُورُ) . حَيَّانُ الْوُفُ مُتَمَلِّقُ خَلْقِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِدَفْعِ الْفَارِ . وَهُوَ يُحِبُّ النَّظَافَةَ فَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِلَعَابِهِ . وَإِذَا تَلَطَّحَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنْظَفَهُ . وَإِذَا أَلْفُ السَّنُورِ مَنْزِلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ السَّنَانِيرِ الدُّخُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحَارَبَةٍ وَهُوَ مِنْ جَنْسِهِ عِلْمًا مِنْهُ بَأَنَّ أَرْبَابَهُ رَبًّا اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي الْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يَحْزُنُهُ أَصْحَابُ الْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ بِمَا يَسَالُهُ مِنْهُمْ مِنَ الضَّرْبِ . وَإِذَا طَرَدُوهُ تَلَقَّاهُمْ وَتَمَسَّحَ بِهِمْ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُ أَلْتَمَلَقُ وَيُحْصِلُ لَهُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ . وَإِذَا مَرَّ الْفَارُ عَلَى السَّفِّ اسْتَلْقَى يُجَرِّكُ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ لِيَرَاهُ الْفَارُ فَيَسْقُطُ مِنَ السَّفِّ فَرَعًا . وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ الْفَارِ يَلْعَبُ بِهَا زَمَانًا فَرِيمًا يُخْلِيهَا حَتَّى تَمُوتَ فِي الْهَرَبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ . ثُمَّ يَتَبَّ عَلَيْهَا وَيَأْخُذُهَا . فَلَا يَزَالُ يَخْذَعُهَا بِالسَّلَامَةِ وَيُورِثُهَا الْحُسْرَةَ وَالْأَسْفَ وَيَلْتَذُّ بِتَعَذُّبِهَا ثُمَّ

٤٢٩ (الْقُبْرَةُ). الطَّائِرُ ذُو الْأَصْوَاتِ الْمَطْرِبَةِ وَالنَّعْمَاتِ اللَّذِيذَةِ عَلَى رَأْسِهِ قُبْرَةٌ شَبِيهَةٌ بِاللِّطَّائِوُسِ . وَهُوَ شَدِيدُ الْإِحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ مِنْهُ وَشِمَالَهُ وَوَرَاءَهُ . وَمَعَ كَثْرَةِ احْتِيَاطِهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ . يَتَّخِذُ عَسَائِجِبًا لَهُ تَأْلِيفٌ مُجِيبٌ . وَهُوَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ الْكَرَمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلَهَا عَرِيضَةً الْأَوْرَاقِ . وَيَأْتِي بِحَشِيشٍ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ وَيَسْجُجُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْوَادِ سُلَيْلَةً لَطِيفَةً عَجِيبَةً التَّأْلِيفِ لَا يُمَكِّنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا . وَيَدْعُ الْبَيْضَةَ فِيهَا وَتَكُونُ السَّيْلَةُ مُسْتَتِرَةً بِأَوْرَاقِ الشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ : كَانَ طَرَفَةٌ مَعَ عَمِّهِ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ قَتَلُوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرَفَةٌ يَفْحُ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَصَبَّهُ لِقَنْبَرٍ وَبَقِيَ عَامَّةَ يَوْمِهِ لَمْ يَصِدْ شَيْئًا . ثُمَّ حَمَلَ فَخَّهُ وَعَادَ إِلَى عَمِّهِ فَرَحَلُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَرَأَى الْقَنْبَرُ يَلْقُظُنَ مَا نَثَرَهُنَّ مِنْ الْحَبِّ فَقَالَ : يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَأَصْفَرِي قَدْ رُفِعَ الْفُخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي وَنَقَرِي مَا سَنَتِ أَنْ تُقَرِي قَدْ ذَهَبَ الصَّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِكَ يَوْمًا فَاحْذَرِي

الهوام والحشرات

٤٣٠ (حَيَّةٌ) . إِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَيَوَانَاتِ خَلْقَةً وَأَشَدَّهَا بَأْسًا وَأَقْلَمَهَا غِذَاءً وَأَطْوَلَهَا عُمُرًا . قَالُوا لَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ شَيْءٌ يَقْتُلُ نَهْشُهُ أَسْرَعَ مِنَ الْحَيَّةِ وَلَا شَيْءٌ يَنْتَذِي بِالثَّرَابِ غَيْرُهَا . وَمِنْ عَجَائِبِ الْحَيَّةِ

وَعَلَى لَوْنِ هَذَا الطَّائِرِ نُسِجَتِ ثِيَابٌ تُسَمَّى أَبَا قَلَمُونَ تَجَلُّبُ مِنْ
الرُّومِ . وَغَجِبُ هَذَا الطَّائِرِ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (للقرظيني)
٤٧ : (أَلَدِيكُ) . أَكْثَرُ الطُّيُورِ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَبْلَهُ الطَّبِيعَةِ
وَعَلَامَتُهُ حُمْرَةُ الْعُرْفِ وَغَلْظُ الرِّقْبَةِ وَضِيقُ الْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَةُ
الْحَبَابِ وَرَفْعُ الصَّوْتِ . وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَعْرِفَةُ الْأَوْقَاتِ
اللَّيْلِيَّةِ . فَيَقْسِطُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَقْسِيطًا لَا يَكَادُ يُغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا سِوَاهُ
طَالَ أَوْ قَصُرَ . وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَهُ فُسْجَانٍ مِنْ هَذَا
لِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ يَصِفُ دِيكًا :

بَشَّرَ بِالصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفًا هَاجَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا اتَّصَفَا
مُذَكِّرًا بِالصَّبَاحِ صَاحَ بِنَا كَحَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا
صَفَقَ إِمَّا أَرْتِيَا حَةً لِسِنَا الْفَجْرِ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسَفَا
٤٨ : (الصَّقْرُ) . أَحَدُ أَنْوَاعِ الْجَوَارِحِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الصَّقْرُ
وَالشَّاهِينُ وَالْعَقَابُ وَالْبَازِي وَتُنَمَّتْ أَيْضًا بِالسَّبَاعِ . وَهُوَ أَصْبَرُ عَلَى
الشَّدَةِ وَأَحْمَلُ لِلْغَلِظِ الْغَذَاءِ وَالْأَذَى وَأَحْسَنُ أَلْفَةً وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى
جَمَلَةِ الطَّيْرِ مِنَ الْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ . وَصَيْدُهُ عَجَبٌ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ
فَإِذَا أُرْسِلَ صَقْرَانِ عَلَى ظَبْيَةٍ أَوْ بَقَرٍ وَخَشَّ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ
وَيَضْرِبُ بِجَنَاحِهِ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ الْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ
وَيَسْتَفْلَانِهِ عَنْ أَلْشَيْءٍ حَتَّى يُدْرِكَهُ مِنْ يَبْطِشُ بِهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ أَنَّ
الصَّقْرَ مَعَ صَغَرِ جُثَّتِهِ يَثْبُ عَلَى الْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَمَاتِهِ (للميرى)

إِنْسَانٌ وَدَابَّةٌ لِّتَنْهَشَهُ . وَسُئِلَ مَوْتُ سَرِيعٌ

٤٣١ (السَّجَابُ) . حَيَوَانٌ عَلَى حَدِّ الْإِبْرَبِ . أَكْبَرُ مِنَ الْفَارِ وَسَعْرُهُ
فِي غَايَةِ الشُّعْمَةِ يُتَّخَذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفِرَاءُ يَلْبَسُهُ الْمُتَعَمَّرُونَ . وَهُوَ شَدِيدُ
الْجِيلِ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ الْعَالِيَةَ وَفِيهَا يَأْوِي وَمِنْهَا
يَأْكُلُ . وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلَادِ الصَّقَالِيَةِ وَالتُّرْكِ وَمِزَاجُهُ حَارٌّ رَطْبٌ لِسَرْعَةِ
حَرَكَتِهِ عَنِ حَرَكََةِ الْإِنْسَانِ . وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ الْأَزْرَقُ الْأَمْلَسُ

٤٣٢ (عُقْرَبٌ) . أَخْبَثُ الْحَشَرَاتِ . تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ
أَرْجُلٍ وَعَيْنَاهَا عَلَى بَطْنِهَا . وَإِذَا لَدَغَتْ هَرَبَتْ فِي الْحَالِ . وَإِذَا خَرَجَتْ
مِنْ بَيْتِهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ مِنْ حَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَرَبًّا
ضَرَبَتْ الْحَجَرَ وَالْمَدَرُ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عُقْرَبًا وَقَدْ جَمَلَتْ ضَرْبَهَا ذَيْدَنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبَعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْنَا
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَعْرِفُهَا مَنْ أَنَا

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا لَا تَضْرِبُ أَلَيْتَ وَلَا النَّائِمَ حَتَّى يَتَحَرَّكَ بِشَيْءٍ
مِنْ بَدَنِهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُهُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا لَسَعَتْ الْإِنْسَانَ
فَرَّتْ فِرَارًا مَسِيءًا يَخْشَى الْعِقَابَ (للدميمري)

٤٣٣ (قُنْقُذٌ) . الْحَيَوَانُ الَّذِي سِلَاحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ الشُّوْكُ الَّذِي
عَلَيْهِ وَيَشْعُ بِخَيْشٍ لَا يَنْتَبِهُنَّ مِنْ أَطْرَافِهِ شَيْءٌ . وَيَسْتَطِيبُ الْهَوَاءَ وَيَتَّخِذُ
لِمُسْكِنِهِ بَابَيْنِ أَحَدُهُمَا مُسْتَقِيلُ السَّهْلِ وَالْآخَرُ مُسْتَقِيلُ الْجُوبِ

أَنَّهَا إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَقْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَدَنِهَا وَجَعَلَتْ بَدَنَهَا وَقَايَةً
لِرَأْسِهَا وَلَا تَرَالُ تَنْطَوِي لِئَلَّا تَقَعَ الضَّرْبَةُ عَلَى رَأْسِهَا مِلَّاكِ الْحَيَاةِ
وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجَنُهَا أَحْيَاةٌ أَقْوَى مِنْهُ .
وَالذَّلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي جُحْرِ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ
إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرَبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ . وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمُ وَلَا أَظْفَارُ
تَتَشَبَّثُ بِهَا وَإِنَّمَا قَوِي ظَهْرُهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ الْكَثْرَةُ أَضْلَاعُهَا فَإِنَّ لَهَا
ثَلَاثِينَ ضِلْعًا . وَإِذَا مَسَّتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَدَافِعُ أَجْزَاؤُهَا وَتَسْمَعُ بِذَلِكَ
الدَّفْعِ الشَّدِيدِ . وَلِسَانُهَا مَشْقُوقٌ فَيُظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ .
وَتُوصَفُ بِالنَّهَمِ وَالشَّرِّ لِأَنَّهَا تَتَّبَلَعُ الْفِرَاقَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ
الْأَسَدُ . وَهِيَ شَانِيَا أَنَّهَا إِذَا انْتَلَعَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا
فَتَلْتَوِي عَلَيْهَا الْبُؤَاءَ شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذَلِكَ فِي جَوْفِهَا . وَالْحَيَّةُ مِنَ
الْأُمَمِ الَّتِي تَكْثُرُ أَصْنَافُهَا فِي الصَّغَرِ وَالْكِبَرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ
مِنْهُمْ . فَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا وَطِئَتْهُ وَاطَى وَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا
آذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً . وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَحْقِيقُ وَيَتَمَكَّنُ حَتَّى يُدْرِكَ
طَائِلَهُ . وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَفَاعِي وَمَسَاكِينُهَا الرِّمَالُ . وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ رَقِشَاءُ
دَقِيقَةُ الْفُتُقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَالْبَقْرُ الْوَحْشِيُّ يَا كُلُّهَا أَكَلًا ذَرِيمًا
وَهِيَ أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْإِنْسَانِ . قَالَ الْخَالِصُ : الْأَفْعَى تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي
أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَهَجُ ظَاهِرِ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةَ الطَّرِيقِ وَتَسْتَدِيرُ
كَأَنَّهَا رَحًا وَيَلصِقُ بَدَنُهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنْ يَطَّأُ

شَخْصِهِ وَخَفَّةِ وَزْنِهِ لَهُ شَمٌ لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ مِثْلُ ذَلِكَ . فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ شَيْئاً مِنَ التَّمَلُّ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُقْبَلَ كَالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ الْمُدَوْدِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ . وَيَشْمُ رَائِحَةَ الشَّيْءِ الَّذِي لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً (للقزويني)

السَّمَكُ

٤٣٥ السَّمَكُ مِنْ خَلْقِ الْمَاءِ وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ كِبَارٌ . وَمَا لَا يُذَرِّكُهُ الطَّرْفُ لِصَغَرِهِ وَكُلُّهُ يَأْوِي الْمَاءَ وَيَسْتَنْشِقُهُ كَمَا يَسْتَنْشِقُ بَنُو آدَمَ وَحَيَوَانُ الْبَرِّ الْهَوَاءَ إِلَّا أَنَّ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَسْتَنْشِقُ الْهَوَاءَ بِالْأَنْفِ وَيَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى قَصَبَةِ الرِّئَةِ . وَالسَّمَكُ يَسْتَنْشِقُ بِأَصْدَاغِهِ فَيَقُومُ لَهُ الْمَاءُ فِي تَوَلُّدِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِي قَلْبِهِ مَقَامَ الْهَوَاءِ . وَإِنَّمَا اسْتَغْنَى عَنْ الْهَوَاءِ فِي إِقَامَةِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَسْتَغْنِ نَحْنُ وَمَا أَشْبَهَنَا مِنَ الْحَيَوَانِ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْمَاءِ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْضِ . وَصِفَاتُ السَّمَكِ تَحْتَسِرُ مِنْ كِبَارِهِ وَلِذَلِكَ تَطْلُبُ مَاءَ الشُّطُوطِ وَالْمَاءُ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَحْمِلُ الْكَبِيرَ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَكَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ الْمُحَرِّكَةَ لِلْإِرَادَةِ تَجْرِي فِي مَسَالِكِ وَاحِدٍ لَا يَنْقَسِمُ فِي غُضْرٍ خَاصٍ . وَهَذَا يَعْنِيهِ مَوْجُودٌ فِي الْحَيَاتِ . وَمِنْ جُمْلَةِ أَنْوَاعِ السَّقَنْقُورِ وَالذَّلَفِينِ وَالْخُرْسَفَانِ وَالنِّسَاحِ . وَمِنْ أَصْنَافِهِ مَا هُوَ عَلَى سُكُلِ الْحَيَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

٤٣٦ (الذَّلَفِينُ) . دَابَّةٌ مِنَ الْبَحْرِ تُنْجِي الْقَرِيقَ تَسْكِنُهُ مِنْ ظَهْرِهَا لَيْسَتَيْنِ بِهِ عَلَى السِّبَاحَةِ . وَهُوَ كَثِيرٌ بِأَوَاخِرِ نَيْلٍ مَضَرٍّ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ

وَيُعَادِي الْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِقَافِهَا أَكَلَهَا بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنَبِهَا
عَصَّ ذَنَبُهَا وَقَعَّ . وَيُعْطِي الْحَيَّةَ ظَهْرَهُ فَأَلْحِيَّةٌ تُضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ
حَتَّى تَهْلِكَ . وَيَضَعْدُ الْكَرَمَ وَيَزِي حَبَاتِ الْعَنَاقِيدِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَتَمَرَّغُ فِي الْحَبَاتِ لِيُدْخَلَ شَوْكُهُ فِي الْحَبَاتِ وَيَخِيلُهَا إِلَى أَوْلَادِهِ .
وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الدُّلْدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جِسْمًا مِنَ الْفَنْدِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا .
يُنْسَبُ إِلَى الْفَنْدِ كَنِسَبَةِ الْجَامُوسِ إِلَى الْبَقَرِ . قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَزِي
بَشْرَكَ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَزِيهِ كَرَمِي الشَّابِ وَلَا يُخْطِئُ
قَتْمُ الشَّوْكَةِ كَرَمَ الشَّابِ وَتَثَبْتُ فِيهِ

٤٣٤ (نمل) . حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ الْغَدَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ الْحِيلَةِ فِي
طَلَبِ الرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّمَا
يَقُولُ ذَلِكَ مِنْهَا رُؤُوسُهَا . وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَحْتَكِرُ قُوَّتَهُ مِنْ زَمَنِ
الصَّيْفِ لِرَمَنِ الشِّتَاءِ . وَلَهُ فِي الْإِحْتِكَارِ مِنَ الْحِيلِ مَا إِنَّهُ إِذَا احْتَكَرَ
مَا يَخَافُ إِنْ بَاتَتْ قَسَمَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا الْكُسْبَرَةَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا لِمَا إِلَيْهِ
مِنْ أَنْ كُلَّ نِصْفٍ مِنْهَا يَنْبُتُ . وَإِذَا خَافَ الْعَنَنْ عَلَى الْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى
ظَاهِرِ الْأَرْضِ وَنَشَرَهُ . وَإِذَا أَحْسَّ بِالْقَيْمِ رَدَّهُ إِلَى مَكَانِهِ خَوْفًا مِنْ
الْمَطَرِ . فَإِنْ أَتَبَلَّ شَيْءٌ مِنْهَا يَنْسُطُهُ يَوْمَ الصَّخْرِ فِي الشَّنْسِ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ
اتِّخَاذُهُ الْقَرْيَةَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلُ وَدَهَالِيزُ وَغُرُفٌ وَطَبَقَاتٌ
مُنْعَطِفَاتٌ يَنْلَأُهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرٌ لِلشِّتَاءِ . وَيَجْعَلُ بَعْضُ بَيُوتِهَا مُنْخَفِضًا
لِيَنْصَبَّ إِلَيْهِ أَلْمَاءُ وَبَعْضُهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ . وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَاقِهِ

وَعَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَطَمَسَتْ
 آثارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْصَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقِ بِلَغِمْ أَسْرَارِ
 الْفَلَكَ وَمَعْرِفَةِ مَشْهُورَةِ بَطَانِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا . وَهُمْ تَهَجُّوا لِأَهْلِ
 الشَّقِّ الْفَرَسِيِّ مِنْ مَعْمُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَذْيِيرِ أَهْلِيَا كُلِّ
 لِإِظْهَارِ بَطَانِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَابِيرِ الْخُصُوصَةِ بِهَا . وَلَمْ يَصِلْ
 الْبَنَانُ مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيَّةِ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ
 غَيْرُ الْأَرْصَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلَمَيْوسُ فِي كِتَابِ الْجِسْطِيِّ

ذَكَرَ الْفَرَسِ وَدَوْلَهُمْ وَمِنْ أَشْهُرِ مَمْلُوكِهِمْ

٤٣٨ . أَمَّا الْفَرَسُ فَأَهْلُ الشَّرَفِ الشَّائِخِ وَالْعِزِّ الْبَادِخِ وَأَوْسَطُ
 الْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفُهَا إِقْلِيمًا وَأَسْوَسُهَا مَمْلُوكًا تَجَمُّعُهُمْ وَتَدَفُّعُ ظَالِمِهِمْ عَنْ
 مَظْلُومِيهِمْ . وَتَحْلِيلُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حِظُّهُمْ . عَلَى اتِّصَالِ وَدَّامِ .
 وَأَحْسَنِ النَّتَامِ وَاتِّعْظَامِ . وَخَوَاصُّ الْفَرَسِ عِنَايَةٌ بِالْعَمَلِ بِصِنَاعَةِ الطَّبِّ
 وَمَعْرِفَةُ ثَابِتَةِ بِأَحْكَامِ النُّجُومِ . وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادُ قَدِيمَةٍ وَقَالَ
 بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ : أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ الطُّوْقَانِ كَيُومَرْتُ مِنْ بَنِي
 سَامَ . وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَاتَّخَذَ الْأَلَاتِ لِإِصْلَاحِ الطَّرِيقِ وَحَفَرِ
 الْأَنْهَارِ وَذَنَجَ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَقَتْلَ السَّبَاعِ . وَمَا زَالَ الْمَلِكُ فِي
 وَلَدِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارًا الَّذِي غَزَاهُ الْأَسْكَندَرُ وَقَتْلَ فِي الْمَعْرَكَةِ (٣٣٣) .
 ثُمَّ مَلَكَ الدَّوْلَةُ الْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشْكُ (٢٦٦ قَبْلَ الْمَسِيحِ)
 وَاسْتَمَّى خُلَفَاؤُهُ بِالشَّاهِيَّةِ . وَدَامَ الْمَلِكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ أَلَمَّاكَةُ

أَلْعَلَّ لِأَنَّهُ يَغْدِفُ بِهِ أَلْجَرُ إِلَى النَّيْلِ . وَصَفَتْهُ كَصَفَةِ الرِّقِّ الْمُنْفُوحِ
وَلَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي دَوَابِّ أَلْجَرِ مَالُهُ رُبَّةٌ سِوَاهُ فَلِذَلِكَ
يُسْمَعُ مِنْهُ النَّفْحُ وَالنَّفْسُ . وَهُوَ إِذَا ظَهَرَ بِالْغَرِيقِ كَانَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي
نَحَاتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّيه . وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَا
يَأْكُلُ إِلَّا السَّمَكَ . وَرَبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَهُوَ يَلِدُ وَيُرْضِعُ .
وَأَوَّلَادُهُ تَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلَا يَلِدُ إِلَّا فِي الصَّيْفِ . وَمِنْ طَبَعِهِ الْأَنْسُ
بِالنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَافِينَ كَثِيرَةٌ لِقِتَالِ صَانِدِهِ . وَإِذَا لَيْثٌ فِي
الْعُمُقِ حِينًا حَبَسَ نَفْسَهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ السَّهْمِ لِيَطْلُبَ النَّفْسَ
فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةً وَثَبَ وَثْبَةً أَرْتَفَعَهَا السَّفِينَةُ (للدميمري)

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ

ذكر دولة الكلدانيين (من ١٩٠٠ الى ٥٣٨ قبل المسيح)

٤٣٧ الكلدانيون أمة قديمة الرِّبَاسَةِ نَبِيَّةُ الْمُلُوكِ . كَانَ مِنْهُمْ
النَّارِدَةُ الْجَبَّارَةُ الَّذِينَ كَانَ أَوَّلُهُمْ نَمْرُودٌ مِنْ بَنِي حَامٍ بَابِي الْعُجْدَلِ .
وَكَانَ مِنْ وَلَدِ نَمْرُودَ بَنَتْ نَصْرُ الَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَافْتَتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنْ الْبِلَادِ
(٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ الْكَلْدَانِيِّينَ يَبَالِغُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْفَرَسُ

قَوِي بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ وَهَجَرَ الْمَلَادَ وَتَرَكَ اللَّهْوَ . وَقَوَّى جُنْدَهُ
بِالْأَسْلِحَةِ وَالْكَرَاعِ وَعَمَّرَ الْبِلَادَ وَرَدَّ إِلَى مُلْكِهِ كَثِيرًا مِنْ الْأَطْرَافِ
الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ بِعِلَالٍ . وَلَسَبَابِ شَتَّى مِنْهَا السِّندُ وَطَخَارِسْتَانُ
وَدُورُسْتَانُ وَغَيْرُهَا وَبَنَى الْمَعَالِقَ وَالْحُصُونِ . وَمِنْهُمْ (هَرَمُزُ بْنُ
أَتُوشِروَانَ ٥٧٩) وَكَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَذَنِي مِنَ الشَّرِيفِ وَبَالِغَ فِي
ذَلِكَ حَتَّى آتَقَضَهُ خَوَاصُّهُ وَأَقَامَ الْحَقَّ عَلَى بَيْتِهِ وَوَحْيِهِ وَأَفْرَطَ فِي
الْعَدْلِ . ثُمَّ تَوَارَثَ بَنُوهُ الْمُلُوكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَزْدَجِرْدُ بْنُ شَهْرِيَارَ الْعَادِلُ
وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْفَرَسِ . فَلَمَّا مَلَكَ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ وَتَفَاقَمَتِ
أُمُورُهَا وَطَلَعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ بِالْخُصْرَةِ (٦٤١) (لَايِي الْفِدَاءِ)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٠ أَمَّا الْيُونَانِيُّونَ فَكَانُوا أُمَّةً عَظِيمَةً الْقُدْرَةِ فِي الْأُمَمِ . طَارِزَةُ
الذِّكْرِ فِي الْأَفَاقِ فَحَمَةُ الْمُلُوكِ . مِنْهُمْ الإسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيفُوسَ
الْمَقْدُونِي (٣٣٦) الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرًّا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ .
وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْبَطَالِيسَةُ (٣٠١ - ٣٠) دَامَتْ
لَهُمُ الْمَمَالِكُ وَذَاتَ لَهُمُ الرِّقَابُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا إِلَى أَنْ غَلَبَ
عَلَيْهِمُ الرُّومُ . وَكَانَتْ بِلَادُ الْيُونَانِيِّينَ فِي الرُّبْعِ الْغَرْبِيِّ الشِّمَالِيِّ مِنَ
الْأَرْضِ ... وَالْقِسْمُ الْأَعْظَمُ مِنْهَا فِي حَيْزِ الْمَشْرِقِ وَالْقِسْمُ الْأَصْغَرُ مِنْهَا
فِي حَيْزِ الْمَغْرِبِ . وَلُغَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَوْسَعُ اللُّغَاتِ وَأَجَلُّهَا . وَكَانَتْ عَامَّةُ
الْيُونَانِيِّينَ صَابِيَةً مُعْظَمَةً لِلْكَوَاكِبِ دَائِنَةً بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . وَالْفَلَسِيفَةُ

لِلسَّاسَانِيَّةِ (٢٢٦ للمسيح) أَوْلَهُمْ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ مِنْ بَنِي كُشْتَا سَابٍ
فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَبَسَطَ الْعَدْلَ (لأبي الفرج)

٤٣٩ وأَشْتَهَرَ فِي الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ (سَابُورُ بْنُ أَزْدَشِيرَ ٢٤١ -

٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ حَازِمًا شَخْصًا إِلَى نَصِيبَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ عَنُودٌ .

فَقَتَلَ وَسَبَى وَأَفْتَحَ مِنَ الشَّامِ مَدُنًا وَأَسَرَ وَالْأَرْيَانُسَ وَحَمَلَهُ إِلَى

جُنْدِيسَابُورٍ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بَلَّ قَتْلَهُ . وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ اسْتُخْرِجَتْ

الْعُودُ وَهِيَ الْمَلْهَأَةُ الَّتِي يُغْنَى بِهَا . وَمِنْهُمْ (بَهْرَامُ بْنُ هُرْمُزَ ٢٧٦) وَكَانَ

حَلِيمًا وَفُورًا وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَقْتَدَى بِآبَائِهِ وَكَانَ مَالِي صَاحِبُ الْقَوْلِ

بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بَهْرَامُ الْعُلَمَاءَ لِامْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ

فَقَتَلَهُ . وَمِنْهُمْ (سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ ٣١٠ - ٣٨٠) . وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ

عَظِيمَةٌ مِنْ صَبَاهُ وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ائْتِخِبَ فُرْسَانُ

عَسْكَرِهِ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَقَتَلَ مِنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ يَنْزِعُ

اِكْتِافَ الْأَسْرَى فَسَمَّى سَابُورَ ذَا الْأَكْتِافِ . وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ

إِلَّا وَغَرَّهُ وَلَا يُبْرِ إِلَّا وَطَّهَمَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ

وَسَبَى حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينُ . وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِيَ قُسْطَنْطِينُ

وَبَنُوهُ . ثُمَّ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ يَلْيَانُسُ وَارْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتَلَ

النَّصَارَى وَأَخْرَبَ الْكَلْبَانِسَ وَأَحْرَقَ الْإِنْجِيلَ . وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ

فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرَبَ فِي فُؤَادِهِ فَقَتَلَهُ (٣٦٣) . وَانْتَضَمَ

الصُّلْحُ وَالْوُدَّةُ بَيْنَ الْفُرسِ وَالرُّومِ . وَمِنْهُمْ (أَنُوشِروَانُ ٥٣١) هَذَا

أَحْسَنَ الْمُبَالِغِ وَنَالَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَلْ سَائِرُ تَلَامِيذِ أَرِسْطُو. وَمِنْهُمْ
 أَفْلِيدُسُ (٣٢٠) صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِفْصَاتِ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ وَكَانَ فِي
 أَيَّامِ مُلُوكِ الْيُونَانِ الْبَطَالِسَةِ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَرِسْطُو بِبَعِيدٍ. وَأَمَّا
 بَطْلَمِيُوسُ وَجَالِينُوسُ فَإِنَّ زَمَانَهُمَا مُتَأَخَّرٌ عَنْ زَمَنِ الْيُونَانِ وَكَانَا فِي
 زَمَنِ الرُّومِ. وَقَدْ أَذْرَكَ جَالِينُوسُ زَمَنَ بَطْلَمِيُوسُ وَبَطْلَمِيُوسُ هُوَ
 الْمُصَنِّفُ الْحِصْطِيُّ. وَمِنْهُمْ فُرْفُورِيُوسُ (٢٦٠ للمسيح) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
 مَدِينَةِ صُورَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِالشَّامِ وَكَانَ بَعْدَ زَمَنِ جَالِينُوسِ. وَكَانَ
 عَالِمًا بِكَلَامِ أَرِسْطُو وَقَدْ فَسَّرَ كُتُبَهُ لَمَّا شَكَا إِلَيْهِ النَّاسُ غُمُوزَهَا وَخَجَزَهُمْ
 عَنْ فَهْمِ كَلَامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ وَمِنْ جَمَلَةِ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْأِسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيفُوسَ الْمَقْدُونِيَّ
 الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرًّا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ وَمَلِكَ سِتِّ سِنِينَ
 بَعْدَ قَتْلِهِ دَارِيُوشَ. وَكَانَ قَدْ مَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ سِتًّا أُخْرَى وَقَتَحَ بِلَادًا
 كَثِيرَةً حَتَّى بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَفْصَى الْهِنْدِ وَأَوَائِلِ حُدُودِ الصِّينِ وَتَبَّيَ ذَا
 الْفَرَنْجِينَ لِبُلُوغِهِ قَرْنِي الشَّمْسِ وَهِيَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ. وَقَتَلَ خَمْسَةَ
 وَثَلَاثِينَ مَلِكًا وَبَنَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مِنْهَا اثْنَتَانِ فِي بَلَدِ خُرَاسَانَ
 وَهِيَ هَرَاةَ وَمَرُوءَ وَوَاحِدَةٌ فِي بَلَدِ الصُّفْدِ وَهِيَ سَمَرْقَنْدُ. وَأُخْرَى فِي بَلَدِ
 الْفَيْطِ وَهِيَ الْأِسْكَندَرِيَّةُ. وَفِي عَوْدَتِهِ مِنَ الْهِنْدِ وَوُضُولِهِ إِلَى بَابِلَ
 مَاتَ مَسْمُومًا وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ ذَهَبٍ وَجُمِلَ عَلَى أَكْتَافِ الْمُلُوكِ

مِنْهُمْ مَنْ أَرْفَعَ النَّاسَ طَبَقَةً وَأَجَلَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مَنْزِلَةً لِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ
 الْأَعْتِنَاءِ بِفُنُونِ الْحِكْمَةِ وَمَعَارِفِ السِّيَاسَاتِ الْإِنْزِلِيَّةِ (لابي القريج)
 ٤٤١ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ مَأْخُودَةً عَنِ الْيُونَانِيِّينَ مِثْلَ الْعُلُومِ
 النَّطْقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ . وَالْعِلْمُ الرِّيَاضِيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى
 عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَالْخَوْنِ وَالْإِقْيَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَانَ
 الْعَالَمُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ يُسَمَّى فِيلَسُوفًا وَتَفْسِيرُهُ مُحِبُّ الْحِكْمَةِ . وَمِنْ
 فِيلَسُوفِهِمْ (ثَالِيسُ الْمِلْطِيُّ ٦٣٩) . (وَفِيلَاغُورُسُ ٤٨٠) مِنْ كِبَارِ الْحُكَمَاءِ
 وَالْفَلَاحِيَّةِ . كَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا أَلَدَّ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفَلَاكِ وَلَا
 رَأَيْتُ شَيْئًا أَبْهَى مِنْ صُورَتِهَا . وَمِنْهُمْ بُقْرَاطُ الْحَكِيمِ الطَّيِّبِ
 الْمَشْهُورِ . وَمِنْهُمْ (سُقْرَاطُ ٤٧٠) وَكَانَ حَكِيمًا فَاضِلًا زَاهِدًا اُسْتَعْمَلَ
 بِالرِّيَاضَةِ وَأَعْرَضَ عَنِ مَلَاذِ الدُّنْيَا . وَنَهَى النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
 فَثَارَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَالْجُلَّاءُ وَامْلِكَهُمْ إِلَى قَتْلِهِ فَجَبَسَهُ ثُمَّ سَفَّاهُ ثُمَّ قَامَتْ
 وَمِنْهُمْ (أَفَلَاطُونُ الْإِلَهِيُّ ٤٣٠) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِسُقْرَاطِ . وَلَمَّا اغْتِيلَ
 سُقْرَاطُ بِالسَّمِّ قَامَ أَفَلَاطُونُ مَقَامَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَمِنْهُمْ
 أَرِسْطُو الشَّهِيرُ (٣٨٤) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِأَفَلَاطُونِ وَلَمَّا صَارَ عُمُرُ أَرِسْطُو
 الْمَذْكُورِ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةً أَسْلَمَهُ أَبُوهُ إِلَى أَفَلَاطُونِ فَمَكَثَ عِنْدَهُ نِيفًا
 وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ صَارَ حَكِيمًا مُبْرَزًا يُسْتَعْمَلُ عَلَيْهِ . وَمِنْ جُمْلَةِ تَلَامِيذِهِ
 أَرِسْطُو الْمَلِكُ إِسْكَنْدَرُ الَّذِي مَلَكَ غَالِبَ الْمَعُورِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى
 الشَّرْقِ وَأَقَامَ الْإِسْكَنْدَرُ يَتَعَلَّمُ عَلَى أَرِسْطُو خَمْسَ سِنِينَ وَبَلَغَ فِيهَا

أُكْتَبَيَانِ أَغَسْطُسَ ابْنِ أَخِيهِ . وَكَانَ لِشُيُوخَ نَائِبِ بَنَاجِيَةِ الشَّرْقِ
يُقَالُ لَهُ فُفْيُوسُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ زَحَفَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ
يُوشُ فَهَرَمَهُ (٤٨) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَشَعَرَ أَلُوزَرَاهُ أَنَّهُ يَرُومُ
الْأَسْتَبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَهَتَلُوهُ (٤٤) . فَزَحَفَ أُكْتَبَيَانِ ابْنُ أَخِيهِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ بِثَارِهِ وَمَلَكَ بِرُومَةَ (٤٢) . ثُمَّ عَصَى أَنْطُونِيُوسُ
عَلَى أَغَسْطُسَ وَأَنْهَزَمَ إِلَى مِصْرَ لِسَبَبِ عُشْقِهِ فَلَاوُفْطَرَا . فَخَرَجَ
أَغَسْطُسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ مِنْ رُومَةَ بِعَسَاكِرٍ عَظِيمَةٍ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَمَرَ وَلَدَيْ قَلَاوُفْطَرَا
الْمُسَمَّى أَحَدَهُمَا سُمَاً وَالْآخَرَ قُرَا وَفَتَلَهُمَا . وَلَمَّا سَمِعَ أَنْطُونِيُوسُ
وَقَلَاوُفْطَرَا بِقَتْلِ الْوَلَدَيْنِ وَكَانَا مُحَاصَرَيْنِ فِي بَعْضِ الْحُصُونِ شَرِبَا سُماً
وَمَاتَا (٣٠) . وَلَمَّا مَلَكَ أَغَسْطُسُ دِيَارَ مِصْرَ وَالشَّامَ دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
تَحْتَ طَاعَتِهِ كَمَا كَانُوا تَحْتَ طَاعَةِ الْبَطَالِسَةِ قَوْلَى أَغَسْطُسَ بِبَيْتِ
الْمُقَدِّسِ عَلَى الْيَهُودِ وَإِلَيْهِ مِنْهُمْ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِهِيَرُودُسَ . وَفِي أَيَّامِ
أَغَسْطُسَ وَلِدَ الْمَسِيحُ لِلْعَذِيرَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن العميد بتصرف)

دولة القيصرية بني اغسطس (١٤ - ٦٩)

٤٤٦ . ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِ أَغَسْطُسَ طَبَارْيُوشُ قَيْصَرُ وَكَانَ جَازِئاً وَأَسْتَوْلَى
عَلَى النُّوَاجِي . وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ شَأْنُ الْمَسِيحِ وَبَنَى الْيَهُودُ عَلَيْهِ وَأَقَامَ
الْحَوَارِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ وَالْيَهُودُ يَحْمِسُونَهُمْ وَيَضْطَهُدُونَهُمْ . ثُمَّ أَفْتَرَفُوا
فِي الْأَفَاقِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَحَمَلِ الْأُمَمِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . وَمَاتَ طَبَارْيُوشُ

عَلَى أَنْ يَفْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَطَارٍ مِنَ الْفِصَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ
وَسَكَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْبِلُ صَاحِبُ
أَفْرِيقَةِ مُلُوكِ الْأَسْرِيَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ
مُسْتَوْماً (١٨٣) . وَبَعْدَ أَنْ تَخَاصَّ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ رَجَعُوا
إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَازُوا الْبَحْرَ إِلَى قَرطَابَةِ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا
مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦)

(لابن خلدون)

حال اللطيين الى وفاة اونغسطس (من ١٤٦ قبل السيج الى ١٤ بعد السيج)

٤٤٥ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هَؤُلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ رَاجِعًا إِلَى الْوُرَرَاءِ مُنْذُ سَبْعِ
مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَقْتَرِعُ الْوُرَرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَخْرُجُ قَائِدٌ
مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ الْقُرْعَةُ فَيُجَارِبُونَ أُمَّمَ الطَّوَافِ
وَيَفْتَحُونَ أَمْلَاكَ . حَتَّى إِذَا هَلَكَ الْأِسْكَندَرُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ
وَقَسَلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ هَؤُلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقَةِ
وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا . وَمَلَكُوا الْأَنْدَلُسَ وَمَلَكُوا الشَّامَ وَأَرْضَ الْحِجَازِ وَفَهَرُوا
الْعَرَبَ بِالْحِجَازِ . وَافْتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنْ
الْيَهُودِ وَهُوَ أَرْسَاطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حِشْمَتَايَ وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ .
إِلَى أَنْ خَرَجَ يُولُسُ قَيْصَرُ وَمَعَتْهُ شِقَّةٌ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ
تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلَقِبَ قَيْصَرَ وَصَارَ لِقَابَ الْمُلُوكِ الرُّومِ .
فَسَارَ إِلَى جِهَةِ الْأَنْدَلُسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ الْإِفْرَنْجِ إِلَى أَنْ
مَلَكَ بَرطَانِيَّةً وَإِسْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ . وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ

مِنْ جَهَةِ الْجُوفِ . فَبَعَثَ شَوَاطِيئُ نَسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَاكِرِ
وَعَلَيْهِمْ عَلَى أَمْرِهِمْ . ثُمَّ نَارَ بَنِي رُونَ جَمَاعَةً مِنْ قَوَادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨)
وَمَلَكُوا غَالِبَانِ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيْلَةً وَقَدَّمُوا بِعِوضِهِ أُتُونِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَكُوا بَطْأَسَ وَكَانَ رَدْيُ السَّيْرِ . وَبَلَغَ
إِسْبَاشِيَانُوسُ مَوْتَ نِيرُونِ وَهُوَ يُحَاصِرُ الْقُدْسَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ
بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونِ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ
بِالْمَلِكِ فَأَنْطَلَقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَفَ ابْنَهُ طِيطُسَ عَلَى حِصَارِ الْقُدْسِ .
وَأَنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولُسَ قِصْرَ لِمِائَةِ وَسِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ مَبْدِئِ
دَوْلَتِهِمْ وَأَسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَتَسَمَّى
قِصْرَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ (٦٩) (لابن خلدون بتصرف واختصار)

دولة فلايوس اسباشيانوس وبنيه الفلايين (٦٩ - ٩٦)

٤٤٧ وملك إسباشيانوس عشرين سنين وهو بنى قوقلس أي منارة
الإسكندرية طولها مائة وخمسة وعشرون خطوة . وفي السنة الثانية
من ملكه افتتح طيطس ابنه مدينة أورشليم وقتل فيها زهاء ستين
ألف نفس وسبى ثيفا ومائة ألف نفس ومات فيها من الجوع خلق
كثير والباقيون تشتتوا في البلاد ودعثرها وأخرب هيكلها . وثبت
نبوذة يعقوب حيث قال : لَنْ تَفْقَدَ هِرَاوَةَ الْمَلِكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا الْمُنْذِرُ
أَي النَّبِيِّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ لَهُ الْعَلْبَةُ وَإِيَّاهُ تَتَوَقَّعُ الشُّعُوبُ .
وَتَمَّ أَيْضًا مَا أُنْذِرُ بِهِ الْمُخْلِصَ مُحَاطَبًا لِأُورَشَلِيمَ : أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تُحِيطُ

ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ (٣٧). ثُمَّ مَلَكَ غَايِسُ قَيْصَرُ (٣٧ - ٤١) وَأَمَرَ أَنْ تُنْصَبَ الْأَصْنَامُ فِي مَحَارِبِ الْيَهُودِ وَوُثِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُوَّادِهِ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ قُلُودِيُوشُ (٤١ - ٥٤) وَوَقَعَتْ فِي أَيَّامِهِ شِدَّةٌ عَلَى النَّصَارَى وَقُتِلَ يَهُوْبُ أَخُو يُوحنَّا مِنَ الْخَوَارِجِيِّينَ وَحُسَّ شَيْعُونُ الصَّافَا. ثُمَّ خَلَصَ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا وَدَعَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةَ وَدَبَّرَهَا وَنَصَبَ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ. وَتَنَصَّرَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ فَمَضَتْ النَّصَارَى. وَلَقِيَ الَّذِينَ بِالْقُدْسِ شِدَارَئِدَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَهُوْبُ بْنُ حَلْفَا مِنَ الْخَوَارِجِيِّينَ فَثَارَ الْيَهُودُ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْقُدْسِ مِنَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا أَسْفَفَهُمْ وَهَدَمُوا الْبَيْعَةَ. وَأَخَذُوا الصَّلِيبَ وَالْحَشَبَتَيْنِ وَدَفَنُوهُمَا إِلَى أَنْ اسْتَخْرَجَتْهَا هِيَ لِأَنَّهُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ. وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِ قُلُودِيُوشَ ابْنُهُ نِيرُونُ وَهُوَ خَامِسُ الْقِيَاصَةِ وَكَانَ غَشُومًا فَاسِقًا وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ سَيِّمُونُ السَّاحِرُ بِرُومَةَ. وَبَلَغَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ رُومَةَ أَخَذُوا بِدِينِ الْمَسِيحِ فَفَكَرَ ذَلِكَ وَقَتَلَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوا. وَقَتَلَ بَطْرُسَ مِنْ بَعْدِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً مَضَتْ لِبَطْرُسَ فِي كُرْسِيِّهَا وَهُوَ رَأْسُ الْخَوَارِجِيِّينَ وَرَسُولُ الْمَسِيحِ إِلَى رُومَةَ (٦٦). وَقَتَلَ مَرْقُسُ الْأَنْجِلِيُّ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ لثَلَاثِي عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ نِيرُونُ وَبَعَثَ نِيرُونُ قَائِدَهُ إِسْبَاشِيَانُوسَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ وَخَرَابِ الْقُدْسِ. ثُمَّ إِنَّ نِيرُونَ قَيْصَرَ انْتَضَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. فَرَجَعَ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى طَاعَةِ الْفَرَسِ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ بَرْطَانِيَّةَ

فَطُرُو فِيلُسُ الْحُصِيلُ وَاخْتَارَا تَبَاعَ النَّصَارَى بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ وَزَكَ
 الدُّنْيَا وَمَلَاذَهَا يُفِيدُهُمُ الْأَيْدِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَفِي هَذَا
 الزَّمَانِ عُرِفَ أَفُولُونِسُ الطَّاسَطِيطِيُّ وَكَانَ يُضَادُّ التَّلَامِيذَ
 بِأَقَاعِيلِهِ الْخَالِفَةِ لِأَقَاعِيلِ الْمَسِيحِ وَيَقُولُ : أَلْوَيْلُ لِي إِنْ سَبَقَنِي
 ابْنُ مَرْيَمَ . وَتَنَى دَوْمِطْيَانُوسُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيَّ إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ
 وَكَتَبَ إِلَيْهِ دِيُونُوسِيُوسُ أَسْقَفُ أَثِينَا كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : لَا يَنْتَرِيكَ
 الصَّخْرُ وَالْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَا يَطُولُ سَخَنُكَ قَالَهُ يَفْعَلُ لَكَ الْخُلَاصَ
 فَالِهِمْ نَفْسَكَ بِالصَّبْرِ . وَبَدَّ قَلِيلٍ قُتِلَ دَوْمِطْيَانُوسُ قِصْرُ عَلَى
 بَسَانِطِهِ فِي مَجْلِسِهِ (لَا بِنُ الْعَبْرِي وَابْنُ الْعَمِيدِ بَتَصْرُفٍ)

دولة الانطونيين (٩٦ - ١٩٣)

٤٤٨ وَمَلَكَ بَعْدَهُ زُرَّاسُ وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مَنَفِيًّا
 مِنَ النَّصَارَى وَخَالَاهُمْ وَدِينَهُمْ فَرَجَعَ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيَّ إِلَى أَفَسُسَ بَعْدَ
 سِتِّ سِنِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَعَهْدَ بِالْمَلِكِ إِلَى طَرِيَانُسَ مِنْ عُظَمَاءِ
 قَوَادِهِ فَوَلَّى بَعْدَهُ (٩٨) وَكَتَمَى قِصْرُ وَقَتْلَ شَعْمَانَ بْنَ كَلَاوُفَا أَسْقَفَ
 بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَاغْنَاطِيُوسُ أَسْقَفُ أَنْطَاكِيَةِ رَمَى لِلْسَّبَاعِ (١٠٧) . وَتَتَبَعَ
 أَمْنَتَهُمُ بِالْقَتْلِ وَأَسْتَعْبَدَ عَامَتَهُمْ وَفِيلِينُوسُ صَاحِبُ الشَّرْطِ لَمَّا عَجَزَ مِنْ
 قَتْلِ النَّصَارَى لِكَثْرَتِهِمْ طَالَعَ قِصْرُ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْمَذْهَبِ عَامِلُونَ
 بِمَجْمِيعِ سُنَنِ الْفَلَاسِفَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَكْرُمُونَ الْأَصْنَامَ . فَأَمَرَ قِصْرُ أَنَّ
 لَا يُجَدِّي فِي آذَانِهِمْ إِلَّا إِذَا وَجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْوَهُ بِسَبِّ آلِهَةٍ فَلْيَدْنِ .

بِكَ أَعْدَاؤُكَ وَيَكْسُونُكَ وَبِيَدِكَ فَيْكِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسُفُوسُ الْعِزْرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ
عَلَامَاتٌ فَظِيحَةٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ الْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِنْ
نَارٍ يَلْمَعُ . وَأَبْوَابُ الْخُحَّاسِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ
تُغْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ اجْتِمَاعِ عَشْرِينَ رَجُلًا وَجِدَتْ نَصْفَ الْآسِلِ
مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ . وَكَانُوا عَامَّةَ السَّنَةِ يَسْمَعُونَ فِي الْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا
مُخْتَلِفَةً تَقُولُ : إِنَّا سَنَنْتَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطُسُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ رَجَعَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا
عَبَرُوا إِلَى الْأَرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِالْمُقَدَّسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ الْأَشْفُفُ
فِيهِمْ شِمْعَانُ بْنُ كَلَاوْفًا وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَسَاقِفَةِ الْمُقَدَّسِ . ثُمَّ هَلَكَ
إِسْبَاشْيَانُوسُ لِتِسْعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَاكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ طِيطُسُ قِصْرُ
سَنْتِينَ وَكَانَ مُتَفَنَّئًا فِي الْعُلُومِ مَا تَرِمًا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِاللِّسَانِ الْغَرِيبِيِّ
وَاللَّطِينِيِّ . وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْمَلِكِ انْشَقَّ جَبَلُ بِالرُّومِ وَخَرَجَ مِنْهُ
شُهْبٌ نَارٍ أَهْرَقَتْ مَدْنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةٍ حَرِيقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ مَلَكَ
دُومِطْيَانُوسُ قِصْرُ (٨١-٩٦) وَتَقَى مِنْ رُومَةِ الْمُتَجَمِّينَ وَأَصْحَابَ
الرَّزْجِ وَالْقَالِ وَالْعِيَافَةِ وَالطَّيْرَةِ وَآمَرَ أَنْ لَا يُفْرَسَ بِرُومَةٍ كَرَمُ الْبَنَةِ .
ثُمَّ اضْطَهَدَ النَّصَارَى اضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هَذَا كُلُّ النَّاسِ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ الْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ . وَأَسْتَنَارَ

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ التَّوْرَةَ الْمُتَمَتِّعَةَ سُنَّةَ أَمَدٍ
بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَمَتَّنٌ سُنَّةَ الْفَضْلِ . فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْيُونَ هَذِهِ
الْحَرْعِيلَةَ وَعَظَّمَتْهُ الْأَسَافِقَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خُرْعِيلَتِهِ وَتَمَادَى
فِي أَبَاطِيلِهِ فَنَفُوهُ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَصَارَ لَعْنَةً (لَهَا بِتَصْرِفٍ)

٤٥٠ . لَمَّا هَلَكَ أَنْطُونِيُوسُ لِثَلَاثِينَ وَعَشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ
مَرْقُوسُ أَوْرَاشُ (١٦١) . وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ
عَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَسُورِيَّةٍ مِنْ مَمَالِكِهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمْ وَعَلَيْهِمْ فِي حُرُوبٍ
طَوِيلَةٍ . وَأَصَابَ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَفُحِطَ النَّاسُ وَأَسْتَسْقَى
لَهُمُ النَّصَارَى فَأَمَطَرُوا وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ وَالْفَحْطُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَشَدَّ
عَلَى النَّصَارَى (وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ حُرُوبِ أَوْرِيلْيُوسِ)
وَمَعَ كُلِّ هَذَا قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشَّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ
نِيرُونَ . وَوَلِيَ مَكَانَهُ قَوْمُدُوسُ ابْنُهُ وَمَاتَ مُخْتَنَفًا (١٨٠ - ١٩٢) . وَفِي
هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانُسُ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ
الْفَارَقْلِيطُ الَّذِي وَعَدَ الْمَسِيحُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْعَالَمِ (لَابِنْ خَلْدُونِ)

دولة القياصرة السوريين (١٩٢ - ٢٣٥)

٤٥١ . ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرَطِيخُوسُ وَمُلْكُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُورَخِينَ شَهْرَانِ
وَقَتْلَهُ بَعْضُ قَوَادِهِ . ثُمَّ وَلِيَ سُورِيَا يُوسُ (١٩٣ - ٢١٢) وَأَشَدَّ عَلَى
النَّصَارَى الشَّدَّةَ الْخَامِسَةَ وَفَتَكَ فِيهِمْ . وَأَعْتَسَفَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ
وَالْأَعْمَلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّالِبَةِ . وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَتْ

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرِيَانُوسَ خَارِجِيُّ بَيْبَلِ فَهَلَكَ فِي حُرُوبِهِ
 ٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَذْرِيَانُوسُ (١١٧) وَفِي الرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ بَطَلَ
 الْمَلِكُ مِنَ الرُّهَا وَتَدَاوَلَتْهَا الْقُضَاةُ مِنَ الرُّومِ . وَبَنَى أَذْرِيَانُوسُ بِمَدِينَةِ
 أَثِينَا بَيْتًا وَرَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُدَارَسَةِ الْعُلُومِ . وَبَلَغَ أَذْرِيَانُوسُ
 أَنَّ الْيَهُودَ يَرُومُونَ الْإِنْتِقَاضَ وَأَنَّهُمْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ
 الْكُوكَبِ أَضَلَّ الْيَهُودَ مُدْعِيًا أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ كَالْكُوكَبِ لِيُخْلَصَهُمْ
 مِنْ عُبودِيَّةِ الرُّومِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ وَتَتَبَعَهُمُ بِالْقَتْلِ وَخَرَبَ
 مَدِينَتَهُمْ حَتَّى عَادَتْ صَحْرَاءَ . وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ
 الْيُونَانَ بَيْتَ الْقُدُسِ . وَكَانَ هَذَا الْخَرَابُ لِحَمْسِ وَسِتِّينَ سَنَةً مِنْ
 خَرَابِ طَيْطُشَ الَّذِي هُوَ الْجَلُوءَةُ الْكُبْرَى . وَامْتَلَأَ الْقُدُسُ مِنَ الْيُونَانِ .
 وَكَانَتِ النَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ وَالصَّليبِ . فَمَنَعَهُمُ الْيُونَانُ
 مِنَ الصَّلَاةِ وَبَنَوْا هُنَاكَ هَيْكَلًا عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ

وَحَافَ أَذْرِيَانُوسَ طَيْطُوسُ أَنْطَنِيَانُسُ قَيْصَرُ الْمَسِي بَارًا وَأَبَا
 الْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ النَّصَارَى الْأَضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا
 بِأَيِّ دِينٍ شَاءُوا . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ نَبَغَ فِي أَلْبِيعَةِ مِنَ الْخُفَّائِينَ شَخْصٌ
 أَسْمُهُ وَالنَّطْيَانُوسُ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ
 وَاجْتَارَهُ بِمَرْيَمَ كَأَجْتِسَارِ الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ أَيْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَظَهَرَ
 رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْفِيُونُ وَقَالَ إِنَّ آلِهَةَ ثَلَاثَةِ عَادِلٍ وَصَالِحٍ وَشَرِيرٍ وَلَمَّا
 رَأَى الصَّالِحُ الْعَالَمَ قَدْ انْتَجَذَبَ إِلَى جِهَةِ الشَّرِيرِ أَرْسَلَ أَبْنَهُ لِيَدْعُو

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِمُلْكِهِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَنْ كَفَرَ
بِمِلْسَانِهِ وَأَصْمَرَ الْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ بَدَأَتْ
أَعْمَالُ الرُّهْبَانِ عَلَى يَدَيِ أَنْطُونِيوسَ وَفَوَلِي الْمِصْرَيْنِ . وَهَذَا أَوَّلُ مَنْ
أَظْهَرَ لُبْسَ الصُّوفِ وَالتَّخْلِ فِي الْبَرَارِيِّ . ثُمَّ مَلَكَ ذُو قِيُوسَ قَيْصَرُ
(٢٤٩) وَلَبَّغِيضِهِ فِيلَبُوسَ قَيْصَرَ الْحَمِصَنِ إِلَى النَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ
عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ الشَّدَّةُ السَّابِعَةُ . فَكَفَرَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ
قُتِلَ قَدَّمُوا التَّوْبَةَ . وَكَانَ نَابَاطِيسُ الْقَيْسِيَّ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا :
إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَرِيفَ الْأَسَاقِفَةِ تَعْلِيْمُهُ . وَفِي زَمَانِ ذُو قِيُوسَ
كَانَ الْقَتِيَّةُ أَصْحَابُ الْكُهْفِ قَالُوا لَقِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ أَنْبِعَائِهِمْ
مِنْ رُقَادِهِمْ فِي أَيَّامِ نَاوْدَاسِيُوسَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْقُوطُ مِنْ بِلَادِهِمْ
وَتَمَلَّبُوا عَلَى بِلَادِ الْفَرِيقِيِّينَ ثُمَّ وَلِيَ الْإِرْيَانُوسُ وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
وَأَتَى النَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً . ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ الرُّومِ اغْزَوْا الْفَرَسَ
فَانْهَزَمَ وَجُمِلَ أَسِيرًا إِلَى كِمَرَى بِهَرَامَ فَقَتَلَهُ . فَوَلِيَ ابْنُهُ غَلِينُوسُ (٢٦٠)
وَأَزَالَ الْأَضْطِهَادَ عَنِ النَّصَارَى خَوْفًا مِمَّا نَزَلَ بِأَيِّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ

دولة القياصرة الإليريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ - ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَفْلُوذِيُوسُ سَنَةً وَتِسْعَةً أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مُلْكِهِ ظَهَرَتْ
بِدْعَةُ بُولُسَ الصَّمْنِصَالِيِّ . وَكَانَ يَنْكُرُ أَنَّ الْمَسِيحَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَأَنَّهُ قَدْ
(وُلِدَ) مِنْ عَذْرَاءَ . وَذَكَرَ أَوْسَابِيُوسُ الْمَوْرَخُ عَنْ هَذَا بُولُسَ أَنَّهُ أَسْتَمَانَ
بِأَمْرَةِ يَهُودِيَّةٍ اسْمُهَا زَيْبُ رَأْسَهَا قَيْصَرُ عَلَى الشَّامِ . وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

الْأَسَاقِفَةُ عَنْ أَمْرِ أَنْفَضَ وَأَصْلَحُوا رَأْسَ الصَّوْمِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
 أَنْطُونِيُسُ (كَرْكَلَا) فَقَتَلَ لِسْتِ سِنِينَ لِمُلْكِهِ مَا بَيْنَ حَرَّانَ وَالرُّهَاءِ .
 (٢١٨) ثُمَّ مَلَكَ أَلْيُوغَالِي أَرْبَعَ سِنِينَ . ثُمَّ مَقْرِينُ وَقَتَلَهُ قَوَادُ رُومَةَ
 لِسَنَةِ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ أَلِسْكَندَرُوسُ (٢٢٢ - ٢٣٥)
 وَكَانَتْ أُمُّهُ مَامَا نَصْرَانِيَّةً وَكَانَتْ النَّصَارَى مَعَهُ فِي سَعَةِ مِنْ أَمْرِهِمْ .
 وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ مُلْكِهِ هَذَا أَلِسْكَندَرُوسُ قَيْصَرَ ابْتَدَأَتْ مَمْلَكَةُ
 الْفَرَسِ الْأَخِيرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بَبَيْتِ سَاسَانَ ثُمَّ نَارَ أَهْلٍ رُومَةَ عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ

الحكم القوضوي (٢٣٥ - ٢٦٨)

٤٥٢ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ مَخْشَمِيَانُ (٢٣٥) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ نَبْتِ الْمُلْكِ وَإِنَّمَا
 وَلَّوْهُ لِأَجْلِ حَرْبِ الْإِفْرَنْجِ . وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى الشَّدَّةُ السَّادِسَةُ
 مِنْ بَعْدِ زَبْرُونَ . وَقَتَلَ الشَّهِيدَيْنِ مَرْجِيُوسَ فِي سَلْمِيَّةَ وَبَاخُوسَ فِي
 بَابِلسَ عَلَى الْفَرَاتِ وَقَوُفْرِيَانُسَ الْأَسْقَفَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ
 هَلَكَ مَخْشَمِيَانُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ غُرْدِيَانُوسُ قَيْصَرَ (٢٣٨) وَطَالَتْ حُرُوبُهُ
 مَعَ الْفَرَسِ وَكَانَ ظَافِرًا عَلَيْهِمْ وَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى نَهْرِ الْفَرَاتِ . ثُمَّ مَلَكَ
 فِيلِبُّوسُ قَيْصَرَ سِتِّ سِنِينَ وَأَمِنَ بِالْمَسِيحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَصَرَّ مِنْ
 مُلُوكِ الرُّومِ فَأَحْسَنَ إِلَى النَّصَارَى ثُمَّ رَامَ الْإِجْتِمَاعَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ
 لَهُ الْأَسْقَفُ : لَا يُمْكِنُكَ الدُّخُولُ إِلَى الْبَيْعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنِ الْحَرَامِ
 وَتَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ الْقُرْبَى . فَكَانَ يَحْضُرُ وَقْتُ
 الصَّلَاةِ وَيَقِفُ خَارِجَ الْبَيْعَةِ مَعَ الَّذِينَ أَلْفَوْا الدِّينَ وَلَمْ يَكُنْ لُوَافِيهِ بَعْدُ .

النَّصَارَى بِإِغْرَاءِ مَخْشِيَانِ وَكَانَ أَشَدَّ كُفْرًا مِنْهُ. وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهُمَا
شِدَّةً وَقُتِلَ مَارِي جَرَجِسُ وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ أَبْنَاءِ الْبَطَارِقَةِ. وَفِي عَاشِرَةِ
مُلْكِهِ قَدِمَ مَارِي بَطْرُسُ بَطْرَكًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ. ثُمَّ قَامَ بَعْدَ مَوْتِهِ تَلَامِيذُهُ
إِسْكَندَرُوسُ وَكَانَ كَثِيرُ تَلَامِيذِهِ أَرِيُوشُ كَثِيرُ الْعِثَاقَةِ لَهُ. وَفِي أَيَّامِ
دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ رَأَى قُسْطَنْطِيسُ هَيْلَانَةَ وَكَانَتْ تَصَرَّتْ عَلَى يَدِ اسْتِغْفِافِ
الرُّهَّاءِ فَأَعْجَبَتْهُ وَتَزَوَّجَهَا. وَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ فَاجْمَعَ دِيُوقْلَاسِيَانُوسُ
عَلَى قَتْلِهِ فَهَرَبَ إِلَى الرُّهَّاءِ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ مَوْتِ دِيُوقْلَاسِيَانُوسَ فُوجِدَ
أَبَاهُ قُسْطَنْطِيسَ قَدْ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ فَاسْلَمَ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ (لَبْنُ الْعَمِيدِ)

ملك قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧)

٤٤٤ هـ. ثُمَّ اسْتَعَدَّ قُسْطَنْطِينُوسُ لِعَزْوِ مَكْسَنْطِيسَ بْنِ مَخْشَمِيَانٍ لِأَنَّهُ عَصَى
وَلَمْ يُبَايِعْهُ وَغَابَ عَلَى رُومَةٍ. وَكَانَ قُسْطَنْطِينُوسُ يَتَفَكَّرُ إِلَى أَيِّ الْأَلْهَةِ
يُلْجِئُ أَمْرُهُ فِي هَذَا الْعَزْوِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي هَذَا الْفَكْرِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
السَّمَاءِ نَصَفَ النَّهَارِ فَرَأَى رَايَةَ الصَّلِيبِ فِي السَّمَاءِ مِثَالِ الثُّورِ وَكَانَ
فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنَّ بِهَذَا الشَّكْلِ تَعْلُبُ. فَصَاغَ لَهُ صَلِيبًا مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ يَرْفَعُهُ فِي حُرُوبِهِ عَلَى رَأْسِ الرِّمْحِ. ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا رُومَةً فَخَرَجَ إِلَيْهِ
مَكْسَنْطِيسُ وَوَقَعَ فِي نَهْرٍ فَأَخْتَنَقَ. فَافْتَتَحَ قُسْطَنْطِينُوسُ مَدِينَةَ
رُومَةٍ وَأَعْتَمَدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِرُومَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَعَبْدَةَ الْأَصْنَامِ زُهَاءَ
اَثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ نَفْسٍ خِلَا النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ (٣١٢). ثُمَّ حَصَلَ
لِقُسْطَنْطِينُوسَ بَرَصٌ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ خَدَمُ الْأَصْنَامِ أَنْ يَذْبَحَ أَطْفَالَ

عَلَيْهِ وَكَلَامُهُ وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرِكِيَّةَ أَنْطَاكِيَّةَ . فَاجْتَمَعَ الْأَسَاقِفَةُ
وَرَدُّوْا مَقَالَتَهُ وَحَرَمُوْهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أُوْرِيْلْيَاشُ (٢٧٠ -
٢٧٥) وَحَارَبَ الثُّوْطَ فَظَفَرَ بِهِمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَاشْتَدَّ عَلَى
النَّصَارَى تَاسِعَةَ بَعْدَ نِيْرُونَ وَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ
عُرِفَ مَا فِي الثَّنَوِيِّ هَذَا كَانَ يُظَوِّرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَتَمَيَّ
نَفْسُهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ يَعْلَمُ الثَّنَوِيَّةُ . وَهُوَ أَنَّ لِلْعَالَمِ إِلَهَيْنِ أَحَدُهُمَا
خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ النُّورِ وَالْآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَقَتَلَهُ سَابُورُ
وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تَبْنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعِي
الدَّعَاوِي الْعَظِيمَةَ وَعَجَزَ عَنْ إِبْرَاءِ أُنْبِيَاءِهِ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ
أُوْرِيْلْيَاشَ قَارُوشُ ثُمَّ فَرُوفُسُ وَقُتِلَ بِسَرْمِينِ ثُمَّ قَارُوشُ . وَفِي السَّنَةِ
الثَّانِيَةِ لِلْمَلِكَةِ قُتِلَ قُرْبَاهَا وَدَمِيَا فِي الشَّهِيْدَانِ ثُمَّ أُبْرِقَ فَاسْتَظْلَمَهُ وَمَاتَ .
ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوْقَلَاسِيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (٢٨٤ - ٣٠٥) وَاشْرَكَ مَعَهُ فِي الْأَمْرِ
مُخَشِمِيَانُ وَكَانَ مُقِيمًا بِرُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ
عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَعَلَيْهِمْ
وَأَنْكَى فِيهِمْ . وَانْتَقَضَ عَلَى دِيُوْقَلَاسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمْلِكَتِهِ وَثَارَ الثُّوَارُ
بِالْبِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَّةَ . فَدَفَعَ دِيُوْقَلَاسِيَانُوسُ إِلَى
هَذِهِ الْحُرُوبِ كُلِّهَا مُخَشِمِيَانُ هَزْ كُولِيسَ وَصِيْرَهُ قِصْرَ . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ
مُخَشِمِيَانُ صَهْرَهُ قُسْطَنْطِيْنُسَ فَمَضَى إِلَى الْأَلْمَانِيِّينَ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ
فَظَفَرَ بِهِمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوْقَلَاسِيَانُوسَ بِغَاقِ كَنَائِسِ

الدُّخُولَ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ . وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى
سَائِرِ الْأَسَاقِفَةِ وَالْبَطَارِكَةِ فِي التَّوَاخِي وَفَعَلَ ذَلِكَ بِأَسْقَفِيَّيْنِ آخَرَيْنِ
عَلَى مِثْلِ رَأْيِ أَرِيُوشَ . فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى قُسْطَنْطِينُ وَأَحْضَرَهُمْ
جَمِيعًا لِسَعِ عَشْرَةِ مِنْ دَوْلَتِهِ وَتَنَظَّرُوا . وَلَمَّا قَالَ أَرِيُوشُ إِنَّ الْإِبْنَ
حَادِثٌ وَإِنَّ الْأَبَ فَوَّضَ إِلَيْهِ بِالْحَلْقِ . وَقَالَ الْإِسْكَندَرُوسُ الْخَلْقُ
أَسْتَحَقُّ الْأُلُوهِيَّةَ فَاسْتَحْسَنَ قُسْطَنْطِينُ قَوْلَهُ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُشِيدَ بِكُفْرِ
أَرِيُوشَ . وَطَلَبَ الْإِسْكَندَرُوسُ أَجْتِمَاعَ النُّصْرَانِيَّةِ لِتَحْرِيرِ الْمُعْتَقَدِ
الْإِيمَانِي . فَجَمَعَهُمْ قُسْطَنْطِينُ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ أَسْقَفَا
وَذَلِكَ فِي مَدِينَةِ نِيقِيَّةَ فَسَمِيَ الْمُجْتَمَعُ مُجْتَمَعِ نِيقِيَّةَ . وَكَانَ رِيسُهُمْ
الْإِسْكَندَرُوسُ بَطْرِكُ إِسْكَندَرِيَّةَ وَهَذَا أَرِيُوشُ أَسْقَفُ بَيْتِ الْقُدْسِ .
وَبَعَثَ سُلْطُوسُ (سَالُوسْطُوسُ) بَطْرِكُ رُومَةَ بِقِسْيَسٍ حَضَرَ مَعَهُمْ
لِذَلِكَ نِيَابَةً عَنْهُ . فَتَفَاضَلُوا وَتَنَظَّرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ . فَصَارَ
قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْطَى سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ وَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ
قَوَانِينَ الدِّينِ وَالْمُلْكِ . وَنَفَى أَرِيُوشَ . وَكَتَبُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا
أَهْلُ ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ .

(لابن خلدون)

قُسْطَنْطِينُ فِي جَمْعِ نِيقِيَّةَ

٥٠٦ هـ وَكَانَ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ أَسْقَفُ بَرِّي رَأْيَ نَابَاطِيسَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
لَمْ لَا تُؤَافِقُ الْجَاهِلُونَ فِي قَبُولِ مَنْ تَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُنِيبًا إِلَى اللَّهِ .
فَأَجَابَهُ الْأَسْقَفُ : إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ قَرَطَتْ مِنْهُ كَبِيرَةٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ

الْمَدِينَةِ وَيَغْتَسِلَ بِدِمَائِهِمْ فَيَبْرَأُ مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ لِيَذِبَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بُطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجَّهْ إِلَى سِلْوَسْطَرُسَ اسْقُفِ رُومَةَ فَحْيَ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَّظَ الْمَلِكُ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِنَاءَ كَنَائِسِ النَّصَارَى الْمَهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَلِكَةِ أَمَرَ فَبُنِيَ لِبُورْنُفَايَةِ سُورٍ فَرَادٍ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ وَسَمَّاها قُسْطَنْطِينِيَّةً وَنَقَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا (لَا بِي الْفَرَج)

ثُمَّ شَخَّصَتْ هِيَ لِأَنَّهُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لِرِيزَارَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ الْأُسْقُفُ أَنَّ الْيَهُودَ أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَالزَّبِيلَ . ثُمَّ اسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الخَشَبِ وَسَأَلَتْ أَيُّهَا خَشَبَةُ الْمَسِيحِ . فَقَالَ لَهَا الْأُسْقُفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمَيِّتَ يَحْيَا بِمَسِيحِهَا فَصَدَّقَتْ ذَلِكَ بِتَجَرِبَتِهَا . وَاتَّخَذَ النَّصَارَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لَوُجُودِ الصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى الْمَوْضِعِ كَنِيسَةً الْقُسَامَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسَ الْأُسْقُفُ بِنَاءَ الْكَنَائِسِ (رَوَاهُ ابْنُ خَلْدُونِ عَنْ ابْنِ الرَّاهِبِ)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٥٥٥ : وَفِي هَذَا الزَّمَانِ كَانَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ إِسْكَندَرُوسُ الْبَطْرِكُ وَكَانَ بِعَهْدِهِ آريُّوسُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حَدُوثِ الْإِبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَفْوِيزِ الْآبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَغَنَهُ إِسْكَندَرُوسُ

قُسْطَنْطِينُ عَلَى رُومَةَ وَإِسْبَانِيَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ . ثُمَّ إِنَّ
قُسْطَنْطِينُوسَ صَارَ إِلَى نِقُومُودِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَحَنَطَهُ . وَوَضَعَهُ فِي
صُنْدُوقٍ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَوَضَعَهُ فِي هَيْكَلِ السَّلِيمِينَ . وَفِي
هَذِهِ السَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ الْفَرَسِ فَغَزَا نَصِيبِينَ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاتَهُ
قُسْطَنْطِينُوسُ الْقَاهِرَ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ خَائِبًا
وَذَلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَعْقُوبَ أَسْقَفَهَا وَمَارِي إِفْرَامَ تَلْمِيذِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ
أَسْتَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرْسَلَ عَلَى جَيْشِ الْفَرَسِ بَقَا وَهَمَجَاهَزِمَ فَيَلْتَهُمْ . ثُمَّ
إِنَّ سَابُورَ اضْطَهَدَ النَّصَارَى الَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ جِدًّا . أَمَّا
قُسْطَنْطِينُوسُ وَهُوَ الْأَخُ الْكَبِيرُ فَقُتِلَ فِي حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
الصَّغِيرِ قُسْطَنْطِينِ صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَفَ أَبْنَيْنِ غَالُوسَ وَيُولْيَانُوسَ .
ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسْطَنْطِينُ صَاحِبُ رُومَةَ . وَأَمَّا الْأَخُ الْأَوْسَطُ
قُسْطَنْطِينُوسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّامِ فَنَصَبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى
قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَكَانَ أَبِيهِ . فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسَيَّرَ عَمَّهُ عَلَيْهِ جَيْشًا وَقَتَلَهُ غِيلَةً .
ثُمَّ مَاتَ أَيْضًا قُسْطَنْطِينُوسُ وَاسْتَقَلَّ يُولْيَانُوسُ بِالْمُلْكِ (لَا بِي الْفَرَجِ)
٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولْيَانُوسُ قَيْصَرُ (٣٦١) وَسُمِّيَ الْمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةً
النَّصْرَانِيَّةَ مِنْ عُنُقِهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ . وَلِذَلِكَ وَبَ الْوَثْنِيُّونَ عَلَى
النَّصَارَى وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنَ الْمَكَانِينَ
خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنَّ يُولْيَانُوسَ الْمَلِكَ مَنَعَ النَّصَارَى مِنَ الْإِسْتِغَالِ فِي
شَيْءٍ مِنَ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . وَسَلَبَ آيَةَ الْكُذَائِسِ وَالِدُّيُورَةَ وَاسْتَصَفَى

وَالْعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُؤَيْسِ الرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ الَّذِينَ ذَاقُوا
كَلِمَةَ اللَّهِ أَنْ يَدْنُسُوا بِالْخَطِيئَةِ لِيُطَهَّرُوا بِالتَّوْبَةِ ثَانِيَةً . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ هَازِنَا
بِهِ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَأَنْصِبْ لَكَ سُلَامًا لَتَرْقَى فِيهِ وَحَدِّكَ إِلَى
السَّمَاءِ . وَنَهَضَ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى الْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سَعَايَةُ بَعْضِ
الْأَسَاقِفَةِ . فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ الْكِتَابُ بِالنَّارِ وَقَالَ : لَوْ
وَجَدْتُ أَحَدًا مِنْ أَلَكَمَّةِ فِي رِيَّةٍ لَسَرْتُهُ بِأَرْجُونِيَّتِي
موت قسطنطين وتلك بنيه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ يَطْهَرُ وَيَتَوَدَّى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ
الْأُمَمِ الْجَاوِرَةِ الرُّومِ مِنَ الْجَلَالِقَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالرُّوسِ وَالْأَلَانِ
وَالْأَزْمِنِ وَالْكُرْجِ وَجَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجُمْهُورُ
أَصْنَافِ السُّودَانِ مِنَ الْحَبَشَةِ وَالنُّوبَةِ وَسِوَاهُمْ . وَأَمِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ
أَصْنَافٌ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا . وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بَيْعَةَ عَظِيمَةً بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
وَبَاهَا أَجْيَا صُوفِيًّا أَيْ حِكْمَةَ الْقُدُّوسِ . وَبَيْعَةُ أُخْرَى عَلَى اسْمِ
السَّالِحِينَ . وَبَنَى بَيْعَةً بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكْ . وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَّةِ هَيْكَلًا ذَاتًا ثَمَانِي
رُؤُوسًا عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ . وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادَ الرُّومِ فَهَضَمَ
قُسْطَنْطِينُوسُ لِحَارَتِهِ . وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِيقُومُودِيَا أَدْرَكَتْهُ الْمُنِيَّةُ وَفِي
مَرْضَتِهِ قَسَمَ الْمَلِكُ عَلَى أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ وَمَلَّكَ الْكَبِيرَ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ
قُسْطَنْطِينُوسَ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجِيَّةَ . وَرَتَّبَ الْآخَرَ الْمُسَمَّى قُسْطَنْطِينُوسَ
عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ وَمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَآرْمِينِيَّةَ . وَرَتَّبَ الصَّغِيرَ الْمُسَمَّى

بَطْرِكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةً أَهْلَ مَجْمَعِ نِيقِيَّةَ .
فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَسَّبُوهَا وَأَشَادَ عَلَيْهِ بِلُزُومِهَا ثُمَّ إِنَّ يُوْفَيَّا نُسَ (٤٥٩)
هَلَكَ بِالْقَالِجِ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَافْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ
فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِ أَرِيُوشَ وَأَمَانَةِ نِيقِيَّةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِي دَامَاشُ
بَطْرِكًا بِرُومَةَ . وَإِنِطْنِيَانُ مَلِكٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلَّى وَالنَّشَ أَخَاهُ
عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكُهُ فِي الْمُلْكِ . ثُمَّ نَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ
أَفْرِيْقِيَّةَ فَأَجَارَ إِلَيْهِمُ الْبَجَرُ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالنَّارِ وَقَتْلَهُ بِقِرْطَاجِنَةَ
وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطَ وَالْأَمَمَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَكَ فِي
حُرُوبِهِمْ فَاسْتَقَلَّ وَالنَّشَ وَخَدَهُ بِالْمُلْكِ . وَكَانَ وَإِنِطْنِيَانُ يَدِينُ
بِالْأَمَانَةِ وَوَالنَّشَ يَدِينُ بِمَذْهَبِ أَرِيُوشَ . فَأَشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ
وَقَتْلَهُمْ . وَبَعْدَ وَفَاتِهِ عَقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لَبْنِ الْعَمِيدِ)

تَمَّةُ تَارِيخِ الرُّومِ إِلَى ظُهُورِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَلِكُ أَغْرَاتِيَانُوسَ (٣٧٥) وَتَاوْدَاسِيُوسَ (٣٧٩)

٦٠ ثم مَلِكٌ بَعْدَهُ أَغْرَاتِيَانُوسَ قِصْرَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي مَلِكِهِ رَجُلًا اسْمُهُ
تَاوْدَاسِيُوسَ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَشْرِقِ فَلَمَّا كَثُرَ مِنْهَا ثَمَمٌ خَارِجِيٌّ عَلَى أَغْرَاتِيَانُوسَ فَقَتَلَهُ .
فَاسْتَقَلَّ تَاوْدَاسِيُوسَ بِمُلْكِ الْقِبَايَرَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَرَدَّ جَمِيعَ مَا نَفَاهُ وَالنَّشَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ
إِلَى كُرْسِيِّهِمْ وَخَلَّى كُلَّ وَاحِدٍ مَكَانَهُ . وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ الْمُلْكِ خَرَجَ إِلَيْهِ مَكْسِيْمُوسَ الْخَارِجِيَّ
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيُوشًا فَقَتَلَ . وَكَانَ لَتَاوْدَاسِيُوسَ وَلَدَانِ أَرْقَاذِيُوسَ وَأُونُورِيُوسَ . وَلَمَّا كَبُرَا
وَضَعُمَا تَحْتَ تَدْبِيرِ أَرْسَانِيُوسَ . ثُمَّ هَرَبَ أَرْسَانِيُوسَ إِلَى مِصْرَ وَتَرَجَّبَ بِغُرَقٍ وَهُوَ بِالْمَالِ فَائِي
وَأَقَامَ فِي مَغَارَةٍ بِالْجَبَلِ الْمُقَطَّمِ حَتَّى مَاتَ . فَبَنَى أَرْقَاذِيُوسَ عَلَى قَبْرِهِ كَنِيسَةً . ثُمَّ وَلَّى تَاوْدَاسِيُوسَ
قَبْلَ وَفَاتِهِ أَرْقَاذِيُوسَ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأُونُورِيُوسَ عَلَى رُومَةَ (٣٩٥) (لِلْمَسْمِيِّ)

مَالٍ مَنْ لَمْ يُعْطَهُ مِنَ النَّصَارَى فِي أَصْغَلِ ذَبَابٍ إِلَّا ضَامَ وَأَهْلَكَ
 كَثِيرِينَ مِنْهُمْ . ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْفَرَسِ وَدَخَلَ عَلَى أَهْوَلُونَ الْحَبَرِ
 الْحَادِمِ لِلصَّخْمِ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا . فَحَكَّمَ لَهُ أَنَّهُ يَنْهَرُ
 أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرٍ دَجَلَةٍ فَاسْتَكْبَرَ لِذَلِكَ يُولِيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا . وَجَمَعَ
 جُيُوشَهُ وَغَزَا الْفَرَسَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَارَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَسَ
 رَأْسَهُ سَاجِدًا إِلَّا لِهَيْئَةِ الْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصُرِعَ فَرَسُهُ
 الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ الصَّخْمِ : إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ مَعَكَ هُمْ
 جَلَبُوا عَلَيْكَ هَذِهِ الْبَلَايَا . فَاسْقَطَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءً عِشْرِينَ أَلْفَ
 رَجُلٍ . وَسَارَ حَتَّى وَافَى الْمَدَائِنَ وَلَمَّا نَشِبَ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَسِ
 عَلَى الدَّجَلَةِ صَارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفٍ مُقَاتِلِيهِ وَيَنْشِطُهُمْ لِلْحَرْبِ . فَرَمَاهُ
 بَعْضُ الْفَرَسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ
 يَتَعَذَّبُ أَخَذَهُ مَلَأٌ حَفَنَتِيهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَسُهُ فِي الْجَوِّ نَحْوَ السَّمَاءِ
 وَقَالَ : إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ابْنَ مَرْيَمَ فَرِثَ مَعَ مُلْكِ السَّمَاءِ مُلْكُ الْأَرْضِ

ملك يوفيانوس (٣٦٣) وولطنيانس والانس (٣٦٤)

٤٥٩ لما قُتِلَ يُولِيَانُوسُ الْمَارِقُ بَقِيَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِغَيْرِ مُلْكٍ وَكَانَ مُهَدَّمٌ
 النَّصَارَى كَرِيهُوا يُولِيَانُوسَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي
 النَّصْرَانِيَّةِ وَجَرَى الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَرَسِ . وَلَمَّا وُتِيَ نَزَلَ لِلْفَرَسِ
 عَنْ نَصِيبِينَ وَنَقَلَ الرُّومَ الَّذِينَ يَبَاهِيهِمْ إِلَى أَيْدٍ . وَرَجَعَ إِلَى كُرْسِيِّ
 مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ الْأَسَافِقَةَ إِلَى الْكَنْنَاسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَثْنَا سِيُوسَ

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثم اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونفوه (٤٣١) . وأخذ بمقاتلته نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثم العراق وفارس الى المشرق . ثم ملك مرقيان بعده ست سنين وتزوج أخت تاودوسيوس الصغير . وكان في أيامه المجمع الرابع بمقلدونية . وأنه كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندرية وما أحدث من البدعة في الأمة . فقالوا بالطبعين والأقنوم الواحد وأجمعوا على نفيه . وافتقرت النصارى الى ملكة . وهم أهل الأمانة فنسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقرس . وإنما دعوا يعاقبة نسبة الى بعض تلامذة ديسقرس اسمه يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرس . والى نسطورية وهم نصارى المشرق . ثم ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثم لاونطيوس (٤٧٥) ثم زينون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملك سبعاً وعشرين سنة . وفي أوّل ملكه قتل كثيرين من صبيان المتكلمين لأنهم هجوه . واجاز الإبرر من المغرب الى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة له بنيت دارا التي فوق نصيبين . ثم إن أنسطاس الملك أراد أن يوضع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : أنك صليت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينية كلام وأخذوا الحجارة ليرجموه بها . فهاهنا أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجه عن راسه قائلاً : اني انتهي الى أمركم فيا تريدون . فكفّ الشعب عنه . ثم ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصله من رومة . هذا أصلح جميع البيع وردّ كل من نفاه الملوك قبله . وفي السنة السابعة للملكه اقتتل الروم والفرس على شاطئ الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط ثلج كثير وجلبد وأفسد عامة الأنهار مع الكروم . وبعد سنة قلت الأمطار وعزّت الغلات ونقص الماء في الينابيع ثم تبع ذلك حرّ قويّ ووباء شديد ودام ست سنين . وفي السنة التاسعة من ملكه أشرك معه في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أخته وبعد ثلاثة اشهر مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرها وقتل فيها خلقاً كثيراً . ثم ملك بعده يوسطينيانس قيصر ثماني وثلاثين سنة . وفي ثالثة ملكه غزا الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها لثاني من ملك يوسطينيانس ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغلب الروم وغرق من الفريقيين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسباياهم ثم وقع الصلح بينهما . وفي خمس وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يُتخذ عيد الميلاد في خامس وعشرين من كانون الأوّل وعيد الدنح لسنة أيام من كانون الأخير . فامثلوا أمره خلا الأرمن فإنهم داوموا على تعييد العيد في يوم واحد . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فامر بان يُوسع فيها فبنيت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينية (٥٥٣)

ملك أرقاذيوس (٣٩٥-٤٠٨) وأنوريوس (٣٩٥-٤٢٣)

٤٦١ أرقاذيوس قيصر ملك ثلاث عشرة سنة وفي أيامه قام يوحنا في الذهب بطرغا على قسطنطينية. ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثمان وعشرين سنة. ومنع الكهنة من أمور كثيرة من الفساد فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرة. ونهى الملكة أودكسيا امرأة أرقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأة أرملة. ولانها أبت رشقها في بعض خطبه ذات يوم وشبهها بإيزبل امرأة آحاب ملك إسرائيل التي أخذت كرمًا أيضًا من أرملة. فركبت يومًا من الأيام وأخذت معها تسعة وعشرين أسقفًا ممن عادى يوحنا في الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيونية. وحرموه وأسقطوه من مرتبة بحجة أنه لم بدع النظر في كتب أوريفانيس فاضطرب أهل القسطنطينية لذلك وهموا بإحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث إلى في الذهب وردّه إلى مرتبة. فلما رجع رفع ثقلًا كان للملكة بالقرب من الكنيسة. وخطب ذات يوم وسعى الملكة هيروديا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكرياء الممدان. فغضبت غضبًا شديدًا ووجهت إلى بعض الأساقفة فجمعهم إلى قسطنطينية فحرموه ثانيًا ونفّوه. وكان ذلك في السنة الثامنة لأرقاذيوس. فنفي إلى بلدة بعيدة فتوفي هناك اثني وأربعين سنة من عمره. وثار الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنا في الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنة لموتها. فدفنوها بقسطنطينية وأثبتوا اسمه في سفر الحياة مع باقي الآباء القديسين. ثم إن أرقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنة وخلفه ابنه تاودسيوس ابن ثمان سنين (لأبي الفرج)

تاودسيوس الأصغر (٤٠٨-٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠-٤٥٧)

٤٦٢ وملك من بعده تاودسيوس الأصغر وفي زمانه كثر النصارى في سلطان الفرس وظهرت الصراية جدًا على يدي مروثا أسقف ميا فارقين الذي أرسل من تاودسيوس الصغير إلى الفرس. وفي السنة العاشرة لتاودسيوس الصغير عُرِف شمعون صاحب العمود بأنطاكية وكان يظهر الآيات والعجائب. وكان في هذا الزمان مار إسماعيل تلميذ مار إفرام صاحب الميامر المنظومة. وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من ريدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك. فخرج تاودسيوس الملك مع أساقفة وقسيسين وبطارقة فنظر إليهم وكلمهم فلما انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم. وانتفض لهمده قوم من أفرقية وخالف طاعة القياصرة فحدث بأفرقية فتنة لذلك. ثم زحف القوط إلى رومة وفرغ عنها أنوريوس فخاربها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثًا وتجاوزوا عن أموال الكنائس. ثم صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فانقلبوا إليها وتركوا رومة. وفي السابعة عشرة من ملك تاودسيوس قدم نستوريس بطرغا بالقسطنطينية فاقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها. وكان يقول بالمعاد المشية دون نفس الكلمة. فبلغت مقالته إلى كبير لوس بطرك الإسكندرية فحاطب

فهرس الجزء الثاني من كتاب مجاني الادب

وجـ	وجـ
<p>٦٦ المراثي</p> <p>٦٦ الباب الثالث في الحكم</p> <p>٥٩ نغمة من ارجوزة ابن مكناس</p> <p>٦٢ حكم لعبد اللطيف البغدادي</p> <p>٦٧ الباب الرابع في الامثال السائرة</p> <p>٦٧ من نثر اللائي لعلي بن أبي طالب</p> <p>٦٩ نبذة من كتاب غرر الحكم</p> <p>٧٢ نغمة امثال انتفاها الابشيبي</p> <p>٧٤ نغمة امثال اوردتها جاء الدين العاملي</p> <p>٧٥ ابيات تتشتمل بها العرب لشعراء مختلفين</p> <p>٧٥ في الامثال عن السنة</p> <p>٧٩ الحيوانات</p> <p>٧٩ الثعلب والديك</p> <p>٧٩ الاسد والتعاب والذئب النام</p> <p>٨٠ رجل وقبرة</p> <p>٨١ الكلب والطليل (الصيد والصدقة)</p> <p>٨٢ العصفور والفتح</p> <p>٨٣ الغراب والسنور والنمر</p> <p>٨٤ العابد والدربان بطنان وسلفاة</p> <p>٨٦ اعى ومقعد الحمامان</p> <p>٨٧ العابد والكلب</p> <p>٨٩ تاجر ومستودع عنده</p> <p>٨٩ يراعة وقروود</p> <p>٩٠ شريكان</p> <p>٩١ رجل وابن عرس</p>	<p>٣ الباب الاول في التدين</p> <p>٣ في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه</p> <p>٤ تنزيه الخالق تعالى</p> <p>٥ عظمة الخالق</p> <p>٦ رحمة الله</p> <p>٧ محبة الخالق</p> <p>٨ حمد الله</p> <p>٩ الرجاء بالله والتوكل عليه</p> <p>٩ الدعاء الى الله</p> <p>١٠ العفو من الله</p> <p>١١ اغراء بايتار الدين</p> <p>١٣ ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال</p> <p>١٥ الحجاج والاعرابي</p> <p>١٥ الصلاة</p> <p>١٧ لذات الجنة</p> <p>١٧ الباب الثاني في الزهد</p> <p>١٧ حد الزهد</p> <p>١٨ ذلة الدنيا</p> <p>١٨ الراهب والمسافر</p> <p>٢٢ زوال الدنيا</p> <p>٢٤ خطبة ابي الدرداء في اهل الشام</p> <p>٣٠ نواب الدهر</p> <p>٣٣ ذكر الموت</p> <p>٣٩ في الخوف</p> <p>٤٠ في التوبة</p> <p>٤٣ دعاء</p>

ثم ملك بعده يوستينوس قيصر (٤٦٥) ثم طيلاريوس (٥٧٨)

• موريقي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ - ٦٤١)

٤٦٥ موريقي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يجيئ طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتوليان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريقي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . ولعمده انتفض على هرمنزكسرى قريته جبرام وخلعه واستولى على ملكه وقتله . وسار ابنه أبرويز الى موريقي قيصر صريحاً . فبعث معه العساكر ورد أبرويز الى ملكه وقتل جبرام الخارج عليه . وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل ابوه من قبله مع القياصرة وخطب أبرويز من موريقي قيصر ابنته مريم فزوجها ابناًها وبعث معها من الجهارز والأمنمة والأقمشة ما يضيق عنه الحصر . ثم وثب على موريقي بعض مائلكيه بمداخلة قريته الطريق فوقاس فدسسه عليه فقتله وملك على الروم وتسعى قيصر . وقتل أولاد موريقي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريقي وأولاده . فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثار صهره وبعث عساكره مع مرزبانهم خزرويه الى القدس وعهد اليه بقتل اهلها وخراب البلد . وجاء بنفسه في عساكر الفرس الى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها . وأما خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرّب البلاد . واجتمع جهود طبرية والخيال وناصره وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب وعادوا الى كسرى بالسي وفيم زخراً بطرك المقدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية فماتت . وضيق عليها اجتمع البطارقة بعلوقيا وبعثوا السفن مشعونة بالأقوات مع هرقل احد بطارقة الروم ففرحوا به ومالوا اليه وداخلهم في الملك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنه وقتلوه . وملكوا هرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً الى بلاده . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة . وكان ملكه أول سنة من الهجرة . وفي السابعة للهجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مرزبانهم شيريارفدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تعذر له . فكتب الى المرازية معه بالقبض عليه وأنفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به الى شيريارفدوخ فانتفض ومن معه وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من التركان وسار الى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية . ثم سار الى الموصل فلقبه جموع الفرس وقادهم المرزبان فانهزموا . وقتل وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوباً فأخرجه شيريار وأصحابه وملكوه وعقدوا مع هرقل الصلح واسترجع الصليب (لابن العصيد)

تم بحولہ تعالی

وجه	وجه	ذم السفر
٢٨٣	٢٥٠	سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية
٢٨٥	٢٥١	الباب الثالث عشر في عجائب المخلوقات
٢٨٦	٢٦٤	في سكان السماوات وهم الملائكة
٢٨٧	٢٦٥	في حقيقة العناصر وطبائعها وترتيبها
٢٨٨	٢٦٥	فصل في فوائد الجبال وعجائبها
٢٨٨	٢٦٦	المدن
٢٨٩	٢٦٦	الذهب
٢٩١	٢٦٧	الحديد
٢٩٣	٢٦٧	الشجر
٢٩٤	٢٦٩	البلسان
٢٩٥	٢٧٠	الحماير
٢٩٦	٢٧١	العنب
٢٩٧	٢٧٢	الموز
٢٩٩	٢٧٣	الفلفل
٣٠١	٢٧٤	النجوم
٣٠٣	٢٧٥	البابية
٣٠٤	٢٧٥	جنس الحيوان
٣٠٥	٢٧٦	الانسان
٣٠٧	٢٧٧	العم
٣٠٨	٢٧٨	البقر
٣٠٩	٢٧٨	الجوامس
٣١٠	٢٧٩	طبي المسك
٣١٢	٢٨١	الفرس
٣١٣	٢٨١	السباع
٣١٤	٢٨١	الحناير
٣١٤	٢٨٢	السنور
٣١٥	٢٨٣	النمر
٣١٦	٢٨٣	ابو براقش
		الديك
		القبرة
		الحوام والحشرات

